لِماذا تحرَّكَ الأرض؟

ياسر فتحي

حسن علية

لِماذا حَرَّكوا الأرْض؟

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [سورة إبراهيم، الآية (46)]

تأليف

ياسر فتحي

حسن علية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً ﴾ [سورة الكهف، الآية (51)]

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3) ﴾ [سورة محمد]

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على رسول الله، أما بعد:

فقد كتب فضيلة الشيخ ياسر بن فتحي المصري حفظه الله هذا الكتاب المعنون بـ"لماذا حرَّكوا الأرض" الذي يصادم فيه النظرية القائلة بدوران الأرض، ويوضِّح نشأة هذه النظرية، وما رآه من أسباب دفعت الغربيين لتبنِّيها، وقد رأينا نشره في "**الألوكة**" للتباحث حول هذا الموضوع بطريقة علمية الهدف منها إثراء البحث للخلوص بوجهة نظر يسندها الدليل والحجة والبرهان، فالمرجو من كل أخ له رغبة في الإضافة أو الاستدراك أو التعقيب أن يبتعد عن العبارات التي قد تمنع من نشر تعقيبه ومداخلته، ونسأل الله للجميع العلم النافع والعمل الصالح.

كتبه

أ.د. سعد بن عبد الله الحميِّد

المشرف على موقع الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، ... وبعد:

من المعلوم أن كلمة التوحيد مفتاح الجنة، والمفتاح لا يفتح حتى يكون له أسنان، وأسنان هذا المفتاح هي الشروط السبعة بل الثمانية المعروفة لديكم، ومنها القبول والانقياد؛ القبول المنافي للرد، والانقياد المنافي للترك، ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران(7)].

وموضوع اليوم، هو: مسألة دوران الأرض حول الشمس، أو بلفظ أعم: الهيئة الجديدة للكون، والتي اخترعها الدُّهريون الملاحدة، فالله ﷻ ما خلق الخلق إلا ليعبدوه؛ فكان لا بد لهم من مستقر يستقرون عليه؛ لتقع منهم هذه العبادة؛ فلهذا خلق الله الأرض ليسكنها الخلق، ويستقرون عليها، ثم خلق بعد ذلك ما يتمم لهم مصالحهم: من شمس وقمر ونجوم وجبال وشجر ودواب.

وأما الدهريون فيدعون كذباً وزوراً: أن هذه الأرض ليست إلا كوكباً ضمن مجموعة شمسية، هذا الكوكب المزعوم يبعد عن الشمس- أمِّها التي خرجت منها- مسافة 93 مليون ميل [150 مليون كم]، وهذه المجموعة الشمسية هي أيضاً واحدة من نحو 100 مليون مجموعة شمسية [شموس تتبعها كواكب]، في المجرة الواحدة التي يزعمون أنا داخلون فيها، ثم هذه المجرة قطرها نحو

100 ألف مليون سنة ضوئية، والسنة الضوئية: مسافة600 مليون ميل، وهذه المجرة هي واحدة من مائة مليون من هذه المجرات المتناثرة في الفضاء الهائل الذي لا نهاية له، تكاد تكون تائهة فيه، وهذا الذي ادَّعَوا أنهم اكتشفوه هو جانب ضئيل لا يكاد يذكر من بناء الكون

- على حد زعمهم-.

ثم هذه الأرض ليست إلا جزءاً من مليون جزء من الشمس، وهذه الشمس هناك ما هو أعظم حجماً منها بمائة مليون مرة.

زعموا: أن هذا الكون نشأ منذ بليون بليون سنة، أما الأرض فهي كائن حديث الولادة؛ إذ لم توجد إلا منذ بليونين من السنين، نشأ هذا الكون من السديم [مادة غازية تكثفت] فنشأ منها الشموس، وشمسنا هذه انفصلت عنها كتل ملتهبة صغيرة الحجم، ظلت تدور حول نفسها كأمِّها حتى بردت وتكثفت بعد بلايين السنين، فكان منها هذه الكواكب التسعة، التي منها هذا الكوكب الضئيل، الذي يدعونه بلغتهم Earth.

وهذه الكواكب التسعة ظلت تدور دورتين: إحداهما: حول نفسها، والأخرى: حول الشمس أمِّهِم، وإلى الآن.

ثم لم يكتفوا بذلك حتى أثبت لهم جهلهم: أن هذا الكوكب الأرضي يدور حول نفسه بسرعة ألف ميل في الساعة [30 كم في الدقيقة]، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة 67 ألف ميل في الساعة، ثم تركض هي والشمس و المجموعة الشمسية كلها بمعدل 20 ألف ميل في الساعة، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء، زعموا!!!.

وبمجرد أن بردت الأرض بدأت نظرية دارون الكذاب الخبيث تعمل عملها، حيث اتفقت بعض عناصر الماء والتربة في قاع بعض المحيطات على عقد صفقة جديدة لبناء خلية حية –لم تُعهد من قبل– بدلاً من هذا الفراغ القاتل الذي يعيشون فيه، وتمت الصفقة، ونجحت التجربة التي لا فاعل لها، وبدون إشراف فريق من الباحثين المتخصصين، فخرج هذا الكائن الجديد المدعو: أميبا، ثم أخذ يطور نفسه، ويقاوم الطبيعة القاتلة، حتى تحول مع الأزمان المتطاولة من طور إلى طور، ومن فصيلة إلى فصيلة، إلى أن وصل إنتاجه الأخير إلى الغوريلا، والتي أبت إلا أن تنطق فتقول أنا إنسان، بل حيوان ناطق، وعندئذ وقفت عجلة التطور الكونية العجيبة، فرفض هذا الإنسان أن تأتي عليه عوادي التطور، فأعجبته نفسه، وقال: لا بد أن أوقف هذا التطور الحسي البدني، لكنني سأخترع لكم نوعاً آخر من التطور، ما هو يا ترى؟! قال: سأكون إلهاً لهذا الكون! قيل له: اخلق حبة، أو شعيرة، أو ذبابة؟ فصنع لهم السيارة، والطيارة، عندئذ أذعن

له عُبَّاد الحضارة، وخروا له سجداً!!!.

والتحقيق: إن دارون قد سرق نظريته هذه من فلاسفة اليونان الوثنيين أمثال: ديموقريطس وإمبيدوكليس وأرسطو الذين قالوا بهذه النظرية في نشوء الكون والحياة، بناءً على رؤاهم الوثنية [انظر: قصة الحضارة (208/7). قصة الفلسفة (108). كلاهما للمؤلف وول ديورانت]، ثم تلقفها منهم الملاحدة من فلاسفة ملة الإسلام أمثال: أحمد بن سهل البلخي، وقد ذكر ذلك في كتابه البدء والتاريخ [ت (322هـ /934م)، فيلسوف بلخي مشهور، كان رافضياً منجماً، ممن سلك طريقة أرسطو، وممن عُني بنقل فلسفة اليونان وترجمتها إلى العربية، إبعاداً لهذه الأمة عن النور المنزل عليها من السماء، وإضلالاً لها. الفهرست (198). الملل والنحل للشهرستاني (158/2). معجم الأدباء (354/1و374). لسان الميزان (479/1)]، ثم جاء بعده أبو نصر الفارابي الفيلسوف المشهور، فقال بذلك [ت (339هـ)، وهو الملقب بمعلمهم الثاني، أي بعد معلمهم الأول أرسطو، كان بارعاً في الكلام والمنطق والموسيقى، وكان رأساً في الكفر والإلحاد، وإنكار النبوات والمعاد، والقول بقدم العالم، وقد تخرج بكتبه ابن سينا. درء التعارض (384/7). العقيدة الأصفهانية (153و213). الصواعق المرسلة (838/3). سير أعلام النبلاء (416/15). تاريخ الإسلام (182/25). البداية والنهاية (224/11). اللسان (179/3)]، ثم جاء بعده أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب: مسكويه، وقد ذكر ذلك في كتابه تهذيب الأخلاق [ت (421هـ/1030م)، كان مجوسياً وأسلم، اشتغل بالفلسفة والكيمياء، وممن سلك طريقة أرسطو، وخدم دولة بني بويه الشيعية. يتيمة الدهر (115/5). الملل والنحل للشهرستاني (158/2). معجم الأدباء (3/2)]، كما قد ذكر إخوان الصفا ذلك في الرسالة العاشرة من رسائلهم [إخوان الصفا: من ملاحدة الشيعة الإسماعيلية، ظهروا في القرن الرابع الهجري، عقائدهم خليط من العقائد الوثنية والمجوسية والإباحية، صنف رسائلهم جماعة في دولة بني بويه ببغداد، وكانوا من الصابئة المتفلسفة المتحنفة، جمعوا بزعمهم بين دين الصابئة المبدلين وبين الحنيفية، وأتوا بكلام المتفلسفة وبأشياء من الشريعة، وفيه من الكفر والجهل شيء كثير، وأتوا فيها بما يخالف دين المسلمين والنصارى واليهود. مجموع فتاوى شيخ

الإسلام (79/4) و(134/35). الموسوعة الميسرة (950/2)]، ونُسب هذا القول أيضاً إلى غير هؤلاء ممن اغتر بأقوالهم، وممن نسب إلى العلم الشرعي، ممن ليسوا من أهل التحقيق، الذين ساروا على مناهج المتكلمين المتأثرين بالفلاسفة، فسجلوا ذلك في كتبهم، أمثال: الفخر الرازي وابن خلدون.

ثم حمل الرايةَ بعدُ هراطقةُ النصارى الذين نابذوا الكنيسة الكاثوليكية العداء، هدماً لفضائلها، ونبذاً لعقائدها، وبغضاً لما بقي من عبادة الله فيها، أبوا إلا أن يُعبد الوثن وحده، وضاقوا ذرعاً بأن يُعبد الله تعالى حتى ولو مع التثليث، أرادوا بعث الوثنية من جديد، لكن تحت ستار العلم، من أمثال: جورج دي بوفون، وبونيه شارل، ودماييه، وموبرتري، وجان باتيست روبينيه، وجيمس بيرنت، وجد دارون: أرازمس دارون، ولامارك، ثم في الأخير شارلز دارون الذي اشتهرت النظرية بعدُ باسمه، بعد أن سعى لإثباتها بشتى وسائل الخداع والتضليل والتلبيس والكذب المحض، متوشحاً في ذلك بوشاح البحث العلمي النزيه، المتجرد من الإيمان بالله وكتبه ورسله [انظر: قصة الحضارة (37/220-255)].

☜ هذه خلاصة المهزلة التي قال بها الدهريون الملاحدة بدعوى البحث العلمي! النزيه! البريء! بل: المجرد من كل فكر يعتقد بوجود إله خالق مدبر!.

وقد قامت الحضارة الغربية الحديثة على أساس هذه النظرية في الفلك، وكان أول من نُسبت إليه هذه النظرية، وقيل أنه كتب فيها وعارض معتقد النصارى في هذه المسألة، هو: نيكولا كوبرنيك (1473-1543م)، الذي نُسب إليه كتاب «حركة الأجرام السماوية»، محاولاً إثبات هذه النظرية لكنه فشل في ذلك، وأهم عبارة في هذا الكتاب تنم عن معتقد مؤلفه الخبيث، هي قوله: "القمر يدور حول الأرض، والشمس تحتل مركز العالم الذي تنيره وتحكمه" وكأنه كاهن من كهنة معبد آمون، عبدة الشمس، وقد اكتشف ديفيد كينج عام (1970م) أن كثيراً من النظريات المنسوبة لكوبرنيك هي للفلكي العربي ابن الشاطر (ت 777هـ، 1375م)، وبعد ذلك بثلاث سنوات (1973م) عُثر على مخطوطات عربية في بولندا اتضح منها أن كوبرنيك قد اطلع عليها، ثم جاء بعد كوبرنيك من حاول استخدام علم الرياضيات والفيزياء في إثبات

هذه النظرية، مثل: جاليليو في إيطاليا (1564-1642م)، وجوهانز كبلر في ألمانيا (1571-1630م)، وإسحاق نيوتن في إنجلترا (1642-1727م)، وكانت معظم النظريات العلمية الرياضية والفيزيائية التي توصلوا إليها تخدم نظرية الدوران، وكأنها من أجلها وضعت، مع أن الناظر إليها يحسب أن الدافع وراء اكتشاف هذه النظريات العلمية إنما هو البحث العلمي النزيه، وأنه لا علاقة بينها وبين نظرية الدوران، وسوف يأتي الكلام عن هذا الموضوع بالتفصيل في موضعه لاحقاً.

ولا بد من لفت نظر القارئ هنا أن من سبق ذكرهم، أو من سيأتي الحديث عنهم، ممن ينتمي لملل أهل الكتب المنزلة من السماء: التوراة والإنجيل والقرآن: أن هؤلاء جميعاً لم يكن ليروج كذبهم ودجلهم على الناس حتى يُظهروا لباس التقوى والدفاع عن العقيدة والإيمان بالله تعالى؛ إذ لو أظهروا إلحادهم لما راجت سلعتهم، ولنبذتهم العامة والخاصة، فكان لا بد من أن يلبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– في العقيدة الأصفهانية (153): "وقائل خامس يقول: لست أفعل هذا تقليداً، ولكني قرأت علم الفلسفة، وأدركت حقيقة النبوة، وأن حاصلها يرجع إلى المصلحة والحكمة، وأن المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق، وتقييدهم عن التقاتل والتنازع والاسترسال في الشهوات، فما أنا من العوام الجهال حتى أدخل في حجر التكليف، وإنما أنا من الحكماء أتبع الحكمة، وأنا بصير بها مستغنٍ فيها عن التقليد.

هذا منتهى إيمان من قرأ فلسفة الإلهيين منهم، ويُعلَم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي، وهؤلاء المتجملون منهم بالإسلام، وربما يُرى الواحد منهم يقرأ القرآن، ويحضر الجماعات والصلوات ويعظم الشريعة بلسانه، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر وأنواعاً من الفسق والفجور، وإذا قيل له إن كانت النبوة غير صحيحة فلم تصلي؟ فربما يقول: رياضة الجسد، وعادة البلد، وحفظ الذرية والولد، وربما قال: الشريعة صحيحة والنبوة حق، فيقال له: فلم تشرب الخمر؟ فيقول: إنما نهي عن الخمر لأنها تورث العداوة والبغضاء، وأنا بحكمتي محترز عن ذلك، وإني أقصد به تشحيذ خاطري، حتى أن ابن سينا ذكر في وصية له كتب

فيها: أنه عاهد الله تعالى على كذا وكذا، وأن يعظم الأوضاع الشرعية، ولا يقصِّر في العبادات الدينية، ولا يشرب الخمر تلهياً؛ بل تداوياً وتشفياً، وكان منتهى حالته في صفاء الإيمان والتزام العبادات: أن يستثني شرب الخمر لغرض التشفي، فهذا إيمان من يدعي الإيمان منهم".

➢ وبعد أن فرغنا من هذا العرض السريع والموجز جداً لهذه النظرية الباطلة، نشرع في المقصود، وبالله التوفيق، وهو المستعان، وعليه التكلان:

اللوازم

أولاً: لوازم القول بهذه النظرية [والتي يدخل فيها القول بدوران الأرض]:

(1): نفي وجود الخالق ﷻ، أو الشك في ذلك، أو في أحسن الأحوال: نفي علوه ﷻ على خلقه؛ فإن القول بفضاء ليس له نهاية، يلزم منه:

أولاً: نفي وجود السماوات السبع المبنية المحيطة بهذا الكون المخلوق.

ثانياً: نفي الكرسي الذي هو فوقها.

ثالثاً: نفي العرش الذي هو فوق الكرسي.

رابعاً: نفي علو الله ﷻ على خلقه.

خامساً: نفي وجود الملائكة، والذين يعمرون هذه السماوات.

سادساً: نفي وجود الجنة، فإنها فوق السماء السابعة.

وكتابات هؤلاء تغص تصريحاً أو تلميحاً بذلك، وسوف أضرب على ذلك مثالاً واحداً ممن اشتغل بعلوم الشريعة:

فهذا سيد قطب لما صدَّق هذه النظرية، وأورد شيئاً منها في تفسيره الموسوم بالظلال، ترتب على ذلك: القول ببعض هذه اللوازم؛ فها هو يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾[البقرة(29)]، قال: "ولا مجال للخوض في معنى الاستواء إلا بأنه رمز للسيطرة، والقصد بإرادة الخلق والتكوين، كذلك لا مجال للخوض في معنى السماوات السبع المقصود هنا" [الظلال (54/1)].

وقال في آية الكرسي: "فإذا وسع كرسيه السماوات والأرض؛ فقد وسعها سلطانه، وهذه هي الحقيقة من الناحية الذهنية" إلى أن قال بأنه لم يعثر على أحاديث صحيحة في معنى الكرسي والعرش.

وقال في آيات الاستواء في الأعراف ويونس: "والاستواء على العرش: كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة باللغة التي يفهمها البشر، ويتمثلون بها المعاني على طريقة القرآن في

التصوير، كما فصلت هذا في فصل التخييل الحسي والتجسيم من كتاب التصوير الفني في القرآن".

وقال في آية السجدة: "الاستواء على العرش: رمز لاستعلائه على الخلق كله، أما العرش ذاته فلا سبيل إلى قول شيء عنه، ولا بد من الوقوف على لفظه".

ففي هذه النقول عن سيد ما يبرهن على أن الرجل قد تأثر كثيراً بهذه النظرية؛ حتى قاده ذلك إلى تأويل الآيات الصريحة في إثبات حقيقة الكرسي والعرش والاستواء والسماوات السبع المبنية، وجعلها رموزاً ترمز إلى معاني فحسب، ولا تدل على إثبات حقائق هذه الأمور فضلاً عن معانيها، كما هو مفصل بأدلته في غير هذا الموضع، وقد تركنا ذكره اختصاراً.

ويقول أيضاً في قوله تعالى: ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [المؤمنون (86)]: "والسماوات السبع قد تكون أفلاكاً سبعة، أو مجموعات نجمية سبعة، أو سدماً سبعة، أو عوالم سبعة، أو أية خلائق فلكية سبعة، والعرش رمز للاستعلاء والهيمنة على الوجود"[الظلال (2478/4) وانظر أيضاً: (3606/6)].

وهذا الشك والتردد والحيرة التي وقع فيها سيد إنما هو بسبب التأويل، والميل إلى تصديق هذه النظرية، وعدم إثبات حقائق ما دل عليه القرآن والسنة:

من أن السماوات السبع قد بناها الله ﷻ وسواها في يومين، وأعمرها بالملائكة، وجعل لها أبواباً، لا يُدخل إليها إلا بإذن، ولها حفظة يحفظونها، ولكل منها سكانها الذين يعمرونها من الملائكة والأنبياء كما جاء تفصيله في حديث الإسراء، وجعل الله ﷻ السماء الدنيا سقفاً للمخلوقات، وكانت الجن تقعد منها مقاعد لاستراق السمع فمن خطف شيئاً أتبعه شهاب ثاقب يحرقه، وبين السماء الدنيا المبنية وبين سطح الأرض مسيرة 500 عام (9 مليون كم تقريباً).

وأما الشك في كونها قد تكون هي عين الأفلاك فهذا باطل محض؛ إذ الأفلاك هي مدارات الشمس والقمر والنجوم والكواكب السيارة وهي كلها واقعة بين السماء الدنيا المبنية والأرض, قال الله ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾

[الأنبياء (33)]، وقال أيضاً: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس (40)].

كما أن السماوات ليست -قطعاً- هي عين المجموعات النجمية، بل النجوم سابحة بين السماء والأرض، مسخرة بأمره سبحانه، قال ﷻ: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأعراف (54)] فدلت هذه الآية على أن النجوم غير السماوات، وأنها مسخرة فيها.

وهكذا الرد على بقية تحيراته.

ثم قال سيد في قوله ﷻ: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ [النحل (15)]: "والرواسي: الجبال، ويقول علماء طبقات الأرض: إنها تضاريس في قشرة الكرة الأرضية تنشأ من برودة في جو الأرض، وتجمد الغازات فيه" [الظلال (2786/5)].

وهذا مخالف لما دل عليه الدليل؛ فالميد هو: الميل والاضطراب، يعني: لئلا تضطرب بكم، أو كراهة أن تميد بكم [انظر: جامع البيان (570/7) و(22/9). النهاية (379/4). وغيرهما]، وقد روى يزيد بن هارون، وهشيم، عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبي سليمان، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**لما خلق الله ﷻ الأرض جعلت تميد؛ فخلق الجبال، فألقاها عليها، فاستقرت، فتعجبت الملائكة من خلق الجبال، فقالت: يا رب! هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم، الحديد. قالت: يا رب! هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم، النار. قالت: يا رب! هل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم، الماء. قالت: يا رب! فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم، الريح. قالت: يا رب! فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها من شماله**».

أخرجه الترمذي (3369). وأحمد (124/3). والضياء في المختارة (152/6-2150-2148/154). وعبد بن حميد (1215). وبحشل في تاريخ واسط (62). وأبو يعلى (4310/286/7). وابن أبي حاتم في التفسير (12105/2218/7) و(16512/2908/9). وأبو الشيخ في العظمة (875و900). والبيهقي في الشعب (3441/244/3). وابن الجوزي في المنتظم (137/1). والمزي في التهذيب (443/11).وغيرهم.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه".

قلت: وإسناده ضعيف؛ فإن سليمان بن أبي سليمان، مولى ابن عباس: مجهول، لم يرو عنه سوى العوام بن حوشب [انظر: التهذيب (96/2). الميزان (211/2)].

وإنما يعرف هذا عن قيس بن عُبَاد نحوه، وقيس: تابعي مخضرم، ثقة.

أخرجه أبو الشيخ في العظمة (876و908) بإسناد فيه ضعف إلى قيس بن عباد.

فلو صح هذا الحديث لكان دليلاً على أن الجبال ألقيت على الأرض من فوقها، وأنها لم تخرج من جوفها كما يقول هؤلاء، لكن الآية تدل على هذا المعنى بدلالة الإشارة، فإن قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى**﴾ فيه إشارة إلى أنه أنزلها من علو، لا أنه أخرجها من سفل، والله أعلم.

كذلك فإن الجبال لا تنشأ بهذه الطريقة التي ذكرها، والتي تحتاج إلى آلاف أو قل ملايين السنين، وإنما خلقها الله ﷻ بقدرته وبقوله: كن فيكون، فألقاها على الأرض، وقدر فيها أقواتها في يومين اثنين فقط، قال الله ﷻ: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾ [فصلت (10)]، وسيأتي شرحها في اللازم الخامس.

ثم قال سيد عند قوله تعالى: ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾ [يس (38)]: "تجري فعلاً، تجري في اتجاه واحد، في الفضاء الكوني الهائل، بسرعة حسبها الفلكيون باثني عشر ميلاً في الثانية"، وهذا مخالف لما هو معلوم من كون الشمس تدور حول الأرض، وتشرق وتغرب؛ ففي حديث أبي ذر أن النبي ﷺ قال يوماً: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن هذه تجري، حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر**

ساجدةً، فلا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدةً، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري، لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي، أصبحي طالعةً من مغربك، فتصبح طالعةً من مغربها» فقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾**». [الأنعام (158)] متفق على صحته [البخاري (3199و4802و4803و7424و7433). مسلم (159)].

ففي هذا الحديث الصحيح: إثبات جريان الشمس، ودورانها حول الأرض، وأنها في كل يوم تذهب فتستقر تحت العرش، ثم تخر ساجدة، فتستأذن فيؤذن لها، فتشرق مرة أخرى من المشرق، وهكذا كل يوم حتى لا يؤذن لها، فتصبح طالعةً من المغرب، ففي الحديث إثبات هذه الأفعال للشمس، وأن الله ﷻ خلق لها نوع إدراك، وأنها مسخرة مأمورة، قال الخطابي في أعلام الحديث (1893/3): "لا يُنكَر أن يكون لها استقرار تحت العرش، من حيث لا ندركه ولا نشاهده، وإنما هو خبر عن غيب فلا نكذب ولا نكيفه؛ لأن علمنا لا يحيط به"، وقال ابن العربي في عارضة الأحوذي (25/9): "وقد أنكر قوم من أهل الغفلة - اقتداءً بأهل الإلحاد- سجودها، وهو صحيح جائز ممكن، وتأوله قوم أنه ما هي عليه من التسخير الدائم"، وقال ابن حجر في الفتح (403/8): "وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار: وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها، ومقابل الاستقرار: المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم".

وهذا الحديث من أوضح الأدلة على ثبات الأرض، ودوران الشمس حولها.

ومما يؤكد تأثر سيد بهذه النظرية: أنه يستدل ببعض ما جاء فيها ويقرره كلما مر على آية فيها آية كونية فلكية [انظر على سبيل المثال: الظلال (2969/5و2977) عند قوله تعالى: **﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾** [يس (40)]، و **﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ**

الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ ﴾[يس (81)].

وقد أدَّى به تأثره الشديد بهذه النظرية وغيرها إلى عدم إثبات علو الله ﷻ على خلقه، واستوائه على عرشه فوق السماوات السبع، فها هو يقول عند قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى (51)]: "كيف يكون هذا الاتصال بين الذات الأزلية الأبدية التي ليس لها حيز في المكان، ولا حيز في الزمان، ... إلى أن قال: هذا الوحي الصادر من هناك؛ أأقول: هناك، كلا! إنه ليس هناك: هناك، الصادر من غير مكان ولا زمان ولا حيز ولا حد ولا جهة" [الظلال (3170/5)].

ومما يؤكد عدم اعتقاده بعلو الله ﷻ على خلقه، واستوائه على عرشه، تفريغه لآيات إثبات علوه ﷻ على خلقه من معانيها، إذ يقول عند قوله ﷻ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج (4)]: "ولم نكلف أن ندري طبيعة هذه المهام، وكيف يصعد الملائكة، ولا إلى أين يصعدون".

(2) اللازم الثاني: تكذيب الله ورسوله:

قال الله ﷻ حاكياً كلام إبراهيم عليه السلام وهو يحاج النمرود: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة (258)].

وقال ﷻ: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً ﴾ [الكهف (17)].

وقال ﷻ في قصة ذي القرنين: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف (86)]. وقال أيضاً: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْراً﴾ [الكهف (90)].

وقال ﷻ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس (38)].

وقال ﷻ: ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [الرعد (2). فاطر (13). الزمر (5)].

وقال ﷻ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [طه (130)].

وقال ﷻ: ﴿**أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ**﴾ [الإسراء (78)].

☜ ففي هذه الآيات وما كان في معناها: نسب الله ﷻ وأسند الأفعال إلى الشمس؛ مما يدل على أنها هي التي تدور حول الأرض،؛ ليحدث بدورانها الليل والنهار، والشروق والغروب، فمن قال بخلاف ذلك فقد تقوَّل على الله بغير علم، وتأول ظواهر الكتاب بغير دليل، فيقع بذلك في تكذيب الخلاق العليم الخبير، لأجل تصديق الكافر الظلوم الجهول.

ثم إن الله ﷻ لما ذكر الأجرام السماوية المتحركة المسخرة لم يُدخل فيها الأرض مما يدل على سكونها؛ قال الله ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾ [الأنبياء (33)]، وكان قال قبل ذلك: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجاً سُبُلاً لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ {31} وَجَعَلْنَا السَّمَاء سَقْفاً مَّحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ{32}**﴾

فبدأ ﷻ بالثوابت: الأرض والسماء، ثم عقب بالمتحرك بينهما، وقد أكد ثبات الأرض بأن جعل لها الجبال رواسي كالأوتاد تثبتها حتى لا تميد، أي: تميل أو تضطرب أو تتحرك بدوران وغيره.

وقال ﷻ: ﴿**وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَين وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**﴾ [إبراهيم (33)]، وكان قال قبل ذلك: ﴿**اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ{32}**﴾ فبدأ بذكر الثوابت: السماوات والأرض، ثم عقب بذكر المتحركات.

وقال ﷻ: ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى**﴾ [لقمان (29)].

وقال ﷻ: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس (40)].

ومما جاء في صحيح السنة من ذلك:

(1): حديث جرير بن عبد الله البجلي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا**» ثم قرأ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [طه (130)].

أخرجه البخاري (554 و573 و4851 و7434 و7435 و7436). ومسلم (633).

(2): حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أدرك ركعة من الصبح قبل أن تطلع الشمس فقد أدرك الصبح، ومن أدرك ركعة من العصر قبل أن تغرب الشمس فقد أدرك العصر**».

أخرجه البخاري (556و579و580). ومسلم (608).

(3): حديث ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا طلع حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى ترتفع، وإذا غاب حاجب الشمس فأخروا الصلاة حتى تغيب**».

أخرجه البخاري (583و3272). ومسلم (829).

(4): حديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**».

أخرجه البخاري (4635و4636و6506و7121). ومسلم (157).

وغيرها من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، والتي يطول حصرها، التي أسند فيها النبي ﷺ الشروق والغروب وغيرها من الأفعال إلى الشمس، فمن ادعى فيها تأويلاً طالبناه بالدليل من الشرع، لا من كلام الكفار والوثنيين، وإلا كان مكذباً لرسول الله ﷺ فيما أخبر به.

(ثالثاً): اللازم الثالث: رد إجماع المسلمين وأهل الكتاب:

قال عبد القاهر البغدادي الإسفراييني في كتابه الفرق بين الفرق ص (290) في بيان ما اتفق عليه أهل السنة: "وأجمعوا على وقوف الأرض وسكونها، وأن حركتها إنما تكون بعارض

يعرض لها من زلزلة ونحوها، خلاف قول من زعم من الدهرية: أن الأرض تهوي أبداً ...".

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً**﴾ [الرعد (3)]: "والذي عليه المسلمون وأهل الكتاب: القول بوقوف الأرض وسكونها ومدها، وأن حركتها إنما تكون في العادة بزلزلة تصيبها" [الجامع لأحكام القرآن (239/9)].

(4): نفي العلو المطلق والسفل المطلق:

إن القول بأن الأرض ما هي إلا هباءة هائمة سابحة في فضاء مطلق لا نهاية له، تدور فيه حول نفسها، وحول الشمس، والتي بدورها تدور بمجموعتها حول مركز المجرة، أو متجهة نحو برج الجبار المزعوم، يستلزم عدم وجود علو ثابت مطلق، أو سفل ثابت مطلق.

وهذا عكس ما يقرره الكتاب والسنة؛ قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**﴾ إلى أن قال تعالى: ﴿**وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ**﴾ [الرحمن (7و10)]، وقال ﷻ: ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا{27} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{28}**﴾ [الإنسان]، وقال ﷻ: ﴿**اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ [الرعد (2)]، وقال ﷻ: ﴿**وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ**﴾ [الغاشية (18)]، وقال ﷻ: ﴿**وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ**﴾ [الطور (5)] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على رفع السماء رفعاً مطلقاً، والدالة على العلو المطلق، ثم الأرض موضوعة سافلة سفلاً مطلقاً، فالله ﷻ رفع السماء ووضع الأرض، وجعل كرسيه فوق السماء السابعة، والعرش فوق ذلك كله، وهو ﷻ عالٍ على جميع خلقه، مستوٍ على عرشه، فأعلى ما في الكون من المخلوقات هو العرش، وأسفل شيء في الكون هو مركز الأرض، وهو الأرض السابعة، والله أعلم.

قال شيخ الإسلام [المجموع (565/6)]: "إن الأفلاك مستديرة كرية الشكل، وإن الجهة العليا هي جهة المحيط، وهي المحدب، وإن الجهة السفلى هي المركز، وليس للأفلاك إلا جهتان: العلو والسفل فقط، وأما الجهات الست فهي للحيوان، ... إلى أن قال: لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير، فالمحيط هو العلو، والمركز هو السفل" [وانظر: الرسالة العرشية (545/6-601) ضمن المجموع].

وقال أبو محمد عبد الله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين [ت (438) هـ] في رسالة في إثبات الاستواء والفوقية [مطبوع ضمن الرسائل المنيرية] (186/1): "فصل: في تقريب مسألة الفوقية من الأفهام بمعنى من علم الهيئة لمن عرفه:

لا ريب أن أهل هذا العلم حكموا بما اقتضته الهندسة، وحكمها صحيح؛ لأنه ببرهان لا يكابر الحس فيه؛ بأن الأرض في جوف العالم العلوي، وأن كرة الأرض في وسط السماء كبطيخة في جوف بطيخة، والسماء محيطة بها من جميع جوانبها، وأن سفل العالم هو جوف كرة الأرض، وهو المركز، ونحن نقول: جوف الأرض السابعة، وهم لا يذكرون: السابعة، لأن الله تعالى أخبرنا عن ذلك، وهم لا يعرفون ذلك، وهذه القاعدة عندهم هي ضرورية لا يكابر الحس فيها: أن المركز هو جوف كرة الأرض، وهو منتهى السفل والتحت، وما دونه لا يسمى تحتاً، بل لا يكون تحتاً، ويكون فوقاً، بحيث لو فرضنا خرق المركز وهو سفل العالم إلى تلك الجهة لكان الخرق إلى جهة فوق، ولو نفذ الخرق جهة السماء من تلك الجهة الأخرى لصعد إلى جهة فوق، ..." إلخ كلامه.

(5): تكذيب كل ما أخبر الله ﷻ به في آيات سورة فصلت:

مِنْ خلْق الأرض أولاً [يعني: قبل الشمس]، ثم خلقها في يومين [لا في ملايين السنين]، وأن الله ﷻ ألقى الجبال عليها [لا أنه أخرجها من باطنها]، وتقدير الأقوات في الأرض التي عليها معاش العباد [لا كما يتوهمون من احتمال وجود حياة على كوكب آخر]، وأن الله ﷻ خلق السماء من بخار الماء الذي تصاعد على وجه الأرض [لا أنه خلق السماوات والكون كله من السديم]، وأنه بعد ما فرغ من بناء الأرض وبناء السماء [الذي ينكرونه] أخرج من كل منهما منافعهما، فأخرج من الأرض ثمارها وأشجارها ونباتها وأنهارها، وأخرج من السماء الشمس والقمر والنجوم [لا كما يدعي خلاف ذلك الدهرية]، وأن السماوات السبع خلقت في يومين [خلافاً لما يقوله الوثنيون بأن الأجرام السماوية نشأت في بلايين السنين]، وأن خلق هذا الكون المحيط بنا إنما تم في ستة أيام فقط [لا في بلايين السنين].

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ [أي: يومي الأحد والاثنين] وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ{9} وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا [جعل في الأرض جبالاً ثوابت من فوق الأرض لكي تثبتها وتمنعها من الميل والاضطراب والدوران، كما قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ {النحل (15)}] وَبَارَكَ فِيهَا [أي: في الأرض بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار وغير ذلك] وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا [أي: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم، فجعل في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى، ليعيش بعضهم على الحبوب، وبعضهم على السمك، وبعضهم على التجارة] فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ [أي: في يومي الثلاثاء والأربعاء، فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام؛ ردَّ الآخر على الأول] سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ [أي: جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض والأقوات؟ وقيل: للمحتاجين للمعاش والرزق]{10} ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء [أي: عمد وقصد إلى خلق السماء] وَهِيَ دُخَانٌ [هو: بخار الماء] فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً [أي: افعلا ما آمركما، أو أعطيا وأخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد، افعلا ذلك طوعاً؛ وإلا أكرهتكما عليه] قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ [فأخرجت السماء شمسها وقمرها ونجومها، وأخرجت الأرض شجرها وثمرها ونباتها وأنهارها]{11} فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ [أي: أتمهن وأحكمهن وفرغ من خلقهن في يومي الخميس والجمعة] وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً [زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها؛ فمن تأول فيها بغير ذلك: أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به. قاله قتادة، وعلقه البخاري في صحيحه، بصيغة الجزم، في (59) كتاب بدء الخلق، (3) باب: في النجوم] ذَلِكَ [المذكور، من الأرض وما فيها، والسماء وما فيها] تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ [الذي بعزته قهر الأشياء ودبرها، وبعلمه خلق المخلوقات وأوجدها]{12}﴾ فسبحان من يخبر عن خلقه وفعله فيه! أنعرض عن خبره فيما أخبر به عن نفسه سبحانه كيف خلق هذا الكون! وكيف أوجده من عدم! ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك (14)]، ثم نذهب إلى الجهول الظلوم الذي كان غائباً عدماً

فنصدقه في ترّهاته وتخيلاته التي يكسوها زوراً وبهتاناً بثوب البحث العلمي النزيه، قال الله ﷻ: ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**﴾ [الكهف (51)].

فإن أشكل عليك بعد ذلك قوله ﷻ: ﴿**أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا{27} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{28} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{29} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا{30}**﴾ [النازعات]، ففهمت منه أن الله ﷻ خلق الأرض بعد خلق السماء وشمسها وقمرها؛ فنقول: ليس الأمر كما فهمت، فإن الله ﷻ لم يقل: والأرض بعد ذلك خلقها، وإنما قال: ﴿**دَحَاهَا**﴾، ثم فسر الدحي بعد ذلك بقوله ﷻ: ﴿**أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا{31}**﴾، فظهر بذلك مراد الله ﷻ، فلا تعارض بين الآيات، ﴿**فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام (45)].

قال ابن كثير في البداية والنهاية (15/1) بعد سرد الآيات من سورة فصلت: "فهذا يدل على أن الأرض خلقت قبل السماء لأنها كالأساس للبناء"، ثم قال بعد سرد الآيات من سورة النازعات (16/1): "فقد تمسك بعض الناس بهذه الآية على تقدم خلق السماء على خلق الأرض، فخالفوا صريح الآيتين المتقدمتين، ولم يفهموا هذه الآية الكريمة؛ فإن مقتضى هذه الآية: أن دحي الأرض وإخراج الماء والمرعى منها بالفعل بعد خلق السماء، وقد كان ذلك مقدراً فيها بالقوة، كما قال تعالى: ﴿**وبارك فيها وقدر فيها أقواتها**﴾ أي: هيأ أماكن الزرع، ومواضع العيون والأنهار، ثم لما أكمل خلق صورة العالم السفلي والعلوي، دحى الأرض فأخرج منها ما كان مودعاً فيها، فخرجت العيون، وجرت الأنهار، ونبت الزرع والثمار، ولهذا فسر الدحي بإخراج الماء والمرعى منها، وإرساء الجبال، فقال: ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾.اهـ كلامه.

وقد اختلف أهل العلم في مقدار هذه الستة الأيام على قولين: فالجمهور على أنها كأيامنا هذه، ومنهم من قال: إن كل يوم منها كألف سنة مما تعدون [انظر: البداية والنهاية (15/1)].

فمن ادعى بعد ذلك: أن هذا الكون خلق في بلايين السنين، أو أن الأرض خلقت في

بليونين من السنين، فهو مكذب لصريح القرآن.

وقد روي حديث في تفصيل الخلق يوماً يوماً، خلق الله كذا يوم كذا، وخلق كذا يوم كذا، وقد أعرضت عن ذكره لكونه حديثاً معلولاً، أعله الحفاظ مثل: ابن معين وابن المديني والبخاري والبيهقي وغيرهم. ولا يصح في هذا الباب حديث.

(6): تكذيب الخبر في أن بين السماء الدنيا والأرض مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي مسيرة خمسمائة عام:

فقد صح عن ابن مسعود ﷺ أنه قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه.

ومثل هذا الإخبار عن أمر غيبي مما لا مجال للرأي فيه؛ فله حكم الرفع، والله أعلم.

وأما حديثا أبي هريرة والعباس بن عبد المطلب فلا يصحان، وفي متنهما نكارة.

ومسيرة خمسمائة عام بمسير الإبل المعتاد تعادل تقريباً: (9) تسعة ملايين كم فقط، لا كما يزعمون أن بين الشمس والأرض وحدهما: (150) مائة وخمسون مليون كم، ناهيك عن بقية ملايين الملايين من الأميال بحساب السنين الضوئية في المسافة بين الأرض وأبعد نقطة مكتشفة في الكون، وقد وجدت بعد حساب سريع أن البعد التقريبي بين الأرض وأبعد نقطة مكتشفة في الكون يساوي تقريباً: (60) مليون مليون مليون مليون ميل، وهذا أبعد من الخيال!!!.

بينما قدَّر بعض أهل العلم المسافة الحقيقية بين سطح الأرض ونهاية السماء السابعة بـ (126) مليون كم فقط، والله أعلم.

(7): يلزم من هذه النظرية القول بأن الشمس هي المركز بالنسبة للأرض، وذلك مخالف للدليل:

أما الدليل من الكتاب:

قوله ﷻ: ﴿**وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ**﴾ [التكوير (2)]: قال البغوي في تفسيره (451/4): " أي تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض"، مما يعني أن الساقط من السماء إنما يسقط على الأرض، ولو كانت الشمس هي المركز لتساقطت عليها، أو تناثرت في فضائهم الهائل المزعوم.

وقوله ﷻ: ﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحج (65)]، فلو لم تكن السماء جِرماً مبنياً لما قيل لها ذلك، من الإمساك والوقوع، فالفضاء المطلق لا يمسك ولا يقع، ولو قدر وقوع السماء المبنية لوقعت على الأرض، مما يدل على أنها هي المركز، والله أعلم.

وأما الدليل من السنة:

فقد روى سعيد بن يزيد، عن أبي السمح، عن عيسى بن هلال الصدفي، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن رَصَاصَةً مثل هذه – وأشار إلى مثل الجمجمة– أرسلت من السماء إلى الأرض – وهي مسيرة خمسمائة سنة– لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لصارت أربعين خريفاً الليلَ والنهارَ قبل أن تبلغ أصلها – أو: قعرها–**».

أخرجه الترمذي (2588). والحاكم (2/438-439). وأحمد (197/2). وابنه عبد الله في الزهد (19-20). وابن المبارك في المسند (124). وفي الزهد (290- زوائد نعيم بن حماد). وابن جرير الطبري في تفسيره (64/29). والطبراني في الكبير (162) [قطعة من الجزء (13)]. والبيهقي في البعث والنشور (581). والبغوي في شرح السنة (4307/562/7). وفي التفسير (389/4). والمزي في التهذيب (56/23).

قال الترمذي: "هذا حديث إسناده حسن صحيح، وسعيد بن يزيد، هو: مصري، وقد روى عنه الليث بن سعد، وغير واحد من الأئمة".

وقال الحاكم: "صحيح الإسناد". وقال البغوي: "هذا حديث حسن".

قلت: عيسى بن هلال الصدفي المصري: روى عنه جماعة من المصريين، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وذكره يعقوب بن سفيان الفسوي في ثقات التابعين من أهل مصر، وقال ابن حجر في التقريب: "صدوق"، فهو كما قال [انظر: الجرح والتعديل (290/6). الثقات (213/5). المعرفة والتاريخ (515/2). التهذيب (370/3). التقريب (488)]، وقد سمع من عبد الله بن عمرو [انظر: التاريخ الكبير (385/6). مسند أحمد (223/2). صحيح ابن حبان (5753/64/13). المعجم الأوسط (9331/131/9)].

ودراج أبو السمح: أكثر ما نقم عليه روايته مناكير عن أبي الهيثم، وأنا أميل إلى قول من فصل فيه، راجع ترجمة مفصلة له في كتابي تخريج الذكر والدعاء (52/32/1)، وهو هنا لا يروي عن أبي الهيثم؛ قال أبو داود: "أحاديثه مستقيمة؛ إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد", وعلى هذا: فإنه هنا: لا بأس به.

وأما سعيد بن يزيد الحميري، القتباني، أبو شجاع الإسكندراني، فهو: ثقة عابد.

وبناءً على ذلك: فهذا إسناد مصري، لا بأس به.

قال الشيخ عبد الله الدويش في المورد الزلال ص (269): "ووجه الاستدلال بهذا الحديث على استقرار الأرض وثباتها: أن الله تعالى جعل الأرض مركزاً للأثقال، ومستقراً لما ينزل من السماء، ولو كانت الأرض تجري وتدور على الشمس -كما زعمه أهل الهيئة الجديدة- لكانت الشمس هي المركز والمستقر للأثقال، وهذا تكذيب لهذا الحديث الصحيح، وفي الحديث دليل آخر على استقرار الأرض وثباتها، وذلك مستفاد من النص على أن بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، والنص شامل لوجه الأرض من جميع الجهات؛ لأن النبي ﷺ أطلق ولم يخص جهة منها دون الجهة الأخرى؛ فدل عموم النص على أن المسافة بين السماء والأرض: خمسمائة سنة من كل جهة، وقد قرر الإمام أبو الحسين ابن المنادي: أن بُعد ما بين

السماء والأرض من جميع الجهات بقدر واحد، ووافقه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية وغيره على ذلك، وفي حديث عبد الله بن عمرو الذي ذكرنا دليل لما قالوه". وانظر أيضاً: ص (261).

وممن قال بأن جوف الأرض هو المركز للكون: أبو محمد الجويني، وتقدم نقل كلامه ص (11)، فلينظر.

(8): يلزم من هذه النظرية القول بأن الأرض كوكب مثل بقية كواكب المجموعة الشمسية:

حيث إن الجميع قد انفصل عن الشمس أمهم، فتشابهوا في التركيب الجيولوجي، وعناصر التربة، وغير ذلك.

وهذا من أبطل الباطل, وبيانه من وجوه عديدة:

منها: أن الأرض خلقت أولاً، لأنها كالأساس، والأصل أن يبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف، كما قال الله ﷻ: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**﴾ [البقرة (29)]، قاله ابن كثير في تفسيره (94/4).

ومنها: أن الله ﷻ أخرج الشمس والقمر والنجوم والكواكب من السماء، كما تقدم بيانه في اللازم الخامس، فدل ذلك على أن الأجرام السماوية خلقها الله مستقلة بنفسها ولم تتوالد، ولم تنفصل الكواكب من الشمس.

ومنها: أن الله ﷻ خص الأرض دون غيرها بتهيئتها، وإرساء الجبال عليها لتثبتها، ولئلا تميد بأهلها، وبتقدير الأقوات فيها، وخلق البحار والأنهار والأشجار فيها، وقسم أرزاق العباد فيها، وجعلها صالحة لمعاش العباد، واستقرارهم عليها ليعبدوه سبحانه، قال ﷻ: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاء لِّلسَّائِلِينَ**﴾[فصلت (10)]، وليس لغير الأرض من ذلك شيء.

فما أصبرهم على النار! لطول سعيهم، وإنفاق أموالهم، في البحث عن مكانٍ صالحٍ للحياة

غير الأرض، يفرون إليه إذا قامت الساعة هرباً من الله وعقابه وأليم عذابه، قال الله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾ [البقرة (175)].

(9): رمي كتاب الله تعالى بالإيهام والاضطراب:

فيقال لمن يقول بهذه النظرية: هل نزل القرآن مخاطباً الناس بما عهدوه من سكون الأرض واستقرارها؟ أم بتقرير حركتها ودورانها؟

فإن كان الأول؛ فقد سلمتم.

وإن كان الثاني؛ فقد رميتم كتاب الله تعالى بالإيهام والاضطراب؛ حيث لم ينقل إلينا أن الصحابة فمن بعدهم فهموا من آيات الكتاب حركة الأرض ودورانها.

(10): رمي صحابة رسول الله ﷺ بالجهل بما دلت عليه آيات القرآن:

هل أنتم أهدى سبيلاً من أصحاب رسول الله ﷺ؟

الجواب: لا، فهل نقل عن أحد منهم، فمن بعدهم ممن اتبعهم بإحسان، أنه قال بدوران الأرض حول نفسها، أو حول الشمس، ولو نقل عنهم لما أغفله أئمة المفسرين.

فإن قيل: سكتوا عما لم يعلموا. قيل: أما يسعكم ما وسعهم من السكوت؟ أم أبيتم إلا رميهم بالجهل فيما أولوه، أو أوله التابعون لهم بإحسان من الآيات الدالة على استقرار الأرض وثباتها.

(11): مكابرة الحس:

فإن القائل بهذه النظرية مكابر للحس؛ فالإنسان كل يوم يشاهد بعينه الشمس تشرق من جهة المشرق، ثم تظل سائرة في فلك السماء حتى تغرب من جهة المغرب، لا يرتاب في ذلك أحدٌ باقٍ على فطرته، كما أنه يعلم يقيناً أن الأرض التي تحته ثابتة مستقرة، لا تدور ولا تهتز إلا بزلزلة تعتريها عقوبة لأهلها؛ كما قال ﷻ: ﴿**قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾ [النحل

(26)]. وانظر كلام أبي محمد الجويني المتقدم ص (11).

ثانياً: الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على ثبات الأرض، ودوران الشمس حولها:

الأدلة في هذا الباب كثيرة جداً، وقد تقدم ذكر بعضها في اللوازم، فلا نعيدها، ومما لم نذكره هناك:

➢ من أدلة الكتاب:

(1): قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ [فاطر (41)]:

قال ابن مسعود: "كفى بها زوالاً أن تدور".[جامع البيان لابن جرير (145/22). المحرر الوجيز (442/4)].

وقال ابن كثير في تفسيره (562/3): "أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال ﷻ: ﴿**ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه**﴾، وقال تعالى: ﴿**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره**﴾".

فهذه الآية حجة ظاهرة على ثبات الأرض؛ إذ لو كانت تدور حول الشمس –كما يزعمون– لكانت دائمة الزوال من مكان إلى مكان.

(2): قال الله ﷻ: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ**﴾ [الروم (25)]:

قال ابن مسعود: "قامتا على غير عمد بأمره" [تفسير البغوي (481/3)].

وقال ابن عطية: "معناه: تثبت" [المحرر الوجيز (334/4)]. وقال ابن كثير: "أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها، وتسخيره إياها" [تفسيره (431/3)].

وقال ابن منظور في لسان العرب (497/12): "ويجيء القيام بمعنى: الوقوف والثبات، يقال للماشي: قف لي، أي: تحبس مكانك حتى آتيك، وكذلك: قم لي، بمعنى: قف لي،

وعليه فسروا قوله سبحانه: ﴿**وإذا أظلم عليهم قاموا**﴾ قال أهل اللغة والتفسير: قاموا هنا بمعنى: وقفوا وثبتوا في مكانهم غير متقدمين ولا متأخرين".

(3): قال الله ﷻ: ﴿**أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ**﴾ [النمل (61)]:

قال ابن كثير في تفسيره (371/3): "أي قارةً ساكنةً ثابتةً، لا تميد، ولا تتحرك بأهلها، ولا ترجف بهم، فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتةً، لا تتزلزل ولا تتحرك".

وقال القرطبي في تفسيره (222/13): "﴿**وجعل لها رواسي**﴾ يعني: جبالاً ثوابت تمسكها وتمنعها من الحركة".

والقرار معناه في لغة العرب: الثبات والسكون [انظر: لسان العرب (84/5). القاموس (592). تاج العروس (392/13)].

(4): قال الله ﷻ: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ [النحل (15)]، وما كان في معناها من الآيات الكثيرة:

أي: أن الله ﷻ ألقى الجبال على ظهر الأرض لتكون أوتاداً لها ورواسي - أي: ثوابت-؛ لئلا تميد الأرض بأهلها، والميد: الحركة، والميل، والاضطراب، والزلزلة، والتكفؤ، والدوران.

قال القرطبي في تفسيره (285/11): "﴿**وجعلنا في الأرض رواسي**﴾ أي: جبالاً ثوابت، ﴿**أن تميد بهم**﴾ أي: لئلا تميد بهم، ولا تتحرك ليتم القرار عليها، ...، والميد: التحرك والدوران، يقال: ماد رأسه، أي: دار".

وقال ابن القيم في مفتاح دار السعادة (217/1): "فصل: ثم تأمل خلق الأرض على ما هي عليه، حين خلقها واقفةً ساكنةً؛ لتكون مهاداً ومستقراً للحيوان والنبات والأمتعة، ويتمكن الحيوان والناس من السعي عليها في مآربهم، والجلوس لراحاتهم، والنوم لهدوِّهم، والتمكن من أعمالهم، ..." ثم استشهد على كلامه بهذه الآية.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير (435/4): "أي: نصب فيها جبالاً ثوابت، ﴿**أن تميد**﴾

أي: لئلا تميد، وقال الزجاج: كراهة أن تميد، يقال: ماد الرجل، يميد ميداً: إذا أدير به، وقال ابن قتيبة: الميد: الحركة والميل؛ يقال: فلان يميد في مشيته، أي: يتكفأ".

وقال الشوكاني في فتح القدير (405/3): "الميد: التحرك والدوران، أي: لئلا تتحرك وتدور بهم، أو كراهة ذلك".

[وانظر أيضاً على سبيل المثال لا الحصر: جامع البيان (90/14) و(21/17) و(65/21) و(47/30). معاني القرآن للنحاس (281/5). معالم التنزيل (47/3و64و243). المحرر الوجيز (347/4). الجامع لأحكام القرآن (90/10). مفردات القرآن (782). معجم مقاييس اللغة (970). تاج العروس (192/9). اللسان (411/3). تفسير ابن كثير (566/2) و(178/3و371) و(223/4و398و461) وغيرها كثير].

(5): قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾ [النبأ (6و7)]:

قال ابن كثير في تفسيره (463/4): "أي: ممهدةً للخلائق، ذلولاً لهم، قارةً ساكنةً ثابتةً، ﴿والجبال أوتادا﴾ أي: جعلها لها أوتاداً؛ أرساها بها، وثبتها، وقررها، حتى سكنت، ولم تضطرب بمن عليها".

وقد وصف الله ﷻ الأرض بكونها: ﴿فراشاً﴾، و﴿قراراً﴾، و﴿مهداً﴾، و﴿بساطاً﴾، و﴿ذلولاً﴾ كما جاء في آيات كثيرة، وكلها يدل على نفس المعنى، من ثبات الأرض وسكونها، وعدم دورانها، وقد تركت نقل كلام أهل العلم فيها طلباً للاختصار.

(6): قال الله ﷻ: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك (16)]:

قال الشوكاني في فتح القدير (262/5): "أي: تضطرب وتتحرك على خلاف ما كانت عليه من السكون".

ومعنى: ﴿تمور﴾ هنا مثل معناها في قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْراً﴾ [الطور (9)]، وقد قال فيها مجاهد: "تدور دوراً"، وقال الضحاك: "استدارتها وتحركها لأمر الله، وموج بعضها

في بعض" [جامع البيان (21/27). تفسير ابن كثير (241/4)]، قال ابن الجوزي في زاد المسير (48/8): "وهو اختيار الفراء وابن قتيبة والزجاج". وقال ابن كثير في تفسيره: "وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك في استدارة". وقال البغوي في تفسيره (237/4): "أي تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة".

قال الشيخ عبد الله الدويش في المورد الزلال ص (260): "إذا علم هذا؛ فآية سورة الملك دالة على أن الأرض قارة ساكنة، لا تدور فتذهب وتجيء، ولهذا امتنَّ الله تبارك وتعالى على عباده بتذليلها لهم، وحذرهم من عقوبته بأن يخسف بهم الأرض، ويجعلها تمور بهم، ولو كان الأمر على ما يزعمه أهل الهيئة الجديدة ومن يقلدهم من العصريين؛ لكانت الأرض تمور دائماً كما تمور النجوم والسحاب والريح، ولم يبق للتخويف بمورها فائدة".

(7): قال الله ﷻ: ﴿**فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السَّمَاءِ**﴾ [الشعراء (187)]، وما كان في معناها من الآيات؛ من إسقاط الكسف [الإسراء (92). سبأ (9). الطور (44)].

وقال ﷻ: ﴿**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأنفال (32)]:

قال الشيخ الدويش في المورد الزلال ص (261): "ووجه الاستدلال بهذه الآيات الخمس على استقرار الأرض وسكونها: أن الله ﷻ جعل الأرض مركزاً للأثقال، ومستقراً لما ينزل من السماء، فلو سقطت السماء لوقعت على الأرض، ولو سقط منها شيء لم يستقر إلا في الأرض، ولو كانت الأرض تجري وتدور على الشمس كما زعمه أهل الهيئة الجديدة لكانت الشمس هي المركز والمستقر للأثقال؛ وهذا تكذيب للقرآن".

(8): قال الله ﷻ: ﴿**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [الأنبياء (33)]، وقال أيضاً: ﴿**لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾ [يس (40)]:

هاتان الآيتان دليل على دوران الشمس والقمر والليل والنهار حول الأرض في حركة دائرية؛ لقوله تعالى: ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**﴾، قال ابن عباس: "في فلك كفلك المغزل" [جامع البيان (8/23)]. وقال قتادة: "الفلك استدارة في السماء تدور بالنجوم مع ثبوت السماء" [الجامع لأحكام القرآن (286/11)]. وقال ابن جرير الطبري في تفسيره (23/17): "والشمس والقمر كل ذلك في دائر يسبحون". وقال ابن كثير في تفسيره (179/3): " أي: يدورون، قال ابن عباس: يدورون كما يدور المغزل في الفلكة". وقال أيضاً (574/3): "أي: يدورون في فلك السماء، قاله ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وقتادة وعطاء الخرساني". وقال البغوي في تفسيره (243/3): "والفلك في كلام العرب: كل شيء مستدير، وجمعه أفلاك، ومنه فلكة المغزل". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة: أن الأفلاك مستديرة" [المجموع (193/25). وانظر: (557/6و566و595)]. وفي لسان العرب (478/10): "فلَّك ثدي الجارية تفليكاً و تفلَّك: استدار، ...، وفلكة المغزل: معروفة، سميت لاستدارتها، وكل مستدير فلكة".

هذه بعض أدلة الكتاب، ذكرت أصرحها في الدلالة على المقصود، وتركت ذكر بقية الأدلة حرصاً على الاختصار.

- وأما أدلة السنة، فقد تقدم ذكرها في اللوازم، ومما لم أذكره هناك:

ما رواه الشيخان [البخاري (3124و5157). ومسلم (1747)] من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبي من الأنبياء، فقال للقوم: لا يتبعني رجل قد كان ملك بُضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولَمَّا يبنِ بها. ولا آخر قد بنى بناء له، ولما يرفع سقفها. ولا آخر قد اشترى غنماً أو خَلِفاتٍ، وهو ينتظر وِلادها. فغزا فدنا من القرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ شيئاً، فحُبِستْ عليه حتى فتح الله عليه، قال: فجمعوا ما غنموا، فأقبلت النار لتأكله، فأبت أن تطعمه، فقال: فيكم غلول، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فبايعوه، فلصقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فبايعته قبيلته، فلصقت يد رجلين أو**

ثلاثة، فقال: فيكم الغلول، أنتم غللتم، قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، فوضعوه في المال، وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته، فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا».

ووجه الدلالة منه من وجوه:

أحدها: قوله للشمس: «**أنت مأمورة**» فيه دليل على تسخير الشمس، وأنها مأمورة بالإشراق من المشرق، والغروب من المغرب، والسير في فلكها المقدر لها.

الثاني: قوله: «**وأنا مأمور**» فيه تنبيه على تشبيه الأمر الكوني للشمس بالأمر الشرعي للنبي، حيث إن كليهما مكلف بذلك من قبل خالقه، وعليه فأمر التسخير بالحركة الدائبة موجه إلى الشمس لا إلى الأرض.

الثالث: قوله: «**اللهم احبسها عليَّ**» فهذا الدعاء مبني على علم النبي السابق بحركة الشمس وتسخيرها للخلق، ومعلوم أن علوم الأنبياء ومعارفهم تكون صحيحة، ولو كان هذا الطلب غير موافق لحقيقة الأمر، لنُبِّه النبي، ولم يترك على هذا الاعتقاد الخاطئ.

الرابع: أنه بذلك يطلب أمراً ممكناً، ودليل إمكانه: عدم نهي النبي عنه، أو صرفه إلى غيره، فهذا نبي الله موسى ﷺ لما سأل الله تعالى أن يراه ببصره في الدنيا، قال الله ﷻ له: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي**﴾ [الأعراف (143)]، فنفى إمكان الرؤية في الدنيا حيث لا تحتملها قدرات البشر، وعلق إمكان الرؤية على استقرار الجبل، فإن كان الجبل الذي هو أشد قوة من البشر لم يحتمل هذه الرؤية فكيف بالبشر، بينما لما سأل خليل الرحمن إبراهيم ﷺ رؤية كيفية إحياء الموتى، أجابه الله سبحانه وتعالى إلى ذلك وقال: ﴿**فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة (260)]، فإذا ثبت كون حبس الشمس أمراً ممكناً، فقد استجاب الله تعالى له، وحبس له الشمس، فدل ذلك على حركتها ودورانها حول الأرض، وإلا لم يكن لذلك معنى.

الخامس: قوله: «**فحبست**» دل على عظيم قدرة الله تعالى وكمالها، فكما أنه سخر الشمس والقمر بالسير الدائب لمصالح الخلق، وجعل ذلك سنة كونية لا تتبدل ولا تتغير، فإنه ﷻ قادر على أن يعطل هذه السنة وقتما شاء ﷻ، حتى يتمكن يوشع بن نون عليه السلام من هزيمة أعداء الله، فهل من معتبر!.

وقد بقيت أحاديث، تركت ذكرها إما لما فيها من مقال، أو لعدم صراحتها في الدلالة على المقصود.

➢ وأما الإجماع فقد تقدم ذكره في اللوازم، فيراجع.

فصل

في ذكر أدلة عقلية على ثبات الأرض واستقرارها

فمن تلكم الأدلة:

(1): أن الأرض لو كانت تسير بهذه السرعة الهائلة (30كم في الدقيقة)؛ لما استقر على ظهرها شيء من البناء والشجر فضلاً عن الحيوانات؛ وذلك لشدة مخرها للهواء، ولشدة صدم الهواء لوجهها، وأما زعمهم: أن الغلاف الجوي تابع للأرض في الدوران فهذا زعم كاذب؛ لا دليل صحيح عليه من نقل أو عقل.

أما النقل: فقد جاء في آيات كثيرة ما يدل على أن الهواء مستقل بنفسه، وليس تابعاً للأرض، فمن ذلك على سبيل المثال لا الحصر: قوله ﷻ: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ**﴾ [الأنبياء (16)]: فدلت هذه الآية الكريمة على أن خلق ما بين السماء والأرض كان مستقلاً بنفسه، وأنه مغاير في حقيقته وتكوينه لهما، والله أعلم.

وأما العقل: فمن المعلوم أن جرم وكثافة الجزيئات المكونة للهواء من الأكسجين و الهيدروجين والنيتروجين وثاني أكسيد الكربون وبخار الماء: في غاية الخفة والضآلة؛ بحيث لا تؤثر عليها جاذبية الأرض؛ فتجعلها في حكم الملاصق لها، أو في حكم الأجسام التي على سطحها.

وكذلك: فإنه من المعلوم أن الأجسام التي على سطح الأرض إذا ارتفعت عنه واستقلت في الهواء؛ فإن سلطان الجاذبية عليها يضعف نوعاً ما، لا سيما كلما ازداد الارتفاع، وقلت الكثافة.

وكذلك: فإنه من المعلوم بالحس والضرورة أن الهواء المحصور في المراكب الحديثة، سواءً البرية أو البحرية أو الجوية، يكون متحركاً بسرعتها، بخلاف ما كان خارجها؛ فإنه لا يتبعها ولا يتحرك بسرعتها، بل يقاومها؛ فكذلك ما على ظهر الأرض من الهواء لا يكون تابعاً لها.

(2): سير السحاب المسخر بين السماء والأرض؛ فنحن نراه يتحرك في كل اتجاه، ولو صدق افتراؤهم لكان ينبغي أن تكون حركته فقط من الشرق إلى الغرب.

(3): هجرة الطيور: فما كان لهذه الطيور المهاجرة أن تهتدي لمواطن هجرتها، أو مواطنها الأصلية حين عودتها إليها، لولا فضل الله ورحمته بخلقه أن ثبَّت لهم الأرض التي يسكنونها؛ فجعلها قارَّةً ساكنةً.

(4): الطائرات التي تطير على ارتفاع شاهق جداً من الشمال إلى الجنوب، أو بالعكس: لا تلحظ حركة الأرض ودورانها من المغرب إلى المشرق كما يزعمون كذباً وزوراً.

بل لا ينبغي لهذه الطائرات أن تهتدي لمواضع هبوطها على سطح الأرض بمجرد استقلالها في الهواء.

ومن تفكر في زورهم وبهتانهم تبين له ما يترتب على هذه النظرية الفاسدة من المناقضات العقلية الكثير.

ونختم هذا البحث الموجز المختصر: فنقول للذين لا يصدقون ولا يطمئنون لأدلة الكتاب والسنة وأقوال أهل الإسلام في تفسيرها، بل يذهبون في ذلك إلى الكفار؛ بدعوى أنهم أعلم بأمور المحسوسات والمشاهدات من المسلمين، ونقول للذين لا يصدقون إلا حملة الشهادات العليا المصدقة من أمريكا وبريطانيا وأمثالهما من دول الكفر الذين لا يجدون سبيلاً لتشكيننا في ديننا وردنا عنه إلا وسلكوه، وهم الذين حذرنا الله منهم بقوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [آل عمران (118)]، وحذرنا من أتباعهم وذيولهم من المنتسبين إلى المسلمين بقوله: ﴿**لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ [التوبة (47)] فنقول لهؤلاء وأمثالهم: إن الكفار في هذه المسألة ليسوا على قلب رجل واحد، بل لايزالون فيها مختلفين.

وسأذكر لهم مثالاً بسيطاً: فإن الهبوط على القمر، وإن كنا نحن لا نصدقه ولا نكذبه؛ لأنه لم يأت في شريعتنا ما يمنع من وقوعه، حيث إن القمر واقع فيما بين الأرض والسماء المبنية

المحروسة، والجن يتنقلون فيما بينهما، فكذلك لو ادعى أحد من الإنس ذلك بسببٍ ما، لم نكذبه، ولم نصدقه أيضاً حتى يأتي بالبرهان الصادق على ذلك.

وبعض المسلمين في هذا الزمان قد صدق هؤلاء في دعواهم الهبوط على سطح القمر حتى أصبحت هذه المسألة عنده من البدهيات التي لا يختلف فيها اثنان، ومع ذلك فقد أظهر أحد الاستطلاعات للرأي والذي قامت به مؤسسة غالوب عام (1999 م) أن 6 % من الأمريكان غير واثقين من حدوث الهبوط على سطح القمر، وقد عرضت قناة فوكس التلفزيونية في نفس العام (1999 م) برنامجاً يستعرض البراهين والأدلة على زيف عملية الهبوط على القمر، تابعه (6) مليون مشاهد – على زعمهم–، ولذلك فقد قام الأمريكان في جامعاتهم بتنظيم محاضرات خاصة لتفنيد هذه المزاعم، وقد ذُكر من هذه الأدلة على زيف عملية الهبوط: أن العلم الأمريكي الذي غرس على سطح القمر شوهد وهو يرفرف، مع أنهم يجزمون بأن القمر لا هواء فيه، وأنه ليس له غلاف جوي، فكيف رفرف العلم؟!!!.

كذلك فقد ثبت أن الأشعة الكونية خارج الغلاف الجوي الأرضي لا يتحملها بدن الإنسان الضعيف، ولحمايته منها ينبغي أن يلف من جميع جهاته بطبقة عازلة واقية سمكها حوالي مترين، وإلا لأصابته تشوهات وحروق وأمراض فتاكة تسرع بوفاته عاجلاً، وهذه السترة الفضائية الفضية لا تغني شيئاً من ذلك، أفلا تعقلون!

وقد حاول بعض المتأثرين بالغرب وحضارته الزائفة أن يلمع صورته عند بعض المسلمين ممن لا نصيب له وافر من هدي النبوة ونور الرسالة؛ فذهب يبحث عن أدلة من الكتاب والسنة تؤيد ما توصلوا إليه من علومهم الدنيوية التي فاقوا بها المسلمين فخلطوا السمَّ بالعسل والباطل بالحق، ومن ذلكم: مسألة الدوران، احتجوا لها بأدلة من الشرع المطهر، فتأولوا النصوص، وحمَّلوها ما لا تحتمل، وسأورد مثالاً واحداً فقط من أدلتهم:

احتجوا على دوران الأرض بمرور الجبال مرَّ السحاب المذكور في قول الله ﷻ: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾ [النمل (88)].

وسأترك الرد عليهم للعلامة المفسر اللغوي الأصولي الفقيه: فضيلة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله تعالى– حيث يقول في كتابه المبارك «أضواء البيان» (295/6): " قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾

قد قدّمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن من أنواع البيان التي تضمّنها: أن يقول بعض العلماء في الآية قولاً، ويكون في الآية قرينة تدلُّ على بطلان ذلك القول.

وذكرنا في ترجمته أيضًا: أن من أنواع البيان التي تضمّنها: الاستدلال على المعنى بكونه هو الغالب في القرءان؛ لأن غلبته فيه تدلُّ على عدم خروجه من معنى الآية. ومثّلنا لجميع ذلك أمثلة متعدّدة في هذا الكتاب المبارك.

والأمران المذكوران من أنواع البيان قد اشتملت عليهما معًا آية النمل هذه.

وإيضاح ذلك: أن بعض الناس قد زعم: أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ يدلُّ على أن الجبال الآن في دار الدنيا يحسبها رائيها جامدةً، أي: واقفةً ساكنةً غيرَ متحركة؛ وهي تمرُّ مرَّ السحاب، ونحوه قول النابغة يصف جيشًا:

بأرعن مثل الطود تحسب أنهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

والنوعان المذكوران من أنواع البيان يبينان عدم صحة هذا القول.

أمّا الأول منهما: وهو وجود القرينة الدالَّة على عدم صحته، فهو أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ معطوف على قوله: ﴿فَفَزِعَ﴾، وذلك المعطوف عليه مرتّب بالفاء على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى السَّمَاوَاتِ﴾ أي: ويوم ينفخ في الصور؛ فيفزع من في السماوات، وترى الجبال. فدلَّت هذه القرينة القرءانية الواضحة على أن مرَّ الجبال مرَّ السحاب كائنٌ يوم ينفخ في الصور، لا الآن.

وأمّا الثاني: وهو كون هذا المعنى هو الغالب في القرءان فواضح؛ لأن جميع الآيات التي فيها حركة الجبال كلُّها في يوم القيامة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً. وَتَسِيرُ الْجِبَالُ

سَيْراً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً﴾، وقوله تعالى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ .

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ جاء نحوه في آيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾، وتسيير الجبال وإيجادها ونصبها قبل تسييرها كل ذلك صنع متقن".

فالحمد لله الذي أظهر الحجة، وأبان المحجة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

نشأة علم الفلك

وأول من قال بدوران الأرض

لما وجدت الناس معرضين عن أدلة الشريعة وفهمها على وجهها الصحيح، ورأيت إقبالهم على تأويل المتفرنجين لأدلة الشريعة حتى توافق هوى من حادَّ الله ورسوله، لم أجد بداً من الشروع في هذا البحث المضني، والذي استغرق جهداً وزمناً طويلاً للوصول إلى هذه نتائجه الباهرة، والتي تعتبر بمثابة حقائق علمية دامغة على كذب مدعي هذه النظرية الباطلة، وبطلان دعواهم أنهم بنوا هذه النظرية على المشاهدات الحسية، والتجارب العملية.

إن القول بأن الحتمية المعرفية هي التي قادت هؤلاء إلى الصدح بهذه النظريات قول لا نصيب له من الصحة، وإنما كان اعتقادهم هو الباعث الحقيقي للخروج على الناس بهذه الترهات التي ألبسوها ثوب العلم زوراً وبهتاناً.

لقد ارتبطت نشأة علم الفلك ارتباطاً وثيقاً بعبادة الأوثان، لاسيما عبادة الشمس والقمر والنجوم والكواكب.

ولقد اهتم المصريون القدماء بهذا العلم اهتماماً ملحوظاً، خدمة لآلهتهم التي يعبدونها من دون الله، إلا أنهم كانوا يرون ثبات الأرض، ودوران الشمس حولها، وأن السماء كانت مرتكزة على أربع قوائم.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن مواضع الأهرام الكبرى الثلاثة إضافة إلى مجرى نهر النيل، إنما كان محاكياً بدقة مواضع نجوم حزام الجوزاء الثلاثة مع درب اللبن، فكأنهم أسقطوها على الأرض.

كذلك كانت نشأة علم الفلك عند السومريين والأكاديين والبابليين لها ارتباط وثيق بعبادة الأوثان لاسيما الشمس والقمر والزهرة.

لقد استخدم كهنة الرافدين نظام الحساب الستيني بصفته النظام الأكثر ملاءمة للأبحاث الفلكية، ولقد أسقطوا القبة السماوية على الأرض فكانت منها الدائرة الهندسية المعروفة، ثم

قسموها إلى ستة أجزاء، كل جزء مكون من ستين درجة، فكان المجموع (360)، وبالنسبة إلى السماء قسموها إلى (12) جزءاً، كل جزء مكون من ثلاثين درجة، وهي منازل الشمس، اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثين يوماً، ومن هنا استطاعوا تقسيم دائرة السماء إلى اثني عشر برجاً من البروج المعروفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين (133): "وإنما جعلوا الهندسة مبدأً لعلم الهيئة ليستعينوا به على براهين الهيئة، أو ينتفعوا به في عمارة الدنيا، هذا مع أن براهينهم القياسية لا تدل على شئ دلالة مطردة يقينية سالمة عن الفساد إلا في هذه المواد الرياضية".

وقال أيضاً (137): "وأولئك المشركون كانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل، ويدعونها بأنواع الدعوات، كما هو معروف من أخبارهم، وما صنف على طريقهم من الكتب الموضوعة في الشرك والسحر ودعوة الكواكب والعزائم، والأقسام التي بها يعظم إبليس وجنوده، وكان الشيطان بسبب السحر والشرك يغويهم بأشياء هي التي دعتهم إلى ذلك الشرك والسحر، فكانوا يرصدون الكواكب ليتعلموا مقاديرها، ومقادير حركاتها، وما بين بعضها وبعض من الاتصالات، ليستعينوا بذلك على ما يرونه مناسباً لها.

ولما كانت الأفلاك مستديرة، ولم يكن معرفة حسابها إلا بمعرفة الهندسة وأحكام الخطوط المنحنية والمستقيمة، تكلموا في الهندسة لذلك، ولعمارة الدنيا.

فلهذا صاروا يتوسعون في ذلك، وإلا فلو لم يتعلق بذلك غرض إلا مجرد تصور الأعداد والمقادير لم تكن هذه الغاية مما يوجب طلبها بالسعي المذكور".

ويقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك"، والذي طبع في باريس سنة (1873م)، يقول ص (10و11): «لكي نحرر النظر من كل حاجز لنجعل مشاهدتنا في مكان مسطح موحد، حيث إذا نظرنا إلى الأمام أو إلى الخلف، على اليمين أو على الشمال، أياً كان الاتجاه، نتخيل أننا في مركز الصحراء، إن ربط كل النقاط التي تحد بصرنا حيث تلتقي السماء بالأرض، يكون خطاً منحنياً تام الكمال، هذا الخط المنحني المغلق من كل الاتجاهات، يحد أو يحيط مستوى دائرياً، دائرة يكون المشاهد يحتل مركزها، في الهندسة يسمى المحيط، وفي الفلك

يسمى الأفق، المشاهد يحتل المركز، كل الخطوط المستقيمة المنطلقة من المركز وتصل للأفق أو المحيط متساوية فيما بينها، بالنسبة للمهندس هي أشعة الدائرة (جمع شعاع)، بالنسبة للفلكي هي مستقيمات أفقية، المستقيمات التي تمر بالمركز والتي تصل إلى نقطتين متناظرتين من المحيط أو الأفق إنها قطر الدائرة، وهي مثل الأشعة متساوية فيما بينها، المساحة أو المستوى المتكون من جميع الأقطار (عدد غير منتهي) والذي نسميه مساحة الدائرة أو الدائرة الأفقية، هكذا كان الفلك والهندسة متطابقين عند نشأتهما أو هما شيء واحد» .

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

نظروا إلى ظاهرة الكسوف والخسوف من منظارهم الوثني، وربطوها بأحداث تتعلق بآلهتهم، لذا كانوا حريصين على معرفة وقت الكسوف والخسوف بدقة، وربطوا ذلك بعلم التنجيم، وتكهن ما يكون في المستقبل، ولقد تمكنوا –حسب كلام النقلة– من رصد (832) خسوفاً قمرياً، و(373) كسوفاً شمسياً، خلال (1903) سنة.

وقد مر علم الفلك البابلي بثلاثة أطوار:

1- الطور الآشوري الأخير (1000-612 ق.م).

2- الطور الكلداني الفلكي (612-539 ق.م).

3- الطور الفارسي الرياضي (539-331 ق.م).

ولقد ارتبطت هذه الأطوار الثلاثة ارتباطاً وثيقاً بعلم التنجيم وادعاء علم الغيب.

ولا أستبعد أن يكون كهنة الكلدانيين هم الذين ناظرهم وحاجهم خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، إذ يقول الله تبارك وتعالى حاكياً قصته معهم: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ○ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ○ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ○ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ○ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**

حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام (75-83)].

إن هؤلاء الباحثين الذين كتبوا التاريخ الحديث، وإن ادعوا النزاهة العلمية؛ إلا أن اتجاهاتهم، ومصادرهم التي رجعوا إليها، ومحاولة استخراج آثار الديانات الوثنية القديمة في شتى بقاع الأرض، كذلك تفسيراتهم لما أشكل عليهم، كل ذلك يجعلنا نجزم أنهم كانوا ذوي نزعة وثنية معادية لما جاء به الأنبياء والمرسلون من عند الله خالق السماوات والأرض، حيث إنهم اعتمدوا في نظرية نشوء الكون وارتقائه التي زعموها، بما فيها من أكاذيب وافتراءات، ونبوءات وتكهنات، وافتراضات وتخيلات، اعتمدوا في ذلك كله على ما عثروا عليه من آثار فرعونية وبابلية ويونانية وإغريقية وغيرها، حتى أوغلوا في الكذب والتضليل حين اعتمدوا على حكايات خرافية -باعترافهم-، وعلى ما وجدوه من كلام شعراء وكتاب لهم مبالغات ممجوجة، وحكايات مكذوبة، ثم سربلوا ذلك كله بسربال العلم، وأكذوبة البحث العلمي النزيه، وأبوا أن يأخذوا ولو حرفاً واحداً من الكتب المنزلة من عند الله، وناصبوا الأنبياء وأتباعهم العداء، حتى إنهم عن عمد أسقطوا ذكرهم من التأريخ، لكي يغطوا حِيَلهم بغطاء سميك، فلا يكتشف أحد كذبهم وتضليلهم، بل إن بعضهم -إمعاناً في التضليل- لم يعترف بوجود الأنبياء أصلاً، وقالوا -وإن يقولون إلا كذباً- بأنهم لم يكونوا سوى خرافات وأكاذيب لا حقيقة لها، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثم أمعنوا في تضليل الخلق بعد ذلك حيث جعلوا ذلك الخداع والتضليل المنافي لما جاء به الأنبياء يدرس في المدارس والجامعات، بل منعوا الحقيقة من أن تزاحم كذبهم في جامعاتهم، حتى يخلو لهم الجو، وصار المتلقن يتلقن أحابيلهم في المدرسة والجامعة، وعلموه

كيف يرد على ما جاءت به الأنبياء، بحيل دنيئة، وباطل مزين، وعلم مزيف، حتى جرؤوا الخلق على الخالق، بل إنهم حكموا على كل من لم يوافقهم في المذهب بإماتة ذكره، وإدراجه في طي الكتمان، حتى يخيل إلى الناس أن لا ثمة شيء يخالف مذهبهم، يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص(313): "فلكيو القرن السادس عشر الذين رفضوا فكرة كوبرنيك كانوا كثرةً، وبدلاً من ذكرهم لابد أن نحكم عليهم بالنسيان، وهذا لن يكون إلا العدل".

واستخدموا أيضاً لنشر أباطيلهم ما استخدمه أسلافهم الوثنيون، للتأثير على قطاعات عريضة من الرعاع، وإقناعهم بأسلوب سحري فريد، ألا وهو المسرحية والتمثيل، فقد استخدم الوثنيون القدامى المسرحيات لإظهار قداسة آلهتهم، مثل مسرحيات أوزيريس في مصر القديمة، والمسرحيات الأورفية القديمة، والمسرحيات اليونانية والإغريقية، وكيف صوروا حب إلههم زيوس لعشيقته أوروبا، التي افتتن بجمالها زيوس فتحول إلى ثور وخطفها، وحملها إلى كريت، وإثر اختفاء أوروبا بنى لها الفينيقيون معبداً عظيماً تخليداً لذكراها، وكيف صوروا صراع زيوس والطيطانيس في سبيل السيطرة على العالم، وكل ذلك محض أكاذيب وافتراءات وتخيلات هسيود في ملحمة الثيوغونيا، وكذلك ما كتبه هوميروس في ملحمة الإلياذة والأوديسا، وما جاء في الملحمة الجرمانية "هلاك الآلهة"، وملحمة "كاليفالا" للشعب الكاريلي البلطيقي، وملحمة "الإيدا الكبرى" للشعب الأيسلندي، وملحمة "الرامايانا" و"المهابهاراتا" الهندية، وكذلك ما جاء في أساطير السلاف الوثنية القديمة، وأساطير الصين الوثنية القديمة، وأساطير الهنود الحمر، وغيرهم.

إن الناظر في هذه الأكاذيب يتبين له كيف حول المؤرخون الوثنيون أحداث هذه المسرحيات والقصص إلى حقائق تاريخية في نشأة الكون، وما اعترى الأرض والكواكب والنجوم من تغييرات أو تكوينات، وكل ذلك لا يقبل الشك أو النقد، بينما ينهالون بالتسفيه والتكذيب على الأنبياء وما جاؤوا به من عند الله تعالى.

لقد اعترف هؤلاء بأن الكتب السماوية كانت تحض المؤمنين ألا يشاركوا الأمم الوثنية في علومهم الشركية مثل السحر والتنجيم وادعاء علم الغيب وما ارتبط بها من علم الفلك والهيئة،

يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ناقلاً نصاً من التوراة ص (83): «اسمعوا ماذا يقول لكم الرب، أبناء إسرائيل، لا تكونوا أتباعاً لأخطاء الأمم، لاتخافوا أبداً من علامات السماء (النجوم) مثل باقي الأمم»، ثم يتابع منكراً قائلاً: إن العلم هو العمل المشترك للجنس البشري، بدون تمييز لجنس، ولكن شعب مثل شعب بني إسرائيل، يحرِّم كل تبادل فكري وكل تبادل للأنوار [قلت: يدعون بأن وثنياتهم وشركهم نور] مع باقي الأمم الغير موحدة [يعني: التي تقول بتعدد الآلهة وتعترف بالوثنية] لابد أن يبقى بمحض إرادته خارج الحركة العامة للعلم" .

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

ولذلك فإنهم يعتبرون أن إحدى الكوارث على تاريخ العلم والحضارة، لا سيما علم الفلك، هي اعتناق الامبراطورية الرومانية للنصرانية، والذي أدى بدوره إلى انحسار النشاط العلمي والحضاري بشكل كبير، ويقولون بأن تطور علم الفلك كان قد توقف عملياً من القرن الثاني الميلادي إلى القرن السابع، ولم تعترف الكنيسة الأوروبية بشيء من التراث الإغريقي القديم إلا بعد قرون، ولم تسمح لشيء منه بالتدريس في الكنائس والمعاهد العلمية إلا ما كان قريباً ولو نوعاً ما من أصول ديانتها، مثل تعاليم أفلاطون المثالية، أو آراء أرسطو، وأما تعاليم الذريين المادية الإلحادية فقد تعرضت لملاحقات ضارية، فبعد اعتناق النصرانية اختفى كثير من مؤلفات ديموقريط وإيبيقور وأمثالهم.

لقد اعترفوا –وبكل وقاحة– بأن عقائد الكنيسة كانت تستند بشكل واضح على نظام مركزية الأرض في النظرة إلى الكون، فقالوا مثلاً: إن عقيدة اصطفاء الله تعالى للجنس البشري على الأرض، مع جملة من العقائد التي أكدت عليها التوراة: سوف تفقد كل مغزى إذا ما أقرت بدوران الأرض، أو بأنها مجرد كوكب ضئيل لا يسوي شيئاً في هذا الفضاء الهائل.

[أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة. تأليف: س.بريوشينكين. ص (267-270)]

قام فاليس من ميلتوس (624-547 ق.م) بنقل علوم بابل ومصر وفينيقيا إلى اليونان، حيث تعلم على أيدي كهنة مصر الرياضيات والفلك، ثم جاء بعده من سار على منواله، مثل

أناكسيماندرس، وأناكسيمين، وهيراقليط، وكان لكل منهم إضافاته في علم الفلك.

لقد كان لفلاسفة اليونان دوراً فاعلاً في وضع قواعد ومناهج للفكر الوثني، وأصلوا العداء بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، القائم على الجدل، ومحاولة التشويش على الحجج العقلية الدامغة، بحجج شيطانية باهتة، إنما تروج على أتباعهم، ولم يكفُّوا عن تزيين الباطل وعبادة الشيطان؛ حتى ابتدعت بعض مدارسهم فكرة رفض خضوع الإنسان لما يسمى بالآلهة، يعنى: رفض عبودية الإنسان لإله ما أياً كان ذلك الإله؛ حقاً أم باطلاً، فهذا ديموقريط -ومن قبله أستاذه ليكيبوس- اللذين جعلا أصل الأشياء جميعاً يرجع في تكوينه إلى الذرة، وجعل عالم الذرات عالماً حتمياً حتمية صارمة، لا وجود لإرادة الإله فيه، لكنه حسب زعمه خاضع خضوعاً تاماً للقوانين الطبيعية التي تحكمه بكل صرامة ودقة، فنفوا بذلك مسألة القدر بمراتبها الأربعة [العلم والكتابة والإرادة والخلق]، بل نفوا الخلق والتدبير.

هذه المدرسة هي أصل المدرسة القائلة بأن الحياة مادة ولا إله، وقد عارضتها مدرسة سقراط وتلميذه أفلاطون، اللذين قالا بإثبات الصانع والصفات وحدوث العالم وإنكار عبادة الأصنام، حيث قيل بأنهما أخذا ذلك من أتباع الأنبياء بالشام، وبسبب ذلك قُتل سقراط بالسم، وقد قالا أيضاً بتناسخ الأرواح، كما يوجد في كلامهما الكثير من الباطل والضلال وخلاف ما جاء به الأنبياء، ثم جاء بعدهما أرسطو -تلميذ أفلاطون- فقال بقدم العالم، وازداد غلواً في الكفر [وانظر: الفرق بين الفرق (254). المنقذ من الضلال (20). الملل والنحل للشهرستاني (2/83و88). مجموع فتاوى شيخ الإسلام (35/182). إغاثة اللهفان (2/264). الصواعق المرسلة (3/816و849). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (70)].

ولقد كان لأفلاطون أثر كبير في تطور علم الرياضيات والهندسة، ومن ثم علم الفلك، وتكلم في أصل نشأة الكون بكلام عقلي باهت، وكأنه كان مشاهداً له وقت خلقه، وما زالت بذوره التي اخترعها وابتدعها في نشأة الكون محل تقديس إلى اليوم، وتلامذته ثلاث فرق: الإشراقيون، والرواقيون، والمشاؤون.

ثم جاء من بعده أرسطو والذي كان له أعظم الأثر على الفكر الإنساني الضال المنحرف، وابتدع أقوالاً خرج فيها عن طريقة أسلافه وأساتذته، هي أعظم فساداً وإفساداً من سابقيه، ولقد دخل كثير من بنات أفكاره على أتباع الأنبياء من النصارى والمسلمين، ولقد كان كلامه في الإلهيات ما هو إلا محصلة ونتيجة لكلامه في الرياضيات والفيزياء والفلك، إذ الأربعة عندهم كلٌ واحد لا يتجزأ، وهذا هو الذي أدى به إلى القول بوجود محرك ساكن بدئي عنه تنشأ حركة الأشياء، وهو أيضاً القائل بأن هذا المحرك الأزلي الساكن لابد أن يبقى دائماً مساوياً لنفسه، غير قابل للقسمة، وليس له أجزاء، ولا أي مقدار، وكلامه هذا هو الذي قاد من قال بالتعطيل ونفي الصفات ووحدة الوجود من أتباع الأنبياء من النصارى والمسلمين، حتى أوصلهم إلى عبادة العدم، كما أن أرسطو هو أول من ينسب إليه القول بقدم العالم، وأما من تقدمه من الفلاسفة فإنهم يقولون بحدوث العالم، وقد جرى على قول أرسطو جماعة من أتباع الأنبياء، والحاصل أن كلامه في الإلهيات إنما هو ناتج عن كلامه في الطبيعيات.

*[**العلم المستيقظ، ولادة علم الفلك**. تأليف: فان دير واردن. **عجلة الزمن**. تأليف: ف. ي. لاريشيف . **أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة**. تأليف: س.بريوشينكين]*

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية (372/1): "أن جميع العقلاء الذين خبروا كلام أرسطو وذويه في العلم الإلهي علموا أنهم من أقل الناس نصيباً في معرفة العلم الإلهي، وأكثر الناس اضطراباً وضلالاً، فإن كلامه وكلام ذويه في الحساب والعدد ونحوه من الرياضيات مثل كلام بقية الناس، والغلط في ذلك قليل نادر، وكلامهم في الطبيعيات دون ذلك غالبه جيد، وفيه باطل، وأما كلامهم في الإلهيات ففي غاية الاضطراب مع قلته، فهو لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، هو قليل كثير الضلال عظيم المشقة، يعرفه كل من له نظر صحيح في العلوم الإلهية، فكيف يستدل بكلام مثل هؤلاء في العلم الإلهي وحالهم هذه الحال" [وانظر: درء التعارض (143/10)].

وقال في درء التعارض (65/5-66) في الرد على ابن سينا -وهو أشهر من نقل كلام أرسطو-: "وهل وجد في العالم أمة أجهل وأضل وأبعد عن العقل والعلم من أمة يكون رؤوسها

فلاسفة.

أو لم تكن أئمتكم اليونان كأرسطو وأمثاله: مشركين يعبدون الأوثان، ويشركون بالرحمن، ويقربون أنواع القرابين لذرية الشيطان.

أو ليس من أعظم علومهم السحر، الذي غايته أن يعبد الإنسانُ شيطاناً من الشياطين، ويصوم له ويصلي، ويقرب له القرابين، حتى ينال بذلك عرضاً من الدنيا، فساده أعظم من صلاحه، وإثمه أكبر من نفعه.

أو ليس أضل الشرك في العالم هو من بعض هؤلاء المتفلسفة.

أو ليس كل من كان أقرب إلى الشرائع ولو بدقيقة؛ كان أقرب إلى العقل ومعرفة الحقيقة، وهل رأيت فيلسوفاً أقام مصلحة قرية من القرى، فضلاً عن مدينة من المدائن، وهل يصلُح دينه ودنياه إلا بأن يكون من غمار أهل الشرائع.

ثم يقال له: أنت وأمثالك أئمة أتباعكم، وهذا قولك وقول أرسطو، وأمثالكم من أئمة الفلاسفة في واجب الوجود، وصفاته وأفعاله، مع دعواكم نهاية التوحيد، والتحقيق والعرفان، قول لا يقوله إلا من هو من أجهل الناس وأضلهم، وأشبههم بالبهائم من الحيوان.

وكون الواحد منكم حاذقاً في طبٍ أو نجومٍ أو غرسٍ أو بناءٍ، هو لقلة معرفتكم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته، وقلة نصيبكم وحظكم من هذا المطلب، الذي هو أجل المطالب، وأرفع المواهب، فاعتصم بالأدنى عن الأعلى إما عجزاً وإما تفريطاً.

ولا ريب أن أئمة اليهود والنصارى بعد أن بدلوا الكتاب، ودخلوا فيما نهوا عنه: أحذق وأعرف بالله من أئمتكم.

وعوام اليهود والنصارى الذين هم ضالون ومغضوب عليهم: أصح عقلاً وإدراكاً، وأصوب كلاماً في هذا الباب من عوام أصحابكم، وهذا مما لا يشك فيه من له عقل وإنصاف.

واعتبر ذلك بعوام النصيرية والإسماعيلية والدرزية والطرقية والعرباء، وعوام التتر المشركين الذين كان علماؤهم المشركون السحرة من البخشية والطوينية وأمثالهم، وكان خيار علمائهم رؤوس الملاحدة مثل النصير الطوسي وأمثاله، وكذلك عوام أتباع سنان رأس الملاحدة وأمثاله،

فاعتبر عوام هؤلاء مع عوام اليهود والنصارى تجد عوام اليهود والنصارى أقل فساداً في الدنيا والدين من أولئك، وتجد أولئك أفسد عقلاً وديناً.

وأما متوسطوكم كالمنجمين والمعزمين وأمثالهم ففيهم من الجهل والضلال والكذب والمحال مالا يحصيه إلا ذو الجلال، وهل كان الطوسي وأمثاله ينفقون عند المشركين من التتر إلا بأكاذيب المنجمين ومكايد المحتالين المنافية للعقل والدين.

وأما أئمتكم البارعون كأرسطو وذويه فغايته أن يكون مشركاً سحاراً، وزيراً لملك مشرك سحار، كالإسكندر بن فيلبس، وأمثاله من ملوك اليونان الذين كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان،...

وهذا الكلام وأمثاله إنما قيل للمقابلة لما في كلام هؤلاء من الاستخفاف بأتباع الأنبياء.

وأما أئمة العرب وغيرهم من أتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كفضلاء الصحابة مثل: أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي الدرداء وعبد الله بن عباس، ومن لا يحصى عدده إلا الله تعالى، فهل سمع في الأولين والآخرين بعد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بقوم كانوا أتم عقولاً وأكمل أذهاناً وأصح معرفةً وأحسن علماً من هؤلاء" [وانظر: درء التعارض (49/4) و(286/8) و(253/9و261و272و293و398) و(90/10). الرد على المنطقيين (106و268و283و394). مجموع الفتاوى (83/2) و(136/4) و(539/5) و(331/6) و(134/9) و(593/12) و(351/17)].

وقال في بيان حقيقة الفلاسفة، وما قالوه في الإلهيات (399/9): "والفلاسفة طوائف متفرقون، لا يجمعهم قول ولا مذهب، بل هم مختلفون أكثر من اختلاف فرق اليهود والنصارى والمجوس، وكلام المشائين في الإلهيات كلام قليل الفائدة وكثير منه بلا حجة".

وقال أيضاً في المفاضلة بين أتباع الأنبياء وبين الفلاسفة، وفي سبب اشتغالهم بعلم الفلك (301/10): "ثم من نظر في أخبار الأمم الذين لم يكن لهم كتاب كالروم واليونان ونحوهم: علم أن النصارى أكمل منهم في الإلهيات وأفضل، وأعلم منهم وأعقل، وإنما كان يكون حذق

تلك الأمم في غير العلوم الإلهية: كالطب والحساب والهيئة ونحو ذلك.

وأعظم اشتغالهم بالهيئة إنما كان لأجل الشرك والسحر ودعوة الكواكب والأوثان من دون الله؛ فإنهم يقولون إنهم يستخرجون قوى الأفلاك، ويمزجون بين القوة الفعالة السماوية، والقوى المنفعلة الأرضية".

أول من قال بالدوران

➢ وكان أول من وقفت عليه ممن قال بدوران الأرض: **فيثاغورس** الساموسي اليوناني (588-503 قبل الميلاد)، وهو فيلسوف رياضي وفلكي شهير، طاف مصر والشام وبابل، واقتبس منها علومه ومعارفه وعقائده الوثنية، وقد قيل بأنه أخذ عن لقمان الحكيم، ومنهم من بالغ فقال بأنه من تلامذة سليمان عليه السلام، ولا يصح هذا ولا ذاك، وإنما تعلم على أيدي بعض الكهنة في مصر، وبعض الكهنة البابليين، أسس المدرسة الفيثاغورية الوثنية التي قامت على أفكار رياضية وصوفية، وقال بكروية الأرض والأجرام السماوية، وأنها تتحرك بحركة مستديرة حول نار مركزية في مركز الكون، وهي عندهم نار مضيئة بذاتها، ومنها تستمد الشمس حرارتها، فتعكس الحرارة على الأرضين والقمر، واعتقد في خصائص الأعداد الأولية، وكان يرى أن الأعداد المجردة موجودة خارج الذهن، وقال بتناسخ الأرواح، وهو القائل بفكرة التناغم الكوني، حيث ادعى أنه عرج بنفسه إلى العالم العلوي، فسمع بصفاء جوهر نفسه وذكاء قلبه نغمات الأفلاك، وأصوات حركات الكواكب، ثم رجع إلى استعمال القوى البدنية ورتب عليها الألحان والنغمات، وكمل علم الموسيقى، وعمل العود، وقد تأثر به جداً جوهانز كبلر، وأقام على أساسه معتقده في الكون، يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص (104): "فيثاغورس اعتقد بأنه وجد في النوتة الموسيقية تناغم القبة السماوية، فالكواكب السبعة السيارة لابد وأنها تتناظر مع الأصوات السبعة للسلم الموسيقي، ومسافاتها، أو مجالاتها، لابد أن تعطي نفس النسب".

أفرغ فيثاغورس خلاصة الوثنيات القديمة في تقديس إله مكون من ثلاثة أقانيم، مأخوذ من تقديس العدد ثلاثة، لكونه أكمل الأعداد، ومن ثم أوجد له تنظيراً فكرياً معتمداً على استمداد هذا المعنى التثليثي من قوانين الطبيعة عل زعمه، ولا تغتر بما كتبه عنه الشهرستاني في الملل والنحل (74/2). وانظر: المنقذ من الضلال (20). شرح المقاصد للتفتازاني (18/2). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (32و61).

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND

HOEFER - PARIS 1873)

➢ وتبعه على ذلك **فيلولاوس**، وهو فيلسوف فلكي فيثاغوري (عاش زمن سقراط في القرن الخامس قبل الميلاد)، وهو أقدم فلكي فيثاغوري بعد مؤسس المدرسة، ونظريتهم في الكون: أنه كروي محدود، وفي مركزه تقع نار مركزية، تدور حولها عشرة أجسام، الجسم الأول: هو الأرض المقابلة المرافقة للأرض، والتي تحجب عنها النار، والجسم الثاني الأرض نفسها، ثم القمر والشمس والسيارات الخمسة، وأخيراً النجوم الثابتة، ولسنا نرى الأرض المقابلة لأن أرضنا تدير ظهرها إلى مركز الكون، وهذا يعني: أنها تدور حول محورها، وحول مركز الكون.

يقول فيلولاوس: "إن الأرض تتحرك، ولكن ليس إلى الأمام، إنما تدور حول محورها كالعجلة من الغرب نحو الشرق"، وقد أقام الفيثاغوريين نظريتهم عن الكون بناءً عن اعتقادهم في الأعداد، وأنها أصل الأشياء كلها، إذ كل شيء عندهم هو عدد.

ولقد أقام فيلولاوس برهانه على هذه النظرية، والذي ينبئ عن حقيقة عبادتهم للشيطان، في صورة الشمس أو النار، والذي ينقله لنا أرسطو، حيث ينقل عنه فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص(110) يقول أرسطو نقلاً عن فيلولاوس: "إن مكان الشرف لابد أن يحتله الأكثر رفعة، ولكون النار أكثر رفعة من الأرض؛ فإن الأرض تدور حول النار في حركة دائرية"، وهو في ذلك يتبع إمامه إبليس في القياس الفاسد حين أُمر بالسجود لآدم فقال: ﴿**أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف(12)].

وهذا هو نفس البرهان الذي احتج به بيير بورل (1620-1671م) على تعدد العوالم إذ يقول في كتابه "منطق جديد يثبت تعدد العوالم" ص (12): "إن الذين يتخيلون أن العدد اللانهائي من الأجرام السماوية قد خلق من أجل كوكب الأرض وسكانها قد أخطؤوا خطئاً جسيماً، لأن المنطق الطبيعي يجعلنا لا نقبل بأن الأشياء الكبيرة تنقاد للأشياء الصغيرة، وبأن الأكثر رفعة يخدمون الأكثر ضعة".

[Discours nouveau prouvant la pluralité des mondes [Texte imprimé]: que les astres sont des terres habitées et la terre une estoile, qu'elle est hors du centre du monde dans le

troisiesme ciel et se tourne devant le soleil qui est fixe, et autres choses très curieuses / par Pierre Borel . Genève: [s.n.], 1657]

➢ وكان ممن عاصره: **هيسيتاس**، وهو فلكي يوناني، يعتقد أن السماء والشمس والقمر والنجوم وكل الأجرام السماوية: ساكنة فاقدة الحركة، ولا يوجد جرم متحرك غير الأرض، فهي تدور حول محورها بسرعة كبيرة.

➢ جاء بعدهم **هيراقليدس** (388-315 قبل الميلاد)، وهو فلكي يوناني، تتلمذ على يد أفلاطون، له نظرية تقول: إن الكون لا نهائي، والأرض تقع في وسط المجموعة الشمسية، والشمس والقمر والكواكب العليا تدور حول الأرض، أما الزهرة وعطارد الكوكبان السفليان فيدوران حول الشمس، واعتقد أيضاً أن الأرض تدور يومياً حول محورها، وقد مهد بذلك لنظرية تيكو براهي، ومزاعم برونو.

➢ ثم جاء بعد ذلك **أريستارخوس** الساموسي اليوناني (310-230 قبل الميلاد) وهو فلكي رياضي من مدرسة الإسكندرية القديمة، قال بأن الشمس تقع في مركز الكون، والأرض تدور حولها سنوياً، وتدور حول محورها يومياً، وكذلك الكواكب السيارة تدور حول الشمس، عدا القمر فإنه يدور حول الأرض، وأما النجوم فهي ثابتة، وحركتها اليومية ليست سوى خدعة بصرية مرجعها دوران الأرض حول محورها في الاتجاه المضاد، واستنتج ذلك من كون الشمس أكبر من الأرض، وأنه ليس من المعقول أن تتحكم الأرض الصغيرة بحجم كبير كالشمس، وقاس أيضاً بُعد الشمس والقمر عن الأرض، وحجم كل واحد بالنسبة إلى الآخر.

➢ وقد آمن بأفكاره تلك: **سليوكوس**، وهو فلكي بابلي (عاش في النصف الأول من القرن الثاني قبل الميلاد)، وقد حاول تفسير ظاهرة المد والجزر بحركة القمر.

وقد حزن كثيراً المؤمنون بمركزية الشمس على ضياع أفكار أريستارخوس في ظل هيمنة أفكار الفلاسفة الكبار أمثال أفلاطون (427-347 قبل الميلاد)، وأرسطو (384-322 قبل الميلاد)، وهيبارخوس (194-120 قبل الميلاد)، وبطليموس (100-178م)، وغيرهم من

الذين آمنوا بمركزية الأرض.

- ومن قال أيضاً بدوران الأرض حول محورها: **آريبهاتا** (*Aryabhata*) (476-550م) أحد وثنيي الهند.

- ثم قام لنصرة أفكار أريستارخوس الوثنية من كان على شاكلته ممن ينتسب في الظاهر لملة الإسلام، وانكب على علوم اليونان، محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين **الطوسي** (597-672هـ) (1200-1273م) الفيلسوف، وقد كان وزير الملاحدة الإسماعيلية أصحاب قلاع الألموت، ثم صار منجّماً مسيِّراً لهولاكو خان، ذا منزلة عظيمة عنده، وكان يطيعه في كل ما يشير به عليه، ووضع الأموال تحت تصرفه، وابتنى في مراغة [تقع في إيران الآن، خارج مدينة تبريز الإيرانية]، قبةً ومرصداً عظيماً، واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فسيحة الأرجاء، وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة، وهو الذي أشار على هولاكو - هو والوزير ابن العلقمي الرافضي الخبيث - بأن لا يصالح الخليفة العباسي، وأَمَراه بقتل الخليفة والعلماء والأمراء وأهل الحل والعقد، إلى غير ذلك من الطامات والأفعال الشنيعة التي وقعت ببغداد، وقد نعته ابن القيم في الصواعق المرسلة (790/2) بقوله: "أم ترضون بعقل نصير الشرك والكفر والإلحاد الطوسي؟ فإن له عقلاً آخر خالف فيه سلفه من الملحدين، ولم يوافق فيه أتباع الرسل"، وقال في إغاثة اللهفان (266/2): "وكان ابن سينا كما أخبر عن نفسه، قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم، فكان من القرامطة الباطنية، الذين لا يؤمنون بمبدأ، ولا معاد، ولا رب خالق، ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى، وكان هؤلاء زنادقة يتسترون بالرفض، ويبطنون الإلحاد المحض، وينتسبون إلى أهل بيت الرسول، وهو وأهل بيته برآء منهم نسباً وديناً، وكانوا يقتلون أهل العلم والإيمان، ويدعون أهل الإلحاد والشرك والكفران، لا يحرمون حراماً، ولا يحلون حلالاً، وفي زمنهم ولخواصهم وضعت رسائل إخوان الصفا، **ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة، النصير الطوسي، وزير هولاكو**، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة

والمنجمين والطبائعيين والسحرة، ونقل أوقاف المدارس والمساجد والربط إليهم، وجعلهم خاصته وأولياءه، ونصر في كتبه قِدَم العالم، وبطلان المعاد، وإنكار صفات الرب جل جلاله، من علمه وقدرته وحياته وسمعه وبصره، وأنه لا داخل العالم ولا خارجه، **وليس فوق العرش إله يعبد ألبتة**، واتخذ للملاحدة مدارس، ورام جعل إشارات إمام الملحدين ابن سينا مكان القرآن، فلم يقدر على ذلك، فقال: هي قرآن الخواص، وذاك قرآن العوام، ورام تغيير الصلاة، وجعلها صلاتين، فلم يتم له الأمر، وتعلم السحر في آخر الأمر، فكان ساحراً يعبد الأصنام، وصارع محمدُ الشهرستاني ابنَ سينا في كتاب سماه المصارعة، أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم، فقام له نصير الإلحاد وقعد، ونقضه بكتاب سماه مصارعة المصارعة، ووقفنا على الكتابين، نصر فيه: أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئاً، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث من في القبور، وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الملحدين الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر" [وانظر: درء التعارض (44/10و57و59). منهاج السنة (445/3). المنتقى من منهاج الاعتدال (161). تاريخ الإسلام (114/50). البداية والنهاية (201/13و215و267). السلوك (88/2). الوافي بالوفيات (147/1). طبقات الشافعية الكبرى (271/8). هدية العارفين (131/6). الأعلام للزركلي (257/7). العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية (233)]، والخواجة الطوسي هذا كان أول من أكمل مسيرة فلاسفة اليونان الوثنيين، فاقترح هيئة جديدة تخالف هيئة بطليموس، أودعها كتابه "التذكرة النصيرية".

➢ ثم سار على دربه **ابن الشاطر**، وهو: علاء الدين علي بن إبراهيم بن محمد بن الهمام (705-777هـ) (1304-1375م)، الذي درس في القاهرة والإسكندرية علمي الفلك والرياضيات، وبرع فيهما، وكان رئيس المؤذنين بالجامع الأموي بدمشق، وابتكر كثيراً من الآلات مثل الأسطرلاب، وصنع آلة لضبط وقت الصلاة سماها "البسيط"، وصحح المزاول الشمسية، وظلت كتبه في الأسطرلاب والمزاول الشمسية متداولة لعدة قرون في كل من الشام، ومصر، وسائر البلاد الإسلامية؛ حيث كانت يعتمد عليها لضبط الوقت في العالم الإسلامي، كما نجح

ابن الشاطر في قياس زاوية انحراف دائرة البروج بدقة كبيرة، كما قام تلبيةً لرغبة الخليفة العثماني مراد الأول بتأليف زيج جديد [وهو كتاب فلكي يسجل فيه الملاحظات الفلكية، ونتيجة الأرصاد، وهو عبارة عما يسمى بالجداول الفلكية، التي يعرف منها سير الكواكب والنجوم، والتي شاع استخدامها في التنجيم ومعرفة الطالع، وادعاء علم الغيب]، وكان منجِّماً، وقال – مخالفاً لهيئة بطليموس – بأن الأرض تدور حول نفسها مرة كل يوم، وحول الشمس مرة كل سنة، والقمر يدور حول الأرض، وقد حذا في ذلك حذو سابقه نصير الشرك الطوسي، فقال: "وشرعتُ في تقرير التحريرات الرصدية الجديدة، حاذياً حذو العلامة النصير، ومقتفياً أثر المعلم الكبير، وربما نقلت عبارته بعينها، وزدت فيه من الوجوه القريبة، والتحريرات الغريبة"، وأودع شرح هذه النظرية في كتابه: "تعليق الأرصاد" [مفقود]، واختصره في "نهاية السؤل في تصحيح الأصول" [مخطوط]، وذكرها أيضاً في "الزيج الجديد" [مخطوط]، وعلل ذلك بقوله: "إنه إذا كانت الأجرام السماوية تسير من الشرق إلى الغرب، فالشمس إحدى هذه الكواكب تسير، ولكن لماذا يتغير طلوعها وغروبها؟ وأشد من ذلك أن هناك كواكب تختفي وتظهر سمَّوْها الكواكب المتحيرة، لذا الأرض والكواكب المتحيرة تدور حول الشمس بانتظام، والقمر يدور حول الأرض"، وليس في ذلك من حجة وبرهان لتأويل ظواهر الكتاب والسنة، بل مثل ذلك مما يفسره القرآن باختلاف المشارق والمغارب، لكن لما عميت بصائرهم عن إدراك الحقائق، خبطوا في الظلمات تائهين، مستمسكين بحبائل أهل اليونان الوثنية البالية، وله مؤلفات عديدة في علم الفلك، وآلاته، وفي السحر وطلاسمه، وله كتاب في الزيرجة سماه: "نزهة السرائر في إخراج الضمائر"، والزيرجة – أو: الزايرجة – ضرب من ضروب العرافة، ويسمى علم أسرار الحروف، وهو من فروع علم السيمياء، الذي هو أحد ضروب السحر، وهو ادعاء علم الغيب عن طريق تكسير الحروف وحسابها بحساب الجمل، يستخدم فيه الأسطرلاب، لمعرفة مواقع البروج، وهو من القوانين الصناعية لاستخراج الغيوب، ويتم فيه استخراج الجواب لما سئل عنه من المسائل بتكسير الحروف المجتمعة من السؤال على قانونه، ليخرج الجواب منظوماً في بيت من الشعر [انظر: الوافي بالوفيات (12/20). منادمة الأطلال (364). تاريخ ابن خلدون

(400/1-420). كشف الظنون (906/1) و(948/2). أبجد العلوم (300/2و311). شذرات الذهب (252/6). العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية (423). بناة الفكر العلمي في الحضارة الإسلامية. وغيرها].

➢ ولا يفوتني التنويه بالمنجم أحمد بن محمد بن عبد الجليل **السجزي** (ت415هـ/1204م)، رياضي مهندس، وفلكي منجم، يقال بأنه شيعي، وهو ممن قال بحركة الأرض حول محورها، وهو الذي ابتكر الأسطرلاب الزورقي المبني على أن الأرض متحركة تدور حول محور لها.

➢ والتنويه أيضاً بأبي الريحان **البِيروني** المنجم محمد بن أحمد (362-440هـ)، وهو فيلسوف فلكي ورياضي وطبيب ومؤرخ وشاعر، زامل ابن سينا قرابة عشرين عاماً، متهم بالقرمطة والكفر، وهو ممن قال بحركة الأرض حول محورها، وأن الشمس هي مركز الكون الأرضي، افترض ذلك في كتاب "مفتاح علم الهيئة" وكتاب "تحقيق ما للهند من مقولة"، وهو صاحب كتاب "التفهيم لأوائل صناعة التنجيم"، وهو كتاب مشهور في صنعة التنجيم وادعاء علم الغيب، وكتاب "القانون المسعودي في الهيئة والنجوم"، وغيرهما [انظر: الأنساب (429/1). معجم الأدباء (122/5). الوافي بالوفيات (91/8). عيون الأنباء في طبقات الأطباء (459). تاريخ الإسلام (314/29)].

كما كان هناك عدد كبير ممن اعتنى بدراسة علم الفلك والهيئة ممن ينتسب إلى ملة الإسلام، ولم يظهروا القول بالدوران، وذلك خوفاً من اتهامهم بالزندقة ومخالفة الكتاب، كما روَّج بعضهم لهذا العلم من جهة خدمته لبعض الحرف والصناعات، مثل الزراعة والملاحة، ومعرفة أوقات العبادات، وغير ذلك [انظر: "تاريخ علم الفلك" تأليف فرديناند هوفر ص (269)].

وبعد هؤلاء الملاحدة من أهل ملة الإسلام: أخذ الرايةَ منهم هراطقةُ النصارى.

➢ فكان رائدهم **نيكولا كوبرنيك** (1473-1543م)، فيلسوف بولندي، درس اللاهوت، والقانون، والطب، والفلك، والرياضيات، والفيزياء، تأثر بنظرية فيثاغورس وأفكار

مدرسته، كما تلقى تعليمه في بادوا وبولونيا، وعُيِّن كاهناً، يشير كتاب حركة الأجرام السماوية إلى أن مؤلفه قرأ معظم ما أُلِّف في الفلك، لا سيما ما نسب إلى فيلولاوس وهيسيتاس وهيراقليدس وأريستارخوس وبلوتارخ وآتيوس، واطلع على ملاحظات الطوسي وابن الشاطر، وبناءً عليها أَلَّف كتاب «حركة الأجرام السماوية»، واعتمد فيه على نفس فرضيات أرسطو وبطليموس مثل المدارات الدائرية، والحركة الثابتة للأجرام، وفكرة الدحروج والناقل، ولم يأت بجديد على كتاب المجسطي سوى أن وضع الشمس في المركز، وعدل الهيئة بناء على ذلك، وتخلص من الدحروج والناقل بنقل الحركة إلى الأرض، فهذا النموذج الجديد للسماوات لا يقل تعقيداً عن نموذج بطليموس، بل ولا يقل عنه أخطاءً، وقد نسب تأليف هذا الكتاب إلى كوبرنيك.

[اختلاف المنظر النجمي. هيرشفيلد. ص (75)]

[The Life of Copernicus (1473-1543): the man who did not change the world
By Pierre Gassendi, Olivier Thill
Published by Xulon Press, 2002][ص (113-109)]

[The Astronomical revolution: Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison. – Herman: Paris , Methuen: London , Cornell University Press: New York]

في منظومة كوبرنيك الجديدة نحتاج إلى (34) دائرة ضرورية لتفسير حركة الأجرام السماوية، في مقابل (55) دائرة طرحها أرسطو في كتابه «ما وراء الطبيعة» *Metaphysics,XII,8*، ومع ذلك فإننا في الحقيقة لم نستفد كثيراً من المنظومة الجديدة المقترحة من قبل كوبرنيك في حساب حركة الكواكب، فإنها ليست أقل تعقيداً من سابقتها، ولا أبسط منها بشكل ملحوظ.

فلو أن رياضياً حاذقاً حاول أن يعقد مقارنة حسابية بين النظامين فلن يجد الفرق واضحاً، إن *Otto Neugebauer* صرح ب:"إن عدد الخطوات لحساب مواقع الكواكب هو نفسه

في النظامين".

يقول Owen Gingerich وهو يعبر عن أسفه –وهو في ذلك يتفق مع Otto Neugebaner في وجهة نظره–: "إن هذه الأسطورة تدعي بأن القول بفرضية مركزية الشمس سوف يؤدي إلى خفض عدد الدوائر بشكل كبير، وأن حركة الأرض كان ثمناً مقبولاً لدفعه مقابل هذا التبسيط، في هذه الأسطورة ليس هناك حقيقة, إن كل جزء من تفاصيل نظام كوبرنيك له نفس تعقيد نظام بطلميوس [...]، ومن المحزن! أن هذه الأسطورة سوف تدوم بلا ريب –مما يعتبر مخجلاً– لأنها تقدم حافزا لما يعتبر في الواقع واحدة من أكبر القفزات التي عرفت في تاريخ العلم".

[The Life of Copernicus (1473-1543): the man who did not change the world
By Pierre Gassendi, Olivier Thill
Published by Xulon Press, 2002][(137-135) ص]

يشرح ألكسندر كوير في كتابه الثورة الفلكية ص(55) مبيناً أن الجدال بين كوبرنيك والمدافعين عن الكون التقليدي كان مثيراً للفضول:

حيث إن الاعتراض الأساسي لكوبرنيك على مركزية الأرض يتلخص حول هذا الطرح: كيف يدور الكل حول الجزء؟ وهو نفس اعتراض نيوتن، حيث قال: كيف يمكن إعطاء الحركة للكون الغير متناهي في الكبر، ليدور حول حبة متناهية في الصغير؟!

وأما المدافعين عن الكون التقليدي فيرون أن كوبرنيك أتى بهذه الفكرة من خلال عكس حجة أرسطو، حيث يرى أرسطو أن الكون له نهاية وحد يحده، كما أنه ليس بشديد الاتساع، فهو عالم متناهي قابل للقياس، إضافة إلى الاختلاف النوعي بين الأرض والسماء، فالأرض ثقيلة وثابتة، بينما السماء وما فيها من سيارات فتفتقر إلى هذا الثقل.

ومن ثم فكيف يمكن إعطاء الأرض الثقيلة المتمركزة في مركز الكون حركة مدارية حول مركز الكون، بينما السيارات السماوية ليس لها هذا الثقل، فحركتها حول الأرض المركزية لا إشكال فيه.

وما كان على كوبرنيك وبكل بساطة إلا أن يرد هذه الحقيقة، بدعوى أن كل جسم سماوي له مركز ثقل يخصه، ويقول: "إنني أعتبر أن الجاذبية ليست شيئاً أكثر من كونها رغبة طبيعية استمدت من قبل مهندس الكون لتجعل كل مكونات الأجرام تتجاذب لتشكل كرات، ونحن نعتقد بأن هذه الخاصية متقاسمة من قبل الشمس والقمر وباقي النجوم ...".

إن هذه الرغبة الطبيعية للأشياء لتتجمع مع بعضها وتكون الأجرام يمثل بعثاً لعقيدة إمبيدوكليس *Empedocles* أو أفلاطون، نعم! هذه الفكرة مختلفة جداً عن فكرة الجاذبية الكونية السائدة اليوم، ومع ذلك فهي الفكرة التي فتحت الطريق لفكرة الجاذبية الكونية التي قال بها نيوتن، إلى جانب ذلك فهي تحتوي على نقض ضمني لفكرة المكان الطبيعي للأرض، وهي الخطوة الأولى لهندسة الفضاء، وهي أحد أسس الفيزياء الحديثة.

كما يبين ألكسندر ص(57) بأن كوبرنيك كان أول من فتح الطريق لعرض أفكار جديدة، وبذلك يكون قد سبق من نسبت إليهم هذه النظريات أمثال جيوردانو برونو وجاليليو وديكارت ونيوتن وغيرهم، وكان يقول بأن القوانين الطبيعية التي تحكم الأرض هي نفسها القوانين التي تحكم السماء، ومن ثم كان في ذلك ما مهد الطريق لجاليليو ليبحث في قوانين الديناميكا ومن ثم لتطبيقها على حركة الأجرام السماوية.

[The Astronomical revolution: Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison. – Herman: Paris , Methuen: London , Cornell University Press: New York]

لم يكن كوبرنيك فلكياً بالمعنى الحرفي أو المهني، فإنه لم يزاول مهنة الفلك، ولم يكن صاحب مشاهدات وملاحظات كما كان لخلفه كبلر، بل لم يكن مكتشفاً لعلم فلك جديد مبني على مشاهدات وملاحظات فلكية، ولكنه كما يصفه بعض أبناء جلدته: كان باعثاً للمعرفة القديمة، محيياً للمدرسة الفيثاغورية الوثنية، لذلك فإن كبلر كان يرى بأن فيثاغورس هو الأب الروحي للأفكار الكوبرنيكية، ويقول في وصف منظومة كوبرنيك الجديدة: "أغنية جديدة، ولكن بلحن قديم، وصورة مجددة لقيثارة الفلسفة الساموسية"، وذلك لأن فيثاغورس كان من بلدة

ساموس.

لقد كان لدى كوبرنيك بعض الخيارات في اختيار هيئة فلكية جديدة، لكنه آثر اختيار هيئة فيثاغورس الفلكية اعترافاً منه له بالجميل، والتزاماً منه لعقيدة فيثاغورس الوثنية السرية، والتي تعتبر حركة الأرض جزء منها.

والسؤال الذي يطرح نفسه: أليس الإنسان وليد بيئته، وأسير نشأته، وحبيس ثقافة قرنه؟ إن الأفكار الفلكية السائدة في عصر كوبرنيك لم تكن لتعطيه هذه الفكرة التي خرج بها على بني جلدته، وبرع بها على فلكيي زمانه، لو أنه كفلكي كبقية فلكيي عصره تدرب على يد هؤلاء الفلكيين لما كان له إلا أن يأتي بتطوير ولو بسيط لنظرية بطليموس أو نظرية تايكو براهي، لماذا أتى كوبرنيك بهذه النقلة البعيدة، السحيقة في التأريخ، بل وفي الطرائق الفلكية المتبعة، لماذا تخطى كل هذه الأطر الفكرية والعلمية إلى هذه العقيدة الوثنية الفيثاغورية البائدة، لكي يحييها من جديد، ويعيد بعثها من عفن الوثنيات اليونانية القديمة، هكذا بلا اتصال فكري ولا عقدي بهذه الحقبة التأريخية التي يعيشها كوبرنيك!!!.

ولقد حاول كوبرنيك أن يخفي باعثه الحقيقي لبعث هذه الفكرة الوثنية المحضة، وذلك لكي تلقى هذه الفكرة قبولاً في أوساط الأوربيين النصارى، فكساها بكساء العلم، وألبسها ثوب الرياضيات والفلك، ولكنه مع ذلك فضح نفسه في مقدمة كتابه، حيث يقول: "فيلولاوس يعتقد حركة الأرض, ...، وأرستارخوس الساموسي يعتقد نفس الاعتقاد كما يقول بعض الكُتَّاب، ولكن هذا الاعتقاد غير معلل ببراهين، وهذه المعتقدات ذكرت عن طريق أرسطو وهو نفسه أول من دحضها, ولكن فكرة حركة الأرض لا يفهمها إلا من هو فائق الذكاء وحافظ للعلم"، هذه الفقرة كانت متبوعة بترجمة لرسالة إغريقية من ليسز إلى هيبارخوس، سيأتي الحديث عنها لاحقاً، هذه الإشارة لم تظهر في الطبعات الأربع الأولى (1543, 1566, 1617, 1854)، ومن المفترض أن يكون كوبرنيك هو الذي قام بحذف هذه الصفحة من رسالة ليسز والتي لم تكن متلائمة مع كتابه الذي صنفه ليكون كتاب فلك ورياضيات.

ويكفي في معرفة حقيقة شخصية كوبرنيك الدينية أن يكون تلميذاً لبيترو بومبونازي *Pietro Pomponazzi* الفينيسي الخبيث الذي سيأتي ذكره فيما بعد، والذي كان من ألد أعداء الكنيسة الكاثوليكية، وكان يسفه النصرانية علناً، ولا أستبعد أن يكون بومبونازي هو أحد محركي كوبرنيك، وباعثي الأفكار الوثنية في خباياه.

كما أن أستاذه نوفارا الذي يقال بأنه أخذ عنه علم الفلك، كان أحد أنصار الفيثاغورية ودعاتها المخلصين لها.

[The Life of Copernicus (1473-1543): the man who did not change the world
By Pierre Gassendi, Olivier Thill
Published by Xulon Press, 2002][ص (113و204)]

[The Astronomical revolution: Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison. – Herman: Paris , Methuen: London , Cornell University Press: New York][ص (22-24)]

انتهى من تأليفه سنة (1530)، لكنه لم ينشره خوفاً من الكنيسة زعموا!!!، إن ما أشيع عن تردده في نشر كتابه حركة القباب والذي كان يعزى عادة إلى خوفه من ردة فعل الكنيسة لم يكن له نصيب من المصداقية، بقدر ما كان من باب ذر الرماد في العيون، فإن فكرة التسلط الكهنوتي يصعب الأخذ بها إذا ما نظرنا إلى الدعم البابوي لصالحه، ففي سنة 1536 قام البابا بول الثالث بتشجيع كوبرنيك من خلال الكاردينال *Von Schonberg* الذي نجد مراسلاته ضمن الطبعة الأولى لكتاب حركة الأفلاك، لم يكن كوبرنيك خجولاً ولا انطوائياً، بل كان عدوانياً ينظر إلى أنداده نظرة احتقار وازدراء، كما وصفه بذلك تلميذه ريتيكوس.

[Copernicus' Relation to Aristarchus and Pythagoras
Author(s): Thomas W. Africa Source: Isis, Vol. 52, No. 3, (Sep., 1961), pp. 403-409
Published by: The University of Chicago Press on behalf of]

أذن كوبرنيك بطباعة الكتاب ونشره قبل موته، فوصلته نسخة منه وهو على فراش الموت سنة (1543)، فقرأه ولفظ أنفاسه من يومه، وقد حاول جاهداً إثبات نظريته تلك، بذكر بعض الدلائل النظرية الفكرية والتي لا تمت بصلة إلى علم الفلك الذي يعتمد على تفسير المشاهدات وتدوين الملاحظات، إن أهم عبارة له في هذا الكتاب والتي تنم عن معتقده الخبيث، هي قوله: "القمر يدور حول الأرض، والشمس تحتل مركز العالم الذي تنيره وتحكمه" وكأنه كاهن من كهنة معبد آمون، عبدة الشمس، وكأن الكون كله يستمد حركته وحياته من هذه الشمس، ويقول أيضاً: "الشمس تتربع على العرش متوسطة كل شيء، في هذا المعبد المتفوق الرائع، أين يمكن وضع هذا النجم الساطع في مكان يمكنه من خلاله أن ينير الكل في وقت واحد؟، إنه يُدعى بحق: المصباح، السراج، العقل، **والحاكم لهذا الكون**"، وفي هذا المعنى يقول جيمس آر فويلكل في كتابه "يوهانز كبلر وعلم الفلك الجديد" ص (27): "فقد كان للنظام الكوبرنيكوسي مغزى دينياً أكثر اتساعاً، فالكون كما كان يراه لم يكن سوى صورة الله الخالق، والشمس وهي الجرم الأكثر تألقاً كانت متوضعة في المركز حيث كانت توزع النور والحرارة والحركة على الكواكب، فقد كانت تمثل الله مالك الملك، وفي أقصى حدود هذا النظام تتواجد النجوم، وهي تتواجد فوق قبة سماوية ثابتة وهو أكمل الأشكال الهندسية، ومركزها الشمس، التي أحاطت بالكون وحددت اتساعه، فهو وجه آخر من وجوه رب العالمين. ...، إن فترة دوران الكواكب وأبعادها كان لها معنى في الترتيبات الخاصة بكوبرنيكوس، فكلما كانت الكواكب أقرب إلى الشمس مصدر التغيير والحركة كلما ازدادت سرعة دورانها حولها".

ويقول ألكسندر كوير في كتابه الثورة الفلكية ص(65): "قد أكون مخطئاً عندما أقول بأن هذا كل شيء بالنسبة للدور الذي يعطيه كوبرنيك للشمس؛ حين نحصر هذا الدور حرفياً بالقول بأنها تعطي النور للكون، إن هذا القول ذو أهمية قصوى بالنسبة لكوبرنيك، إن هذا الدور هو ما يمكِّن الشمس من الحصول على مكانها في الكون، وهو المكان المركزي.

الشمس توجد في مركز الكون لكي تمده بالنور، ومن ثم بالحركة والحياة، حيث إن المركز هو أنسب مكان للقيام بهذا الدور، في الواقع، في هذا المعبد المنير (الكون) ينبغي أن توضع هذه الإضاءة في أفضل مكان بحيث يمكنها من خلاله إضاءة الكل مرة واحدة؛ البعض يكون محقاً في تسميتها العقل المدبر، والحاكم للكون، هرمس سماها الرب المرئي، وسوفوكليس في إلكترا سماها التي ترى الجميع.

إذاً الشمس متربعة على عرشها (مملكتها) تضبط عائلة الأجرام السماوية المحيطة بها، هنا نجد الباعث –الباعث الحقيقي– الذي تجلى لعقل وروح كوبرنيك، إنه لم يكن باعثاً علمياً محضاً، إنه أكثر من ذلك بكثير.

إن التقاليد القديمة وخاصة التي تخص ميتافيزيقية الضوء، والتي كانت تدرس خلال العصور الوسطى، والتي رافقت دراسة البصريات: رسائل أفلاطون، والأفلاطنيون الجدد، وبعث الفيثاغوريين الجدد: يرون أن الشمس تمثل الشمس المخفية، الشمس هي المعلم، والملك للعالم المرئي، وبالتالي فهي رمز الإله، هذا التصور هو الذي عبر عنه تماماً مارسيليو فيسينو *Marsilio Ficino* في تسبيحه للشمس.

هذه الموروثات وحدها كانت قادرة على أن تفسر العاطفة التي يتحدث بها كوبرنيك عن الشمس، إنه يعشقها، وفي الغالب فهو يؤلهها".

[The Astronomical revolution: Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison. – Herman: Paris , Methuen: London , Cornell University Press: New York]

بل ذهب بعضهم إلى أبعد من هذا، وأبى إلا أن يكشف عن حقيقة هؤلاء، مفتخراً بهم وبمآثرهم في التمهيد لبعث الوثنية بثوب جديد؛ إذ يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص (211): "أخيراً بعد قرون من النسيان والتجاهل، الكاردينال نيكولا دي كوسا – أحد كاردينالات الكنيسة– يعيد فكرة دوران الأرض لمسرح الأحداث، في نفس وقت اختراع المطبعة، وقريباً كوبرنيك سيقوم كما سنرى فيما سيأتي بنصر الفكرة الوثنية وبصفة نهائية"، وقد

كـرر هـذا المعنـى فـي أكثـر مـن موضـع مـن كتابـه، **مؤكـداً كـون القـول بـدوران الأرض حـول الشمس هو عقيدة وثنية يجب نصرتها**، انظر مثلاً نفس المصدر ص (237و303).

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

من الواضح أن كوبرنيك كان قد تلقى تعاليم سرية عن عقائد أولئك الوثنيين، ولا يبعد أن يكون معلمه الفلكي الأول في فينسيا هو الذي أثر فيه وحوله من الكاثوليكية إلى الوثنية، ومن يومها بدأ كوبرنيك رحلته مع الفلك والوثنية، إن هذه الرسالة التي كتبها كوبرنيك في أول كتابه، ثم حُذفت بعد ذلك، لتلقي بظلالها على وثنية كوبرنيك، وعلاقته الآثمة بعقيدة الفيثاغوريين، إن قيام ليسز [*Lysis of Taras* توفي حوالي سنة (390) قبل الميلاد] بطرد هيبارخوس *HIPPARCHUS* مـن الأخويـة الفيثاغوريـة بسـبب قيـام الأخيـر بنشـر تعـاليم فيثـاغورس السرية، وإذاعتها بين العامة، ووصفه في ذلك بمن يسكب الماء النقي في مستنقع قاذورات، فهو يشوش الوحل الآسن ويفسد الماء ويلوثه، فهذه الرسالة لمن أكبر الدلائل على أن كوبرنيك كان يحمل هذه التعاليم، ولم يكن يمكنه البوح بها، لذا أحب أن يشير إلى هذا المعنى الذي لا يفهمه إلا من له اطلاع على أسرارهم، ففي مخطوطة «حركة القباب» بكل صراحة أعلن كوبرنيك إيمانه بالفيثاغورية كمذهب يعتنقه ولكنه قام بحذف الفقرة (*I, xi, finis*) من الطبعة الأولى، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما علاقة رسالة ليسز هذه بعلم الفلك؟ ما علاقة أسرار وثنية فيثاغورس بحركة الأجرام السماوية؟.

وهـذا هـو نفـس المسـلك الـذي سـلكه كبلـر فـي رسـالته إلـى جـاليليو حيـث ذكَّره بحكـم معلميهم الحقيقيين أفلاطون وفيثاغورس للحيلولة دون التهور وعرض الحقيقة على العوام.

[Copernicus' Relation to Aristarchus and Pythagoras Author(s): Thomas W. Africa Source: Isis, Vol. 52, No. 3, (Sep., 1961), pp. 403-409
Published by: The University of Chicago Press on behalf of] The History of Science Society
J. Kepler, letter to Galileo, 13 October 1597,]

[Gesammelte Werke, XIII, 145

ومن أكبر الدلائل على ارتباطه الوثيق بهذه الجمعية السرية الوثنية ما ثبت ضده من علاقته الآثمة بامرأة كانت تعمل في سلك الكنيسة، وكان عمره آنذاك (65) سنة، وبالتحديد فيما بين سنة (1538-1539)، فقد أقام الأسقف جوهانز دانتيسكوس عليه دعوى بإقامة علاقة آثمة بمدبرة المنزل لديه، وأنه اتخذها خدينة، وأمره بطردها، وحرض عليه وأثار ضده القانون الكنسي لعقوبته، لكن وفجأة تم إسقاط هذه التهمة عنه، وكأنها لم تكن، فنجا من العقوبة الكنسية.

فلماذا وهو شيخ كبير في الخامسة والستين من عمره، لا سيما وصُحبته التي كان على علاقة وطيدة بها كانت من هذا الطراز الذي لا يبالي بما يأتي من المنكرات والفواحش بشتى أنواعها، وتمرغهم في أوحال الفاحشة، والاستمتاع المحرم، أفينجو من ذلك صاحبهم الملازم لهم كوبرنيك؟!، مع العلم بأن الكاهن الكنسي يحرم عليه الزواج فضلاً عن الزنا، يبدو أن الكنيسة قد ضاقت ذرعاً من سمعته السيئة، مع كونه كان محمياً من قبل دوق بروسيا ألبرت، لكن ذلك لم يمنع الكنيسة من أن ترميه صراحة بالزنا، وتحاول إنزال العقوبة به؛ إلا أن هناك من تدخل لصالح كوبرنيك، فقام بإغلاق هذا الملف، وإخفائه تماماً، ولذلك فإن أغلب من ترجم لكوبرنيك لم يذكر له هذه الجريمة النكراء، والتي تؤكد كما قلت على اتصاله بهذه الجمعية الوثنية، والتي تعتبر الاتصال المحرم بالأنثى من ضمن طقوسها الوثنية التعبدية.

يذكر المؤرخون أنه في سنة (1531) أرسل رئيس الأبرشية *Maurice Ferber* رسالة -فقدت الآن- لكوبرنيك يوبخه فيها على استقباله نساء في بيته، وكانت خطيئته الوحيدة بأن سمح لامرأتين غريبتين بقضاء الليل لديه في المنزل ...

وفي 2 ديسمبر (1538) كتب كوبرنيك رسالة لإجابة رئيس أبرشيته *Johannes Dantiscus* الذي طلب من كوبرنيك استبدال قيمة منزله، ولقد قيل بأن إما رئيس الأبرشية *Ferber* أو *Dantiscus* سقطوا في حب امرأة فضلت معاشرة كوبرنيك، وهي قيمة منزله.

وفي 11 يناير (1539) كتب كوبرنيك رسالة ثانية إلى رئيسه ليخبره بأنه جلب قيمة جديدة لمنزله، وفي نفس الوقت تم اتهام راهبين آخرين *leonard Niederhoff*

و*Alexander Sculteti* تلقوا رسائل تتهمهم بعلاقات مشبوهة، وهذان الرهبان صديقان لكوبرنيك، وقد وشى بهؤلاء الثلاثة الراهب *Felix Reich* الذي توفي في مارس (1539).

وفي 16 مارس (1539) أرسل *Giese* رسالة إلى *Dantiscus* يرجوه فيها بأن يوقف التتبع القضائي للرهبان الثلاثة، وقد كان رئيس الأبرشية رحيما بكوبرنيك و *Niederhoff*.

[*The Life of Copernicus (1473-1543): the man who did not change the world*
By Pierre Gassendi, Olivier Thill
Published by Xulon Press, 2002][ص (234-232)]

كان لكوبرنيك علاقة وطيدة بدوق بروسيا ألبرت [*Albert, von Hohenzollern* (1490-1568)], والذي عُيِّن كاهناً في سن السادسة عشرة، وعُيِّن المعلم الأكبر لفرسان المستشفى بعد هزيمة الفرسان في بولندا، وفي سنة (1521) قام بحل فرسان المستشفى، وفي سنة (1525) قام بتحويل بروسيا إلى دوقية وكان أول دوق لها. وفي سنة (1544) أسس جامعة *Koenigsberg*, مات بداء السيفليس (الزهري- مرض منقول جنسياً).

كان لاشتهار كوبرنيك بمهارته في الطب السبب الرئيس لزيارة ألبرت دوق بروسيا لمداواة مساعده، ومن ثم بدأت بينهما مع الزمن علاقة حميمة، كان لألبرت مغامرات مسائية نسائية عاهرة، كان ألبرت متحرراً من كل القيود الأخلاقية، خرق كل العهود الكنسية، وخاض حروباً ضد سلطة الكنيسة حتى استطاع أن يتحرر تماماً من كل معاني الدين، وجمع حوله حاشية من الفسقة والهراطقة والوثنيين والإباحيين، فكان منهم: كوبرنيك.

كان لكوبرنيك خلال مدة حياته لقاء بعدد من الشخصيات التي أثرت فيه، فبالإضافة إلى من سبق ذكرهم، مثل: بيترو بومبونازي، ونوفارا، وألبرت دوق بروسيا:

فإن عائلة كوبرنيك كان لها ماضٍ معادٍ للكنيسة الكاثوليكية، وحينما نتكلم في هذا البحث

عن عداوة الكنيسة الكاثوليكية فإنما نذكر ذلك على سبيل الذم لا المدح، فإن الفئة التي كانت تحارب الكنيسة الكاثوليكية ومعتقداتها في ذلك الحين كانت في الحقيقة تحارب كل ما نزل من السماء، وتحاول أن تبعث من جديد هاتيك العقائد الوثنية اليونانية بما فيها من أساطير وخرافات، وبكل ما تمتد به الجذور الوثنية في التأريخ البابلي والفرعوني والهندي والفارسي وغير ذلك من وثنيات قديمة بادت وباد أهلها، واندثرت آثارها، وانمحت أطلالها، لكن يأبى من حاد الله ورسله على مر التأريخ إلا أن يحاولوا بعث هذه الوثنيات البالية حينما يضعف دعاة التوحيد، ويدخل فيهم الوهن، من حب الدنيا والتنافس عليها، ومن طاعة الشيطان، والبعد عن آثار الرسل، وما بعثوا به من التوحيد الخالص، وتسلل مظاهر الشرك وعقائده إليهم، حينئذ يسهل على دعاة الوثنية أن يعودوا إلى الظهور من جديد، ومحاولة تأصيل عقائدهم، وبثها في ضعاف النفوس والإيمان، ليتسللوا من خلالهم إلى المجتمعات البشرية التي آمنت بالرسل، ثم الطعن في عقائدهم بشكل خفي، وطرق ملتوية، لا يعرفها أكثر الناس.

إن عائلة كوبرنيك كما نبهت كانت معادية للكنيسة الكاثوليكية، ومن ثم نشأ كوبرنيك وهو يحمل في طيات نفسه روحاً تكره كل ما تدعو إليه الكنيسة من خير وشر، من توحيد وشرك، لقد عاد وجه الكنيسة أقبح الوجوه إلى تلك الفئة الشريرة، التي تريد محو الكنيسة من الوجود، ليخلو لهم الجو حتى لا يقال في الأرض: الله الله.

وممن التقى بهم كوبرنيك أثناء صحبته لألبرت: *Dietrich von Schonberg* (1484-1525) لقد كان هذا الشخص راسخ الاعتقاد في علم التنجيم، وكان يشجع على دراسة الرياضيات والفلك، لم يكن لديه أي درجة علمية, ولكنه كان يؤثر في سامعيه, لقد كان مندفعا في ملاحقة النساء بشكل داعر، لقد رافق ألبرت في مغامراته المسائية المتأخرة ولم يكن يتردد في إدخال ثمن العاهرات في حساب مصروفه الشخصي، توفي في سن مبكرة، وله من العمر (41) سنة، ومن المحتمل أن تكون وفاته بسبب مرض الزهري.

[*The Life of Copernicus (1473-1543): the man who did not change the world*

By Pierre Gassendi, Olivier Thill
Published by Xulon Press, 2002][انظر ص (54و55و93)]

وقد اكتشف ديفيد كينج أن كثيراً من النظريات المنسوبة لكوبرنيك هي للفلكي العربي ابن الشاطر (ت 777هـ، 1375م)، يقول ديفيد كينج: "لقد عثر في بولونيا, موطن كوبرنيك (1473-1543م) على مخطوطات عربية عام (1973م)، وثبت أن كوبرنيك كان يأخذ عنها, ويدعي لنفسه ما يأخذ، ولقد ثبت منذ عام (1950م) أن نظريات كوبرنيك في الفلك هي في أصلها مأخوذة عن ابن الشاطر الفلكي العربي المشهور، وادعاها كوبرنيك لنفسه, وبذلك يكون ابن الشاطر قد سبق كوبرنيك, الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي, بوضع نظريته عن حركة الكواكب, ودورانها حول الشمس، أو ما يسمى الآن بالنظام الشمسي" [العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية (364و422)].

من العجيب أن تفقد كل مراسلات كوبرنيك وكتاباته وترجماته وخرائطه التي رسمها بيده، وغير ذلك من آثاره التي فقدت بالكامل ما عدا كتابه حركة القباب ورسالتين، لماذا تم إخفاء كل آثار كوبرنيك بعد موته، ما السبب الذي دعاهم لذلك يا تُرى؟!!!

يذكر المؤرخون أن شخصاً يدعى *JanBrozek* أو *Joannes Broscius*، وهو أستاذ، وطبيب، ومعلم بلاغة, وكاهن، ومدير جامعة *cracow*، وله أكثر من 30 عمل فكري، قام في سنة (1612) أو (1618) بالسفر إلى *thorun, danzig, warmi* ودوقية بروسيا لجمع مذكرات كوبرنيك ومخطوطاته، بغاية كتابة السيرة الذاتية لكوبرنيك، توصل لجمع 20 رسالة من عند *Giese* تتعلق بكوبرنيك، اثنتان فقط نسختا، و باقي الرسائل ضاعت.

ومن العجيب أنه في هذه السنوات كان قد بدأ توجيه أصابع الاتهام إلى جاليليو، فهل ثمة رابط بين عمل هذا الرجل في محو آثار كوبرنيك، وبين محاولة تبرئة جاليليو، ومحو كل دليل يربط بينه وبين كوبرنيك وأعماله؟!

[*The Life of Copernicus (1473-1543): the man who did not change the world*
By Pierre Gassendi, Olivier Thill
Published by Xulon Press, 2002][انظر ص (141)]

وقد جاء بعد كوبرنيك من رد على تهافته، وأقام الحجج الشرعية من كتاب الله تعالى، أو من الحجج العقلية، مثل ركشيولي *P. riccioli* [ولد في فرار (1598) وتوفي في بولونيا (1671)]، فتهكموا عليه، واستهزؤوا به، وكذلك شاينر *p.scheiner* (1575-1650)، وغيرهما كثير، مثل: أنطوان ديوسينج *Antoine deusing* (1612-1666)، الذي حاول في كتابه أن يبرهن على أن الأرض في مركز الكون، وأن يلغي كل تعقيدات نظام بطليموس، من خلال براهينه الطويلة يستخلص أنه لا ضرورة لتحريك الأرض، ولا لجعل النجوم بهذه المسافات الشاسعة، كتابه بعنوان: *Devero Systemate mundi dissertatio mathematica (Amestrdam, 1643)*

➢ ثم حمل اللواء بعد كوبرنيك: **جيوردانو برونو** (1548-1600) الفيلسوف المنسي، واسمه الحقيقي فيليب، لكنه غير اسمه فيما بعد منتحلاً اسم معلمه جيوردانو كريسبو، ولد سنة (1548) في نولا بلدة صغيرة قريبة من نابولي، التحق بالمدرسة في سن (13) في دير القديس دومينيكو، وأصبح خلال بضع سنوات راهباً دومينيكانياً، وفي سن الرابعة عشرة تعلم فن تقوية الذاكرة، عُيِّن راهباً سنة (1574)، وأصبح قارئاً للكتاب المقدس سنة (1575)، لكنه كان كثير الشكوك والتساؤلات تجاه عقيدته الكاثوليكية، وأخرج صورة العذراء من بيته، واتهمها، ونفى التثليث، ونفى الألوهية عن المسيح عليه السلام، وقال بأنه مجرد ساحر ماهر جداً، منكراً بذلك للنبوات، فاتهم بالإلحاد والزندقة، ولما خاف من محاكم التفتيش هرب من الكنيسة، ومن ثم من بلدته، وظل متخفياً في إيطاليا، متنقلاً بين أرجائها. ثم انتقل إلى جنيف والتحق بالإنجيليين الكالفنيين، لكنه طرد فهرب مجدداً سنة (1578).

(1578-1583) دخل فرنسا، وكان قد أرسل إليها من قبل الفينيسيين، وتنقل بين مدنها، وألقى بعض المحاضرات، ونشر كتاباً في فن تقوية الذاكرة، وكتباً أخرى، وأعجب به

ملك فرنسا هنري الثالث، فاستضافه وحماه لمدة خمس سنوات، ألف عدة كتب، منها كتاب هاجم فيه معتقدات الكنيسة الكاثوليكية، واتهم النصرانية بأنها غير منطقية على الإطلاق، منافية للعقل، متعارضة مع العلم، مخالفة لبقية الأديان.

سافر إلى إنجلترا سنة (1583) وتعرض لكثير من النقد لمخالفته لأفكار أرسطو، وتأييده لنظرية كوبرنيك، وغيرها من أفكاره الغريبة، انتقل بعدها إلى ألمانيا، ودرس في جامعاتها.

وبعد (14) سنة من التيه خارج وطنه عاد أخيراً إلى إيطاليا، حيث تم استدراجه من قِبَل أحد عملاء محاكم التفتيش، ليعمل أستاذاً للرياضيات في جامعة بادوا، إلا أن جاليليو شغل منصبه، فاتجه إلى فينيسيا وهناك وشى به مضيفه، فتم القبض عليه وأودع السجن، وبدأت بعدئذ محاكمته سنة (1591)، وسُجن وعُذِّب لمدة ثمان سنوات، كان عنيداً رفض التراجع مراراً، بعد ذلك أدين وقُطع لسانه، ثم حُرق بالنار حياً، في ميدان عام.

ولم يكن إدانة الكنيسة له لأفكاره عن الكون فحسب، ولكن أيضاً لأجل كفره بما تدين به الكنيسة.

قال في كتابه "حول الكون اللانهائي وعوالمه"، وكذا في بعض محاضراته، بأن هذا الكون ليس له نهاية، ويحتوي على عدد غير متناهٍ من العوالم، كلٌ بشمسه المركزية وكواكبه، وهي جميعاً مسكونة بالكائنات الذكية، وعليه: فإن الله – سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً – والطبيعة شيء واحد، لا ينفصلان ولا يتمايزان في الوجود والكينونة، ومن ثم إذن أين يجب أن تبحث عن الله؟ تجده في القوانين الثابتة للطبيعة، في ضوء الشمس، في كل شيء جميل منبثق من صدر أمنا الأرض، في الضوء المنبعث من النجوم. هكذا قال الملحد، وهذا أحد لوازم هذه النظرية الملحدة، القول بوحدة الوجود.

ولا يستبعد أن يكون برونو أخذ هذه الفكرة من **نيكولاس دي كوسا** (1401–1464م)، وهو كاردينال ألماني، قال بدوران الأرض حول محورها، وأكد عدم وجودها في مركز الكون، واعتقد أن لا حدود للفضاء الخارجي، وأن الكون يخلو من مركز، أو من محيط له، وأن الشمس نجم سماوي يشبه النجوم الكثيرة المنتشرة في الكون، وقد ذهب بعضهم إلى أن أول

من أثار هذه المسألة بعد أن أصبحت في طي النسيان إنما هو دي كوسا، يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص (211): "أخيرا بعد قرون من النسيان والتجاهل، الكاردينال نيكولا دي كوسا -أحد أمراء الكنيسة- يعيد فكرة دوران الأرض لمسرح الأحداث، في نفس وقت اختراع المطبعة، وقريباً كوبرنيك سيقوم كما سنرى فيما سيأتي بنصر الفكرة الوثنية وبصفة نهائية".

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

وكان مما كتب برونو: أن لا شيء يحدث، ولا شيء يفنى، لكن كل شيء يجدد نفسه، بتغيير أجزائه، أو تعديلها، وتحويلها؛ فسبق بذلك نيوتن.

نفى وجود علو مطلق، أو سفل مطلق، بل موضع الجسم إنما هو بالنسبة إلى غيره من الأجسام.

وقال بتناسخ الأرواح، وله فيه كلام طويل، وتأثر كثيراً بفيثاغورس، وهرمس، وكان شغوفاً بالسحر، وهناك من يعتبره مؤسس المادية الحديثة، وقد مهد بأفكاره السقيمة لكبلر وجاليليو [يأتيان]، وسبينوزا اليهودي الهولندي (1634-1677م) صاحب القول بوحدة الوجود في الغرب النصراني، وديكارت الفرنسي (1596-1650م) صاحب مذهب العقلانية والإنسانية، ومع أنه كان سابقاً على كبلر وجاليليو، ومهد لهما، إلا أنهما لم يشيرا إليه في مؤلفاتهما خوفاً على نفوسهما، فقد كان جاليليو بالذات يتميز بدهاء عجيب استطاع به أن ينجو من مصير برونو، إذ لأجل هذا المصير المروع لبرونو تجنب أتباعه - ممن حمل لواء الهرطقة والإلحاد - البوح بمكنونات أنفسهم، أو التصريح بعقائدهم، ومما يدل على تأثر جاليليو ببرونو مسألة سقوط جسم حر على ظهر سفينة، فقد كان برونو هو السابق بهذه الفكرة، فقد ذكرها برونو في كتابه "الأكوان والعوالم الغير متناهية" والذي نشر عام (1584) أي قبل (30) سنة من قول جاليليو بهذه الفكرة، وأودعها جاليليو في كتابه "حول نظامين كبيرين".

كانت اتهامات برونو للكنيسة في محلها في كثير من الأحيان، بسبب جمودها الفكري،

وعدم معقولية معتقداتها المحرفة، إلا أن ذلك لم يقده إلى البحث عن الاعتقاد الصحيح في الخالق والكون.

ولو صح عقله - هو وأمثاله ممن تبعه على هذه الترهات - لبحثوا عن الحقيقة، ولوجدوها في الإسلام، إلا أنهم ثاروا على الدين - كل الدين - جملة وتفصيلاً.

ولو رأوا أن للكون خالقاً واحداً، متفرداً بالخلق والإيجاد، والرزق والتدبير، وتصريف أمور العباد، والنفع والضر، لبحثوا عن هذا الخالق، ولعلموا أنه لا يمكن أن يترك خلقه سدى، ولا أن يدعهم هملاً، من دون أن يرسل إليهم رسولاً، أو ينزل إليهم كتاباً، يبين لهم فيه ما من أجله خلقهم، ويعلمهم بأسباب سعادتهم، ويحذرهم من أسباب شقاوتهم؛ فلما لم نعلم أنهم بحثوا عن ذلك، مع توفر الكتب والمراجع لديهم، سيما تراث أهل الإسلام، فلماذا اقتصروا منه فقط على التراث المادي اليوناني الجذور؛ دون القرآن والسنة وعلومهما، لكنهم ازدادوا غياً وضلالاً، وبؤساً وشقاءً، فلم يعبدوا إلهاً واحداً، ولم يتبعوا رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين، إذا تبين هذا دل ذلك كله على إلحادهم المطبق، وكفرهم بآيات الله، وبجميع رسله، وكتبه، وما كان منهم من عبارات قد يحسبها البعض توحيداً وإيماناً؛ فإنما هي من باب ذر الرماد في العيون، حتى لا يشتد النكير عليهم.

فهؤلاء جميعاً لم يقفوا على دليل قطعي واحد اضطرهم إلى القول بهذه النظرية، لكن الحقيقة أن الفكرة اختمرت في عقولهم أولاً، بناءً على أوهام أو تخيلات، ناتجة عن عدم التسليم لما جاءت به الرسل، أو نزلت به الكتب، ثم ذهب من جاء بعدهم ليبحث لها عن دليل مادي.

ولا شك أن الذي حدا بهم للخوض في هذه المتاهات خواء عقدي قاتل، لا سيما وعقائدهم الأصلية من وثنية أو إلحاد أو تثليث لم تكن لتعطيهم تفسيرات كافية شافية عن حقيقة وجودهم على هذه الأرض، ولا عن الغاية التي من أجلها خلق الله البشر، ولا عن طبيعة هذا الكون بكل أجزائه، ومكوناته.

وقد يظن البعض أن النظريات العلمية، أو الحقائق الكونية المكتشفة، إنما هي وليدة التجربة

وحدها، وبدافع البحث العلمي النزيه المتجرد وحده، دون أن يكون له دوافع عقدية، تحرك الإنسان وتدفعه نحو البحث عن شيء ما، أو في مجال ما، فإنه من المعلوم أن الإنسان لا يصدر منه قول أو فعل إلا عن قصد ونية، كما قال النبي ﷺ: «**إنما الأعمال بالنيات**، ...»، فما الذي دفع هؤلاء للبحث عن شيء يخالف فطرهم، وما دلت عليه الكتب المنزلة من عند الله تعالى خالق البشر والكون.

إن القول بأن: البحث العلمي النزيه المتخلي عن أي فكرة سابقة، أو عقيدة قائدة، سوف يقود الإنسان نحو الحقيقة؛ إنما هي مسألة ذهنية محضة، لا وجود لها في الخارج، ولا في أرض الواقع، ذاك أن الإنسان بطبيعته أسير أفكاره، و حبيس معتقداته، فهذه المعتقدات هي التي تقوده للبحث في أمر ما، أو لنقض مسألة ما، فهي التي تحرك سواكنه، وتحرر كوامنه.

ولهذا لما كثر أنصار هذه النظرية؛ جاء من يبحث لها عن أدلة مقنعة، تخدمها وترسخها في الأذهان حتى لا يأتي بعد ذلك من يشكك فيها، فكان **تَيْكو براهي** (1546-1601م) الفلكي الدنماركي، أحد نبلاء الدنمارك، صاحب الأنف الفضي، فقد قُطع أنفه وهو في سن (19) على إثر معركة بالسيف بينه وبين أحد الشباب الدنماركيين، والذي استثاره براهي حينما استهزأ به مستقلاً علمه بالرياضيات، رحل بين إيطاليا وسويسرا وألمانيا والسويد لعدة سنوات، ثم رجع إلى كوبنهاجن، وتحت رعاية ملك الدنمارك فريدريك الثاني والذي منحه الأموال اللازمة لتأسيس مرصد فلكي، وراتباً سنوياً مجزياً، بل وجزيرة كاملة ليبني عليها مرصده، قام تيكو بإنشاء مرصد فلكي ضخم في جزيرة هفن، وسمى هذا المرصد أورانيبورج *Uraniborg* نسبة إلى أورانيا، وهي إحدى معبودات اليونان القديمة ممن أضفوا عليها صفة الألوهية، مما يؤكد ما نقوله من الارتباط الوثيق بين علم الفلك والوثنية، وقد عمل للملك منجماً، كما هي عادة المشتغلين بالفلك في هاتيك الأزمان، وكان غالياً في الاعتقاد بتأثير النجوم على حياة الناس وأقدارهم، حتى إنه كان وبطريقة واعية يحارب أعداء التنجيم، ويحاول إقناعهم بإلقاء الشبه عليهم، فهو يقول مثلاً: "قبل كل شيء: إذا كانت النجوم والكواكب ليس لها تأثير على أقدارنا فما هو دورها؟ هل يمكن أن نكون كفاراً إلى حد القول بأن الله غير عادل وغير حكيم بأن

خلق عبثاً هذه السماء الجميلة وهذا الجيش الغير المعدود من النجوم بدون غاية؟ نعم! نحن نستخدم مساراتها لمعرفة حساب الزمن، لكن هل من المعقول أن نعتبر الكون ساعة عظيمة؟

من لا يعلم بتأثير الشمس على الدماغ ونمو العظام وعلى الأشجار؟ من يجهل تأثير القمر على حركة المحيطات؟ من لا يعرف بأن المطر والرياح والعواصف والصواعق ترافق تقارب المريخ وعطارد" انتهى كلام الخبيث [مؤسسي علم الفلك الحديث: ص77، 78، 79].

طور تيكو بعض آلات الرصد، وجمع كماً هائلاً من الملاحظات الرصدية الفلكية، حتى اقترح نظاماً كونياً وسطاً، يقول بدوران الشمس حول الأرض، وفي الوقت نفسه تدور الكواكب السيارة الخمسة حول الشمس، لم يكن يخضع عقله لما يظهر له من المشاهدات، ولكن كما هي عادتهم، وجرياً على قاعدتهم: اعتقد أولاً ثم دلل على صحة اعتقادك؛ فبالرغم من مشاهدة براهي لظهور مفاجئ لنجم امتد لمدة (8) أشهر ثم اختفى؛ فإنه لم يعارض قول أرسطو بأن الكواكب والنجوم: لم تخلق، ولا تفنى، بل ذهب للقول بأن هذه النجوم التي تظهر وتختفي هي نجوم اصطناعية وليست طبيعية [مؤسسي علم الفلك الحديث: ص73].

[مؤسسي علم الفلك الحديث: كوبرنيك، تيكو براهي، كبلر: تأليف جوزيف بيرتراند، عضو مدرسة: J-Hetzel باريس، J-Hetzelللنشر، 1865]

[Les Fondateurs De La Astronomie Moderne Joseph Bertrand]

[اختلاف المنظر النجمي . آلان هيرشفيلد]

ثم جاء **جوهانز كبلر** (1571-1630م) الألماني، الذي درس اللاهوت على الطريقة اللوثرية، وتأثر بأستاذه في الرياضيات والفلك مايكل مايستلين، والذي كان يؤمن بنظرية كوبرنيك في مركزية الشمس، وانطلاقاً من هذا الإيمان، سعى كبلر سعياً حثيثاً لإيجاد دليل مادي يستطيع به أن يواجه العالم، فإذا به وهو في الرابعة والعشرين من عمره قد أنهى فكرة خيالية تقول: إن دائرة الأرض هي مقياس لكل الأشياء، طوّقها بشكل اثني عشري الوجوه وسيكون الشكل الناجم هو المريخ، ضع خطوطاً بشكل رباعي الوجوه حول المريخ، فتصبح الدائرة المحيطة به هي

المشترى، طوق ذلك بمكعب حول المشترى وستكون الدائرة المحيطة هي زحل، والآن ضع خطاً من شكل عشريني الوجوه داخل الأرض وستكون الدائرة الداخلية هي فينوس أو الزهرة، ارسم شكلاً مثمناً داخل الزهرة فتكون الدائرة الداخلية هي عطارد.

وقد استنبط ذلك من مجسمات أفلاطون الخمسة، وبناءً على ذلك فالكواكب عنده ستة فقط، لا تزيد.

حاول في كتابه هذا "سر الكون" أن يلوي أعناق نصوص الإنجيل، لكي تتوافق مع تخيلاته فاصطدم عندئذ بالكنيسة البروتستانتية اللوثرية.

كان يرى تبعاً لكوبرنيك: أن سرعة الكوكب حول الشمس تتناسب طرداً مع بعده عنها، فكلما اقترب منها كلما ازدادت سرعة دورانه حولها، لكنه لم يكن لديه إثبات على صحة ذلك؛ فراح يبحث لذلك عن برهان، من خلال تتبعه لحركة المريخ، يوم أن كان يعمل في مرصد تايكو براهي، ثم من بعد موته، حتى توصل إلى أن أنسب الأشكال الهندسية التي تحقق هذه النظرية هي القطع الناقص، ومن ثم الشكل الإهليلجي، والشمس في أحد مركزيه، ومن هنا اشتهرت قوانينه الثلاثة التي ضمَّنها كتابه: "علم الفلك الجديد".

يقول القانون الأول: تتحرك الكواكب في مدارات إهليلجية، بحيث تكون الشمس في إحدى بؤرتيه.

ويقول الثاني: يغطي الخط الواصل بين الكوكب والشمس مساحات متساوية في أزمنة متساوية.

ويقول الثالث: مربع زمن دوران الكوكب حول الشمس على مكعب متوسط بعده عنها يساوي الوحدة.

والناظر في حقيقة هذه القوانين يعلم يقيناً أنها لم تكن من بنات أفكاره، وإنما سبقه إلى أصولها أرسطو في كتبه عن السماء وغيرها، وكذلك ما ذهب إليه فيثاغورس من فكرة التناغم الموسيقي، وغيرها.

بعد ذلك اكتشف جاليليو أربعة كواكب تابعة للمشترى، هي أقماره، وبعث باكتشافاته إلى

كبلر في كتابه "مراسل النجوم"، ففرح بها جداً، لأنها تؤيد فكرة دوران الأرض حول الشمس، فقد كان يقال: إن الأرض لو دارت حول الشمس لفقدت قمرها، والآن فالمشترى يدور بأقماره حول الشمس دون أن يفقد أياً منها، فلا حرج إذن في دوران الأرض بقمرها حول الشمس، كذلك فقد ذهب كبلر إلى ربط هذه الأقمار بفكرة وجود كائنات ذكية على سطح المشترى.

عمل كبلر منجماً أكثر من مرة، ثم عمل لحساب الإمبراطور رودولف، ثم للإمبراطور ماتثياس، ولمدة 18 عاماً متوالية خادماً لهما، ثم للإمبراطور فرديناند الثاني.

كان كبلر المنجم بعد كل حادثة تصيبه يشعر بأنه إنسان مدمَّر، وتسيطر عليه الكآبة والحزن الشديد والقنوط، وهكذا المنجمون ومدعو علم الغيب.

كانت عقيدته خليطاً من الكاثوليكية والبروتستانتية اللوثرية والكالفنية، وكان يريد أن يؤسس عقيدة كبلرية خاصة به، يضمنها ما شاء من إلحاده.

قرأ كتاباً في التناغم الموسيقي، ورأى أنه لابد من وجود تناغم في الكون، يشبه التناغم الموسيقي، وهي نفس عقيدة فيثاغورس التي سبق أن أشرنا إليها، ونجح في النهاية في العثور على ترتيب معين يجسد كل الإيقاعات الموسيقية ويتوافق مع اختلافات مراكز الكواكب وأبعادها, وهو أن نسبة مربع فترة الدوران إلى مكعب بعد الكوكب عن الشمس = 1، ومن تجاوزاته التي تنم عن وثنيته، أن قال في كتابه الجديد: "لقد سرقتُ سفن المصريين الذهبية لبناء مسكن لربي بعيداً عن حدود مصر".

ثم أصبحت قوانين كبلر تدرس في المدارس والجامعات مفصولة تماماً عن أصولها الفكرية والعقدية، حتى إن الناظر إليها لا يخالطه شك في كونها مجرد نظريات علمية بحتة، وإنما هي في الحقيقة من وحي شياطين الإنس والجن، يقول فرديناند هوفر في كتابه "تاريخ علم الفلك" ص (104): "فيثاغورس اعتقد بأنه وجد في النوتة الموسيقية تناغم القبة السماوية، فالكواكب السبعة السيارة لابد وأنها تتناظر مع الأصوات السبعة للسلم الموسيقي، ومسافاتها، أو مجالاتها، لابد أن تعطي نفس النسب.

علماء اليوم يضحكون بدون شك من هذه المقاربة، ولكنهم ينسون أحد أكبر الفلكيين ألا

وهو كبلر نفسه استهوته فكرة الفيثاغوريين مما جعله يقلبها في كل الاتجاهات لعدة سنين، قبل أن يصل إلى قوانين علم الفلك الحديث" .

(HISTOIRE DE L' ASTRONOMIE par FERDINAND HOEFER - PARIS 1873)

وفي سبتمبر عام 1627 انتهى من طباعة الجداول الرودولفية التي تستعمل كوسيلة لحساب موقع أي كوكب من الكواكب في أي وقت من الأوقات لألف سنة قادمة أو ألف سنة مضت، وكانت في الأصل مبنية على ملاحظات تايكو براهي الفلكية.

ويبدو لي – والله أعلم – أن أغلب المستفيدين من هذه الجداول هم المنجمون الذين يرصدون الطالع في علم الكهانة وادعاء علم الغيب، أمثال كبلر نفسه، والذي كان من أتعس الناس حظاً، حيث لم يتمكن من تحصيل المبالغ التي وُعد بها مقابل أعماله، حتى من قِبل الإمبراطور نفسه، ولم يعرف أنه سيموت قبل تحصيلها.

ومن عاصره وساهم في دعم هذه النظرية والكفاح من أجلها: **جاليليو جاليلي** *Galileo Galilei* (1564–1642م)، الذي ولد في مدينة بيزا في مقاطعة توسكانيا بإيطاليا، بدأ حياته العلمية بدراسة الطب في جامعة بيزا حين كان عمره آنذاك (17) سنة، لكن لم يكن ميالاً إليه، فانتقل لدراسة الرياضيات التي كان شغوفاً بها، فلم يكمل دراسة الطب في الجامعة، لكنه برع في علم الرياضيات بعد ذلك حتى استطاع مناصروه أن ينجحوا في تعيينه أستاذ رياضيات في نفس الجامعة التي لم يحصل منها على شهادة علمية، كان أول ما بدأ بدراسته وإدخال تعديلات عليه من نظريات في علم الرياضيات: طرق حساب مركز جاذبية الأجسام الصلبة، ثم نظرية السقوط الحر للأجسام وسرعة تساقطها، وهاتان المسألتان تخدمان بشكل مباشر محاولة إيجاد برهان علمي لنظرية كوبرنيك، مما يدل على أن الرجل كان مدفوعاً لخدمة هذه النظرية، إذ كان يهاجم بقوة نظرية أرسطو في التساقط وهو القائل بثبات الأرض.

انتقل بعد ذلك جاليليو للتدريس في جامعة بادوا التابعة لفينيسيا سنة (1592)، منذ أن كان عمره (28) سنة، إلى أن بلغ السادسة والأربعين (46).

لم يتزوج جاليليو قط، لكنه تعرف على امرأة فينيسية تدعى مارينا جامبا، وكان عمرها (21) سنة، وأنجب منها ثلاثة أطفال، وهكذا أئمة الإلحاد يهزؤون بأعراف البشر، وما جبلوا عليه.

تكلم جاليليو في ظاهرة المد والجزر، واتخذها ذريعة للقول بدوران الأرض، حيث قال بأن ظاهرة المد ترجع إلى اهتزازات الأرض الناجمة عن حركتها اليومية والسنوية.

أجرى تجارب على كرة متدحرجة على سطح مائل، واستنتج علاقة رياضية تربط بين المسافة والزمن، وأجرى تجارب على البندول، واستنتج علاقة رياضية تربط بين طول البندول والزمن، ومسائل أخرى متعلقة بحركة الأجسام مثل التسارع وخط سير القذيفة وقانون الطفو على سطح الماء.

بدأ بعد ذلك يُظهر اهتماماً واضحاً بالأجرام السماوية ودراسة حركتها وأبعادها، طوَّر تلسكوباً جديداً، والذي كان سبق أن صنع شبيهاً به ليوناردو دافنشي قبل مائة عام، واستطاع به جاليليو أن يأتي ببعض الإنجازات مثل رؤية بعض النجوم التي لم تشاهد من قبل، واستطاع به أن يتعرف على سطح القمر وما فيه من جبال وأودية وحفر، وشاهد أربعة أقمار للمشترى تدور حوله، وحسب مدة دورانها، فكان ذلك لديه ولدى كبلر أحد براهين صحة نظرية كوبرنيك، ومن الجدير بالذكر أن هذه الأقمار الأربعة *Ganymede, Callisto, Io and Europa* سميت بأسماء أساطير اليونان الوثنية مما يلقي بظلال الوثنية اليونانية على معتقدات هؤلاء، *Ganymede* جانيميدي كانوا يعتقدون بأنه من سقاة آلهتهم، و*Callisto* كاليستيو و *Io*آيو و*Europa* أوروبا كن عشيقات لزيوس أحد آلهة اليونان الوثنية، فلو كانوا نصارى لأسموها بما يتلاءم مع معتقدات النصارى، ولكن كل إناء ينضح بما فيه.

كتب جاليليو ثلاث رسائل حول البقع الشمسية، لكنه أنكر حقيقة الشهب لكونها لا تسير في مسار دائري، ففي عام (1618) ظهر في سماء أوروبا ثلاثة مذنبات، كُتب فيها العديد من الكتب، أحدها كان لفيلسوف يسوعي، رئيس قسم الرياضيات في كلية روما اسمه هوراشيو جراسي *Horatio Grassi* [أو: أورازيو *Orazio*]، حيث قال بأن هذه المذنبات

تكذب نظرية كوبرنيك، لكونها تسير في مسار غير دائري، وعندئذ انبرى جاليليو للرد عليه مستخدماً التشويش العلمي على مخالفيه، حيث ادعى زوراً وبهتاناً وبلا دليل علمي أن هذه المذنبات ما هي إلا خداع بصري نتيجة انعكاس أشعة الشمس وانكسارها من الجهة الأخرى، وقد فعل ذلك لئلا تخدش ظاهرة المذنبات في نظرية كوبرنيك المقدسة عنده، هكذا طريقته: اعتقد أولاً ثم أوجد الدليل على صحة اعتقادك، ثم كتب بعد ذلك كتاباً مفصلاً في هذا الموضوع سماه: المحلل *The Assayer*.

كانت هناك مراسلات بينه وبين كبلر لأكثر من ثلاثين عاماً، وكان جاليليو يقتبس من مؤلفات كبلر دون أن يشير إليه، بل كان يطعن في مصداقية أعماله أحياناً، ويسخر منه بشدة، كان جاليليو يدلس على الناس بقوله: إن الطبيعة هي كتاب الله المفتوح في الكون، لكن لا يمكن قراءة هذا الكتاب إلا بحل شفرته أولاً، ومفتاح هذه الشفرة ممثل في لغة الرياضيات وعلم حساب المثلثات، وبدونهما لا يمكن فهم الشفرة الكونية.

بدأت بعد ذلك المواجهات بين جاليليو وأعدائه تزداد حدة، حيث انتقلت من مجال الجدل العلمي حول الظواهر الطبيعية إلى الاتهام بالإلحاد ومعارضة نصوص الإنجيل، فبعث حينئذٍ جاليليو برسالة إلى الدوقة الكبيرة في توسكانيا يدافع فيها عن نفسه، مستجدياً عطفها، مثيراً لغضبها على مخالفيه، واصفاً إياهم بالتعامي عن إدراك الحقائق التي توصل إليها، والسعي في إيذائه وتدميره، ووصفه بالهرطقة لمجرد كون هذه الحقائق التي توصل إليها تنافي الإنجيل، وكأنهم يطالبونه بأن يتخلى عن عقله وأدلته التي أثبتتها التجربة المحسوسة المشاهدة، لصالح بعض نصوصٍ من الإنجيل يمكن أن يكون لها معاني غير ما فهموه منها [هكذا قال الملحد]، وذكر أن السبب في ذلك أن الكتاب المقدس قد نص في مواضع كثيرة على ثبات الأرض وحركة الشمس، مما دعاهم لأن يصفوا المخالف بالهرطقة، ثم قال بأن منشأ ذلك هو عدم فهمهم لتلك النصوص، وأنها تحتمل من المعاني ما لم يفهموه، لا أنه يُكذِّب الإنجيل، **واستدل لذلك القول بأن طريقة الإنجيل في خطاب العوام تتناسب مع عقولهم القاصرة، وإدراكاتهم الضعيفة، وأنه تنزل في مستوى الخطاب إلى عقول البلهاء من الناس، الذين لا**

يدركون الحقائق على ما هي عليه، وإلا قوبل منهم بالتكذيب والإعراض، وأن مقصود الإنجيل من هذه الأمور الكونية التي تحدث عنها مثل الأرض والمياه والشمس وغير ذلك إنما هو خدمة الله وإنقاذ الأرواح، لا أنه أراد أن يعلِّم الناس حقيقتها وماهيتها، ويقول بأن الإنجيل وظواهر الطبيعة كلاهما من الله تعالى، أحدهما أملاه روح القدس، والأخير كالمنفذ اليقظ بدقة لأوامر الله تعالى، لكن الإنجيل كان لا بد أن يكون خطابه ملائماً لأفهام جميع البشر، فهو يتكلم أحياناً عن أشياء تبدو لهم في الظاهر مختلفة عما هي عليه في الحقيقة المطلقة، لذا عبر عنها بما يظهر للناس دون ما هي عليه [وهذا اتهام ظاهر لكتاب الله بالتدليس والتلبيس على الناس، بل بالكذب عليهم؛ بدعوى ندرة الأذكياء فيهم]، وأما الطبيعة – من الناحية الأخرى – فإنها ثابتة لا تحابي أحداً، ولا تنتهك القوانين المفروضة عليها، ولا تهتم بكون أسبابها الغامضة وطرق عملها وتسييرها مفهومةً للناس أم لا، وبناء على ذلك فلا يجب إخضاع قوانين الطبيعة [حسب زعمه بأنها قوانين تحكم السماء كما تحكم الأرض، أو أنها حقاً قوانين، لا مجرد فرضيات تحتمل الصدق والكذب] لنصوص الإنجيل التي تحتمل عدة معاني من التأويلات الباردة [فكان بذلك مسقطاً لمصداقية الكتب السماوية جملة وتفصيلاً، للدفاع عن أفكاره الإلحادية]، فإن تعبيرات الإنجيل غير مقيدة بشروط صارمة كتلك التي تحكم الطبيعة، وقال بأنه لا يعني بذلك عدم احترام نصوص الكتاب المقدس، لكن بمجرد التوصل إلى حقيقة علمية طبيعية فيجب استخدامها في شرح نصوص الكتاب المقدس، فيتطابق بذلك كتاب الله المفتوح في الطبيعة مع كتابه المقدس، [فكان بذلك فاتحاً باب التفسير الرمزي الباطني الملحد، منزِّهاً آراءه عن الخطأ، مطوِّعاً للكتاب المقدس ليخدم إلحاده]، ثم أخذ ينقل عن الفيلسوف أوغسطين ما يؤيد مذهبه، وذكر أنه ليس أول من تكلم في هذه المسألة، وذكر أسماء بعض من ذكرناهم آنفاً، ثم طالب بمنع من يقوم بتفسير الإنجيل بشكل لا يتلاءم مع الحقائق الكونية التي يدعي صحتها، ثم أخذ يخلط بين الحق والباطل، ويغالط في أمور لا غبار عليها، فيقرن بين علم الفلك الذي يتهوك فيه، وبين علوم نافعة للبشر كالطب والهندسة وغيرهما، فيجعلها كلها في كفة واحدة، إلى آخر ما قال.

قلت: ونحن لا ننكر كل ما ينسب إلى فلاسفة اليونان وغيرهم وأتباعهم من الكفرة والملحدين: من العلوم الرياضية والطبيعية والطبية مما هو موافق للحقيقة؛ لكونهم كفاراً، بل نقر بصحة ما ثبت بالتجربة الصحيحة، وثبت بالبرهان القاطع، أو ما غلب على الظن صحته، ولم يخالف أصلاً شرعياً، وقد أثبت الله ﷻ لهم العلم بالدنيا وأسباب معاشهم فيها، فقال سبحانه: ﴿**يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**﴾ [الروم (7)]، وامتن عليهم بأن يسر لهم سبل عمارة الأرض بمعرفة سننها وقوانينها، فقال سبحانه: ﴿**وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ**﴾ [هود (61)]، إلى غير ذلك من الآيات في هذا المعنى [وانظر: المنقذ من الضلال ص(23) وما بعدها، وتقدم نقل كلام شيخ الإسلام في أول هذا البحث في هذا المعنى. وانظر: الفيزياء ووجود الخالق، للأستاذ الدكتور جعفر شيخ إدريس. ص (12)].

وقد ظهر من تصرف جاليليو في هذه الرسالة أنه أراد النجاة من مصير برونو المروِّع، فلا يُتهم بالإلحاد وتكذيب الإنجيل، وحاول الجمع بين الإنجيل وبين ما ادعاه من حقائق كونية [حسب رؤيته القاصرة، وتدليسه وكذبه فيما ينسبه للطبيعة، كأنه شهد خلقها يوم خلقت، واطلع على كيفية تسييرها]، فكان بذلك رائداً للقائلين بالإعجاز العلمي للتوراة والإنجيل والقرآن، المعتمد على ليِّ أعناق النصوص لتوافق كلام أهل الإلحاد والزندقة.

منقول بتصرف من [Letter to the Grand Duchess Christina of Tuscany, 1615]

لم يستطع جاليليو أن يكذب نصوص الإنجيل والتوراة صراحة، وذلك لكونها تدل دلالة ظاهرة على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها، لكنه كان محتالاً، ونسوق لذلك مثالاً واحداً من تأويلاته لنصوص الإنجيل والتوراة:

ورد في التوراة أن يوشع كان في معركة، وكان في حاجة ليوم أطول للإجهاز على أعدائه، فدعا الله تعالى أن يوقف حركة الشمس في السماء حتى يتم له النصر، وجاء في التوراة: "تتوقف

حركة الشمس, ويتوقف القمر حتى تثأر أمة من أعدائها، ...، بقيت الشمس في منتصف السماء، ولم تتحرك ليوم كامل تقريباً"، ويبدو أن هذا من النصوص التي لم يلحقها التحريف، فقد أخرج الشيخان [البخاري (3124و5157)، ومسلم (1747)] من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بُضْعَ امرأة، وهو يريد أن يبنى بها ولما يَبْنِ**، ... إلى أن قال: **فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنتِ مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ شيئاً فَحُبِسَتْ عليه حتى فتح الله عليه**، ...» الحديث.

وقد استدل معارضو جاليليو بهذا النص من التوراة على ثبات الأرض وحركة الشمس، فما كان من جاليليو إلا أن أعمل فكره الشيطاني في تأويل هذا النص الصريح، فزعم أن الشمس تدور حول محورها مرة كل شهر، وبسبب دورانها حول محورها تكتسب الأرض والكواكب الحركة منها، سواء حول نفسها، أو حول الشمس، إذ الشمس هي المحرك الأساسي لما حولها، [ولا جرم في ذلك إذا كانت هي إلهه المعبود]، فإذا طلب يوشع من الشمس أن تتوقف عن الحركة، فإنه يكون قد طلب منها أن تُوقِف حركة الأرض بالتبع، وبالتالي يطول النهار، وهكذا بدأ الإعجاز العلمي!

وبسبب تلك المواجهات، ودفاع جاليليو عن هذه النظرية، أثار ذلك حفيظة البابا بول الخامس ضد جاليليو، فاستدعى الكاردينال بلارمين – عضو محكمة التفتيش في روما – جاليليو وحذره من الدفاع عن آراء كوبرنيك، كان ذلك عام (1616م)، لكن في عام (1623م) أصبح الكاردينال مافيو باربريني *Florentine Maffeo Barberini* هو البابا أوربان الثامن *Pope Urban VIII*، والذي كان صديقاً قديماً لجاليليو مما خفف من حدة التوتر، بل حصل منه على إذن للكتابة في المقارنة بين نظامي بطليموس وكوبرنيك، لكنه استغل هذا الإذن فكتب حواراً ينتصر فيه لكوبرنيك وأفكاره، وصاغ هذا الحوار على لسان ثلاثة أشخاص، جعل الشخص الذكي فيه هو المتحدث باسم نظام كوبرنيك المدافع عنه، وأما نظام بطليموس فكان المدافع عنه شخصية ضعيفة غبية مثيرة للسخرية، وضمن مسرحيته تلك

بعض الحجج الواهية مثل ما يسمى ببرهان اختلاف المنظر النجمي، وذكر بعض الطرق التي يمكن قياس الاختلاف بها؛ مما مهد بعد ذلك للسعي لجعله حقيقة واقعة، ومشهداً سماوياً، مما يفسر لنا شدة اهتمام من جاء بعده مثل هوك، وبرادلي، وهيرشيل، وبسل، وستروف، وغيرهم ممن جهدوا أنفسهم في تحقيق أوهام سلفهم جاليليو.

ولما أمره البابا أن يضمِّن مسرحيته تلك مقولةً تقول بأن الحكمة الإلهية قد لا تدركها العقول البشرية، وأن قدرة الخالق مطلقة لا تقف عند حدود العقل البشري، جعل جاليليو هذه المقولة في آخر الحوار المسرحي، وعلى لسان الشخصية الممثلة لبطليموس، مما أثار حفيظة البابا، وفي هذا الوقت كانت حرب الثلاثين عاماً بين البروتستانت والكاثوليك قد بدأت، واتُّهم فيها البابا بإيواء الملاحدة، والدفاع عنهم، فصار البابا في خطر محدق مما جعله يقدم كبش فداء؛ ليُظهر ولاءه للعقيدة الكاثوليكية، فحينئذ اضطر لتقديم صديقه وعالمه جاليليو للمحاكمة.

وقد تمت محاكمة جاليليو بسبب طبع كتاب الحوار، السابق ذكره، والذي كتبه في خلال سبع أو ثمان سنوات، وقد اعترف أمام المحكمة أنه لما اجتمع في روما سنة (1616م) مع بعض الكاردينالات مثل بلارمين وغيره، أنهم قرروا أمامه أن هذا الرأي الذي يقول به من دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وأن الشمس هي المركز وليس الأرض: معارض تماماً للنصوص المقدسة، لكن يمكن التكلم به على شكل افتراضي، دون أن يعتقد صحة ذلك القول، وأن هذا القول لا يمكن اعتناقه، أو الدفاع عنه، أو تعليمه بشكل من الأشكال، لكنه نفى أن يكون قد تعهد بذلك كتابياً، وإنما شفوياً أمام الكاردينال بلارمين، فلما سئل عن سبب كتابة هذا الكتاب المذكور بعد هذا التعهد، وهل حصل على إذن في الكتابة؟ تهرب من الإجابة بأنه لا يعتقد أن كتابة هذا الكتاب يتعارض مع الإنذار السابق، بل إنه كان يفنده ويدحضه، ثم ذكر بأنه حصل على إذن بالطبع من الأب فيسكونتي *Visconti* في روما، لكنه لم يخبره بقرار اللجنة السابق وإنذار بلارمين له، وقد تمت هذه المحاكمة خلال أربع جلسات بداية من (12) أبريل (1633) إلى (21) يونيو (1633)، بعد انتهاء الجلسة

الأولى والتي كان فيها جاليليو مدافعاً عن نفسه، قام المفتش ماكيلانو بزيارة شخصية للمتهم يوم (27) أبريل، حاول فيها إقناعه بترك الدفاع عن نفسه، والاعتراف أمام المحكمة بخطئه، نجح المفتش في مهمته، وأخبر رئيس المحكمة الكاردينال باربيني – ابن أخي البابا، وصديق سابق لجاليليو – بنجاحه، وبالفعل قام جاليليو في الجلسة الثانية بالاعتراف أمام المحكمة بكل انكسار وذل أنه لما عاود قراءة كتابه اكتشف أنه دافع عن نظرية كوبرنيك، ومن ثم كان إدانة لنفسه بخرق التعهد الذي أُخذ عليه، وانتهت الجلسات بتراجع جاليليو عما كان يقول به، وأنه يعتقد رأي بطليموس القائل بثبات الأرض وحركة الشمس، وحُكم عليه فقط بالإقامة الجبرية، ذلك لأن البابا أوربان الثامن قد ضمن لجاليليو محاكمة صورية، دون أن يقع تحت طائلة التهديد بالقتل أو الحرق حياً، حيث تم اختيار أعضاء المحكمة بعناية، كما تم استبعاد الأشخاص الأكثر عداءً لجاليليو، مثل الأب جراسي *Horatio Grassi*، فأيُّ شهيد علمٍ هذا!!!، وقد نكص على عقبيه!!!.

منقول بتصرف من [*The Galileo Affair: A Documentary History*]

وانظر أيضاً: *New light on the Galileo affair*

كان جاليليو يرى أن البحث العلمي النزيه يجب أن يتجرد تماماً من أي قيد أو تأثير خارجي، يعني بذلك التحرر التام من قيود الدين، أو مما يمليه عليك اعتقادك بما في الكتب السماوية، فنقول لمن يرى ذلك من أهل الضلال: إذا بدأت بحثك عن الحقيقة معلناً كفرك برب العالمين، واستغناءك عنه أن يهديك إلى الصواب، معتمداً في ذلك على نفسك والشيطان، واثقاً بهما، فكيف تنتظر بعد ذلك توفيقاً وهداية إلى الحقيقة، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ لاَ يَهْدِيهِمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ O إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [النحل (104و105)]، فلذلك نقول: بأن هؤلاء شرار الخلق، وهم من أجرأ الناس على الكذب والافتراء، يفترون الكذب، ثم يغلّفونه بغلاف البحث العلمي النزيه، المتجرد من أي تعصب لأي عقيدة، فما أبشع ضلالهم وكفرهم بآيات الله!.

وتعالوا بنا نتساءل عن مدى مصداقية كبلر وجاليليو [وهما أول من سعى لإيجاد دليل علمي يعضد نظرية كوبرنيك]، فنفترض جدلاً أن الملاحظات والأرصاد الفلكية التي وقفا عليها قد حيرتهما لكونها تخالف ظاهر التوراة والإنجيل، فعندئذ يجب أن يُعمل الباحث النزيه فكره وعقله لإيجاد سبيلٍ للجمع بين هذه النصوص المنزلة من عند الله خالق هذا الكون، ومَن أصدق مِن الله قيلاً، ومَن أصدق مِن الله حديثاً، فقوله حق، وخبره صدق مطابق لما في الواقع، يجب على الباحث أن يجمع بين خبر السماء، وبين أرصاده وملاحظاته بحيث ينفي عنها التعارض الذي ظهر له، ومن أقوى الملاحظات التي ظهرت لهما: بعض الإشكالات المتعلقة بأرصاد عطارد والزهرة والمريخ، فكان من المفترض أن يبدأ الباحث بالشك في أرصاده، أو في طريقة تحليلها، فيعيد النظر فيها لتطابق الكتاب المنزل من عند الله تعالى، لكن الذي حدث منهما أنهما لم يحاولا تطويع ملاحظاتهما للنصوص، ولكن على العكس من ذلك فقد قاما بإهمال ما دلت عليه هذه النصوص، واعتماد ما ظهر لهما من تحليل هذه الأرصاد، مما يحتمل الخطأ والصواب في التحليل والتفسير، والأدهى من ذلك محاولة لي أعناق النصوص لتوافق أفكارهما المبنية مسبقاً على تصديق نظرية كوبرنيك، فإن قال قائل: لم يكن أمامهما إلا هذا الطريق، فيقال: قد كان المخرج موجوداً في التأليف بين أرصادهما، وبين نصوص التوراة والإنجيل، لكنه عمى القلوب!، كان الحل ماثلاً أمام أعينهما، لكنهما تعاميا عنه عن عمد، ذلك أن أشهر فلكي في عصرهما قد قال بهيئة فلكية وسط بين بطليموس وكوبرنيك، ولا تُعارض صراحة نصوص الكتاب المنزل، قال تيكو براهي بثبات الأرض، ودوران الشمس حولها، لكن الكواكب تدور حول الشمس، وهذا يحل لهما الإشكال المتعلق بهذه الكواكب السيارة الثلاثة، وفي نفس الوقت لا يعرضهما للاتهام بالإحاد، وخطر مواجهة محاكم التفتيش، فلماذا إذن؟!!!.

السؤال المحير هو: لماذا خالف هؤلاء عقيدة بني جلدتهم؟ ونصوص الإنجيل والتوراة التي تدل دلالة واضحة على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها؟ ولم يكن تحت أيديهم من البراهين القاطعة أو الأدلة العقلية الناصعة التي يمكن أن تُؤَول لها تلك النصوص؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى: قد وُجِد من علماء دينهم من يقيم عليهم الحجة الرسالية – مما بين أيديهم من نصوص الإنجيل والتوراة – على ثبات الأرض ودوران الشمس حولها، مع أن أيديهم كانت خالية الوفاض من أي دليل مادي محسوس يصدق مقولتهم، ومن الشواهد على ذلك ما كتبه الكاردينال *Bellarmine* بلارمين إلى الأب باولو أنطونيو فوسكاريني *Paolo Antonio Foscarini*، محاولاً ثني عزمه عن القول بهذه النظرية، ومبيناً له بأدب وتوقير زائد خطورة هذا القول، ومدى إضراره بإيمانه بنصوص الكتاب المقدس، وما اتفق عليه باباوات الكنيسة الكاثوليكية في تفسير هذه النصوص، بالإضافة إلى معارضة أقوال علماء زمانهم بعلوم الطبيعة، ومعارضة أقوال سليمان عليه السلام في نسبة الشروق والغروب والحركة إلى الشمس، مع أن سليمان عليه السلام كان ممكَّناً في الأرض، وكان يوحى إليه من عند الله تبارك وتعالى، وأوتي من العلم ما يمكنه من معرفة الحقيقة على ما هي عليه، فقد كان أعلى مقاماً ومنزلة من جميع هؤلاء التي يتكلمون في العلوم الإنسانية والكونية، ولهذا فليس من المحتمل أنه كان يتكلم بشيء يناقض الحقائق الكونية.

[مأخوذ بتصرف من *Cardinal Bellarmine's Letter to Foscarini* (April 12,1615)].

لكن هذا الاستغراب والتعجب لا يدوم طويلاً إذا انكشف السر، وانزاح الستار عمن وراء هذه الحركة الخبيثة، لقد اكتشف الباحثون في العصر الحديث أن جاليليو كان أحد العملاء السريين لجمعية فينيسية سرية، تعمل في الخفاء.

كان المحرك لجاليليو هو باولو ساربي *Paolo Sarpi* (1552-1623م)، والذي بدأ حياته راهباً، ثم برع في الرياضيات واللغات الشرقية، ثم اتُّهم بالزندقة من قِبَل الكنيسة الكاثوليكية في روما، كما حاولت الكنيسة اغتياله لكنها فشلت في ذلك، فقد كان ملحداً منكراً لوجود الله تعالى، وكان لوطياً، وهو المؤسس الحقيقي للعصرانية وحركة التنوير الفلسفية، وأحد كهنة أخوية الصليب الوردي، والماسونية، كان باولو ساربي هو الشخصية المؤثرة في الحزب الفينيسي آنذاك، والذي استطاع من خلال نفوذه وأعماله الشريرة أن يشعل حرب الثلاثين عاماً

بين الكاثوليك والبروتستانت، والتي حصدت نصف سكان ألمانيا وثلث سكان أوروبا، كما أنه كان سبباً في اغتيال الملك هنري الرابع ملك فرنسا، لأنه كان يعارض خطط ساربي، وكان يراه ملحداً منكراً لوجود الله تعالى، وقد تمكن ساربي وأتباعه من تجنيد جيوردانو برونو وجاليليو للعمل لحساب هذا الحزب، استطاع ساربي أن يأتي بجاليليو ويضمن له مقعد الأستاذية في جامعة بادوا، مع كون جاليليو لم يكن يحمل الشهادة التي تؤهله لذلك، ومن هنا كان ساربي صاحب النعمة على جاليليو، إذ كان الأخير في حاجة ماسة إلى المال وقتئذ، كان هناك تطابق في وجهات النظر العلمية بين ساربي وجاليليو، حتى فيما يتعلق بالسحر، والذي كان أحد أهم اهتمامات ساربي، وساربي هذا هو صاحب فكرة استخدام التليسكوب الجديد، والتي أوحى بها إلى جاليليو، والذي لم يكن فلكياً أصلاً، كانت نتائج استخدام التلسكوب طبقاً لتوجيهات ساربي سبباً في شهرة جاليليو في أوساط العلميين وغيرهم في أوروبا كلها، وكأنه عالمها الأوحد، فأصبح أهم وأكثر أعضاء الحزب الفينيسي تأثيراً بعد ساربي ومساعده، لكن ساربي يؤكد بأن هذه المشاهدات والأرصاد التي سجلها جاليليو كانت من دير *Servite* لباولو ساربي حيث دارت بينهما المناقشات والحوارات العلمية حول هذه الملاحظات والأرصاد، والحقيقة أن كثيراً مما كان يقوله جاليليو ويعتقده – مما سبق أن ذكرناه في ثنايا هذا البحث – كان متأثراً فيه بفكر ساربي، كان ساربي هو الذي طلب منه أن يكتب رسالة في الحركة، وبذا يظهر أن جاليليو في معظم أبحاثه في قوانين الحركة كان مدفوعاً من قِبَل ساربي، ولأهداف ساربي، ولما مات ساربي ولم يكن جاليليو قد وفى بوعوده، طالبه ميكانزيو *Micanzio* بذلك، فاستجاب جاليليو وكتب: "علمان جديدان" في مسألة الدوران، و"الميكانيكا والحركة الداخلية" في قوانين الحركة.

من أكثر العوامل التي مكنت هؤلاء من السيطرة على جاليليو: شخصية جاليليو الماجنة، وميوله إلى الفسق والتحرر من الدين والأخلاق، لقد كان جاليليو عاشقاً للنساء، والعلاقات المحرمة، فها هو يعشق امرأة متزوجة، وهي معرضة عنه لا تلقي له بالاً، حتى كتب فيها شعراً، يشبهها فيه بنيرون الطاغية وهو يرى روما تحترق، كانت لغته في الشعر بذيئة ماجنة، يكثر فيها

من الشتم والسب والمجون والبذاءة، كما يصفه بذلك جوزيف برتراند في كتابه "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (184-186)، ومن هنا تم استدراج جاليليو للعمل لحساب هذه الجمعية الخبيثة عن طريق إشباع رغباته الجنسية، وولعه بالمتعة واللذة المحرمة، حيث يقول برتراند ص (193): "عند قدومه إلى بادوا تبعته فتاة فينيسية، والذي كان فريسة لحبها، وكانت علاقتهما علنية، وهذه وضعية غير قانونية، فتم إعلام البرلمان بذلك، فلم يصدقوا ذلك، واعتبروا الوشاة أخطؤوا، و لما ثبت لديهم بأن جاليليو ليس وحيداً قاموا بمضاعفة راتبه حتى يتمكن من الإنفاق "، هذه سيرة أنبيائهم! فهلا قرأتم سيرة أنبيائنا!.

قد يظن البعض أن هؤلاء قد نذروا أنفسهم لإسعاد البشرية، حيث تفانوا في السعي نحو ما يجلب لهم السعادة، ويبعدهم عن أسباب الشقاء والتعاسة، فلم يلتفتوا إلى أنفسهم وإشباع رغباتها، بل زهدوا في كل متع الدنيا، وودعوا الراحة والدعة؛ لأجل إسعاد البشر، وإنقاذهم من أسباب التلف والهلاك، قد امتلأت قلوبهم بالرحمة والشفقة على الخلق، لم تستطع أعينهم أن ترى طفلاً مشرداً، بسبب فتك الفقر والجوع والأمراض بأبويه، أو أن يروا المرضى تعتصرهم الآلام، لو كان هذا حقاً، فهل أجد إجابة على هذا السؤال:

لماذا تخلى جاليليو عن ابنه الذكر الوحيد لكي يذهب إلى غير رجعة مع أمه المومس، فلا تراه عينه بعدها أبداً؟! لماذا رضيت نفسه أن يلقي بابنتيه في أحد الأديرة، ولم يكن ليشغل باله بعد ذلك في تفقد أحوالهما، بل لما استغاثت به إحداهما لكي يبعث إليها بما يقيها من البرد لم تجد منه أذناً صاغية؟؟؟!!!!!

ومن القرائن التي تؤكد صلة جاليليو بهذه الجمعية استخدامه للشفرة في اكتشافاته العلمية، فقد كان نشر المكتشفات العلمية الحديثة في زمانه أمراً طبعياً، حتى يحوز الشهرة والمكانة العلمية بين علماء عصره، لكن لما كانت مكتشفات جاليليو لحساب هذه الجمعية، ولدعم معتقداتها الوثنية، فقد كان يستخدم نوعاً من التشفير في نشر هذه المكتشفات، مثل ما عبر مرة عن بعض اكتشافاته بقوله: (Smaismn milne poeta pocta leumi bune lructavinas, haec immature a me jam frustra leguntur oy)

انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (211-212)

كذلك مما يؤكد أن جاليليو كان مدفوعاً لإثبات هذه النظرية ميكانيكياً؛ أنه لم تكن ثمت حاجة بشرية معاصرة ملحة للبحث في هذه المسائل الرياضية التي بحثها، بقدر ما كانوا بحاجة ماسة لتطوير علم الطب، أو غيره من العلوم التي تخفف من حدة الآلام التي يعاني منها البشر بسبب المرض أو الجهل أو الفقر، بغض النظر عما كان مجتمعهم بحاجة ماسة جداً إليه من تصحيح المسار العقدي، وتنقية النصرانية مما شابها من أصول الشرك والوثنية، وتقويم ما اعتراها من قصور شديد في التصور والسلوك، ونفي التثليث والبنوة عن مقام الألوهية، ومن ثم فإن هذه النظريات وما ترتب عليها أنتجت عالماً مادياً بحتاً، ملحداً لا يريد أن يعرف ربه، وأثمرت حضارة بعيدة كل البعد عن متطلبات الإنسان الروحية والبدنية، وفي هذا المعنى يقول ألكسيس كاريل [توفي سنة (1944)] في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" ص (287): "إننا لا نستطيع تجديد أنفسنا وبيئتنا قبل أن نغير عاداتنا في التفكير، لقد عانى المجتمع العصري منذ نشأ من خطأ عقلي، خطأ ما زال يتكرر باستمرار منذ عصر النهضة، لقد صاغت التكنولوجيا الإنسان لا تبعاً لروح العلم، ولكن تبعاً لآراء **ميتافيزيقية**، وها قد حان الوقت لكي نتخلى عن هذه المذاهب، ...، فإن الغلطة المسؤولة عما نعانيه، إنما جاءت من ترجمة فكرة لطيفة لجاليليو، فقد فصل جاليليو الصفات الأولية للأشياء، وهي: الأبعاد والوزن، التي يمكن قياسها بسهولة، عن صفاتها الثانوية، وهي: الشكل واللون والرائحة، التي لا يمكن قياسها، ففصل الكم عن النوع، ولقد جلب الكم المعبر عنه باللغة الحسابية العلم للإنسانية، بينما أهمل النوع، ولقد كان تجريد الأشياء من صفاتها الأولية أمراً مشروعاً، ولكن التغاضي عن الصفات الثانوية لم يكن كذلك، فالأشياء غير القابلة للقياس في الإنسان أكثر أهمية من تلك التي يمكن قياسها، ...، ولقد دفعت هذه الغلطة الحضارة إلى سلوك طريق أدى إلى فوز العلم وانحلال الإنسان". وقال في موضع آخر ص (37): "فلو أن جاليليو أو نيوتن أو لافوازييه وجهوا قواهم العقلية نحو دراسة الجسم والوجدان لكان من المحتمل أن يختلف عالمنا عما هو عليه الآن". وقال أيضاً ص (41): "ولقد أدى تطبيق الاكتشافات العلمية إلى تغيير العوالم المادية والعقلية، وهذه

التغييرات تحدث فينا تأثيراً عميقاً، وتأثيرها التعس إنما هو نتيجة لأنها عملت دون أدنى تفكير في طبيعتنا، ولقد أدى جهلنا بأنفسنا إلى تزويد علوم الميكانيكا والكيمياء بالقوة التي مكنتها من تعديل أشكال حياة أسلافنا كيفما اتفق".

هذه الجمعية الفينيسية التي كان ينتمي إليها هؤلاء الثلاثة، كان هدفها الأول هو هدم دين التوحيد الذي أنزله الله على رسله، وألا يُعبد الله تعالى على وجه الأرض، والعودة بالبشرية إلى الوثنية المحضة.

فإن قيل: فما الدافع لها لذلك؟

فيقال: كانت فينيسيا هي الوريث الثقافي والديني للإمبراطورية الرومانية الوثنية القديمة، وكان حكام فينيسيا يرون أنفسهم أنهم آلهة الأولمبياد، كما أنها كانت معبراً ومنفذاً لأوروبا إلى الشرق كله، فكانت بمثابة الدولة المهيمنة على أوروبا، فلما تبين لدول أوروبا الكبرى خطر هذه الدولة عليهم لعدة حوادث وقعت منها تبين فيها عداوتها للنصرانية، مثل ما وقع منها إبان الحروب الصليبية حيث تسببوا في إفشال إحدى الحملات الموجهة إلى صلاح الدين الأيوبي، ومثل معاونتهم للعثمانيين في حروبهم ضد النصارى في أوروبا، لذا قرروا محاربتها والقضاء عليها، ولذلك أنشؤوا تحالف كامبراي *Cambrai* [فرنسا وإسبانيا وألمانيا وسويسرا وهنجاريا] للقضاء على فينيسيا، وتم لهم ذلك في عام (1509) تقريباً، وعندئذ بدأت الحرب الفينيسية على دول هذا التحالف انطلاقاً من إنجلترا.

ولتنفيذ هذا الغرض أنشأ الفينيسيون عدة أخويات أو جمعيات، منها أخوية الصليب الوردي، ومنها الماسونية، وغيرهما مما استعملتها كآلات لتنفيذ مخططاتها.

ولهذا الغرض أيضاً أنشأت جامعة بادوا في فينيسيا، والتي تخرج منها عدد كبير من أساطين النهضة الأوروبية الحديثة، والتي روجت للفلسفة الوثنية لأرسطو الذي يرى: أن الخالق ليس له علاقة بنمو الكون والخلق المستمر، والذي يرى: أنه ليس هناك مبادئ أخلاقية، وإنما الأخلاق ما تعارف عليه الناس أياً كان، وعلى هذا فليس هناك صواب وخطأ، والذي يرى: أن من الناس من خُلق ليَحكم ويسود، ومنهم من خلق ليُحكم ويقاد كالبهائم، فالناس ليسوا سواسية، وإنما

أسياد وعبيد.

يمكن تقسيم أنشط الفترات التي عملت فيها هذه الجمعية الفينيسية إلى ثلاث فترات: الأولى في أوائل القرن السادس عشر، والثانية: في أوائل القرن السابع عشر، والثالثة: في أوائل القرن الثامن عشر.

في أوائل القرن الخامس عشر: كانت هناك ثلاث شخصيات محورية، هي: *Pietro Pomponazzi, Gasparo Contarini, and Francesco Zorzi*

تعلم جاسبارو كونتاريني على يد بيترو بومبونازي، ومن ثم كانت معظم العمليات بعد ذلك بإدارة كونتاريني، كونتاريني كان هو الباعث لفكرة البروتستانتية، وحرك من أجلها مارتن لوثر، وجون كالفين، من أجل هدم العقيدة الكاثوليكية.

كان كونتاريني عضواً في المجلس الثلاثي، الذي يعتبر الهيئة الحاكمة العليا في فينيسيا، كما قضى ثلاث سنوات في الفاتيكان سفيراً لفينيسيا، ثم كاردينالاً في كلية الكاردينالات بروما، ثم مبعوثاً لبابا الفاتيكان إلى ألمانيا لحل المشكلات الناجمة عن انشقاق اللوثريين عن الكنيسة الكاثوليكية، والتفاوض معهم، استطاع فيها أن يؤثر على مجريات الأحداث لصالح فينيسيا، هكذا منهجهم في الشر يتعاملون مع أعدائهم بخبث ودهاء حتى كأنهم أخلص المخلصين لهم، وحتى يحوزوا ثقتهم التامة.

بعث كونتاريني سنة (1529) فرانسيسكو جورجي إلى إنجلترا لكي يمهد لتدمير هذه الدول الخمس التي تآمرت على فينيسيا، وتم اختيار إنجلترا بالذات لعدة أسباب استراتيجية، بدأ جورجي عمله كمستشار جنسي لدى الملك هنري الثامن، محاولاً إقناعه بطلاق كاثرين بنت ملك إسبانيا، متذرعاً بتفسير بعض النصوص من التوراة، متوصلاً بذلك إلى قطع وشيجة المصاهرة بين هنري وبين ملك إسبانيا، ونتيجة عمل جورجي أنشأ هنري الثامن الكنيسة الإنجليكانية في إنجلترا، والتي أنشأت القاعدة للحرب الدينية، كل ذلك من أجل خلق روح العداوة بين إنجلترا وإسبانيا، وتمهيداً لإثارة الحرب بينهما، لأنهم كانوا يرون أن إنجلترا هي

المفتاح لتدمير إسبانيا عدوهم اللدود، قام جورجي في إنجلترا بإنشاء أخوية الصليب الوردي، والماسونية، وتم إنشاء البرلمان الإنجليزي على هيئة مجلس الشيوخ ومجلس النواب، آخذاً بذلك الصبغة الفينيسية للحكم، لإحكام السيطرة الفينيسية على إنجلترا.

الفترة الثانية: في أوائل القرن السابع عشر، كانت هناك أيضاً ثلاث شخصيات مهمة:

Paolo Sarpi and his right-hand man Fulgenzio Micanzio, the case officers for Galileo Galilei.

باولو ساربي، وذراعه الأيمن: ميكانزيو، ووكيلهم: جاليليو، وقد سبق الحديث عنهم.

ثم تابعت المدرسة الفينيسية نشاطها عن طريق روبرت فلود، وفرانسيس بيكون، وتوماس هوبز [الأعضاء في أخوية الصليب الوردي].

الفترة الثالثة: في أوائل القرن الثامن عشر، كانت هناك أيضاً ثلاث شخصيات مهمة:

Antonio Conti and Giammaria Ortes in the early 1700s. This was the group that created the Newton myth

أنطونيو كونتي، وجياماريا أورتس، واللذان لعبا دوراً في إيجاد أسطورة نيوتن، وسيأتي الحديث عنهم لاحقاً. انظر:

VENICE'S WAR AGAINST WESTERN CIVILIZATION

Venice The Methodology of Evil

The Venetian Takeover of England: A 200-Year Project

Les Fondateurs De La Astronomie Moderne [Joseph Bertrand]

ولا يفوتني قبل الانتقال إلى نيوتن أن نذكر باختصار حقيقة أهم جمعية اعتمد عليها الفينيسيون، ألا وهي أخوية الصليب الوردي:

أخوية الصليب الوردي *Rosicrucian*: جماعة دينية وثنية، عقيدتها خليط من الصوفية الباطنية النصرانية، والوثنية المصرية القديمة، والوثنية الهرمسية، والوثنية الفيثاغورية والأرسطية والأفلاطونية اليونانية، وقيل بأنها تنشر تعاليم الأخوية البيضاء الكبيرة التي أنشأها

الفرعون تحتمس الثالث (1504-1447 قبل الميلاد)، ودعا إليها إخناتون الداعي إلى عبادة الشمس، وقد تلقى فيثاغورس تعاليم هذه الأخوية وأسرارها على أيدي كهنة مصر، ونقلها بدوره إلى اليونان، ثم نقل الفيلسوف آرنولد أسرار هذه الأخوية إلى فرنسا، ثم انتشرت في ألمانيا، وإنجلترا، وهولندا، وفي أواخر القرن التاسع عشر وفي أماكن سرية من هضبة التيبت وجبال الهملايا كانت هناك الأخوية البيضاء الكبرى التي تضم السادة الحكماء المشرفين على تطور الجنس البشري – هكذا زعموا – تنتظر الأوان المناسب لكي تُطلِع عدداً من التلامذة المختارين على نصوص من أقدم نصوص الحكمة المدوَّنة في العالم، حين رأوا أن عددًا من الناس بات مستعدًّا لاقتبالها.

فهم يرون أن التطور الإنساني على مستوى الكرة الأرضية تقوده "أخوية" من البشر المتطورين الذين بلغوا كمال الحياة الأرضية وطوَّروا في أنفسهم قدرات وملكات معرفية يتعذر علينا تصورها ونحن من التطور على ما نحن عليه؛ وهم على اتصال وثيق فيما بينهم وعلى اطِّلاع تامٍّ على قضايا العالم الذي يوجِّهونه، طبقًا للخطة الإلهية، بحكمة ودراية لانهائيتين، هكذا زعم ملحدهم.

وهي تمجد النساء، واهتم أعضاؤها قديماً بعلم الكيمياء الذي يبحث في تحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب، وأوجدوا علاقة بين كيمياء المعادن وعلم السحر والتنجيم، كما حاولوا السيطرة على علم الطب، وتعتبر أصلاً من أصول الماسونية المعاصرة.

ويعتقد بأن مؤسسها هو *Rosenkreutz* (1378-1484م)، والذي تلقى علومه المتعلقة بهذه الوثنية من خلال رحلته إلى المشرق، وما تعلمه فيها من علوم السحر، وتحضير الأرواح، وقيل بأن أول تأسيس لأخوية الصليب الوردي كان سنة (1598) وقيل سنة (1616)، لكن جذورها العقائدية والتاريخية ممتدة عبر الوثنيات القديمة.

وقد أثرت فيها فلسفات كيمياويي القرون الوسطى مثل *Paracelsus* (1493-1541م)، واسمه الحقيقي: فيليب، ويقال بأنه مؤسس هذه الأخوية، كان طبيباً، أحدث ثورة في عالم الطب، حيث أدخل الكيمياء والمعادن في علاج المرضى، مستعيناً في ذلك بالتنجيم،

كان معاصراً لنيكولا كوبرنيك ومارتن لوثر وليوناردو دافنشي، ولم يكن بأقل منهم تأثيراً في تغيير العالم الحديث، لا سيما في علم الطب، وقد ربط الكيمياء بالسحر والتنجيم، وكان قد طاف العالم باحثاً عن سره الأعظم، ووصل إلى الشرق الأقصى، وكان مقرباً من خان التتر، لأنه كان ساحراً منجماً، وكان أبوه هو الأستاذ الأكبر لفرسان الهيكل، كما أنه أخذ اسمه هذا من الطبيب الروماني الذي عاش في القرن الثاني الميلادي، ويدعى *Celsus* الذي كان وثنياً طاعناً في النصرانية وفي المسيح عليه السلام، وهكذا سمى فيليب نفسه: *Paracelsus* يعني: مشابه *Celsus* تخليداً لذكراه، وتتميماً لمسيرته.

وهذه الأخوية منظمة سرية للغاية، لم يكشف أعضاؤها السريون عن هويتهم، أو عن تعاليمهم الباطنية، وهم يؤكدون على عزوبة أعضائها، وعزوفهم عن الزواج، ولا جرم في ذلك إذ كان الزواج سنة المرسلين، وفطرة أتباعهم، الذين هم أعدي أعدائهم، كانوا بداية يفضلون السحر الأسود للوصول إلى غاياتهم، لكن منذ عهد باولو ساربي استخدموا إلى جانب السحر: العلم والعلماء [في محاولة لاحتواء حركة الاكتشاف العلمي الوليدة في أوروبا] مثل جاليليو وإسحاق نيوتن، ومن سبقهم ومن تلاهم لتحقيق مآربهم، وكانوا لهم بمثابة عملاء سريين، ولهذا كانوا حريصين على إنشاء الجمعية الملكية العلمية في إنجلترا سنة (1660)، فقد كان بعض مؤسسي الجمعية الملكية ورؤسائها ينتمون إلى هذه الأخوة، مثل روبرت بويل *Robert Boyle*، وجون ويكينز *John Wilkins*، وإلياس أشمول *Elias Ashmole*، وإسحاق نيوتن *Isaac Newton*، وغيرهم، أسسوا هذه الجمعية العلمية لتخدم أغراضهم الخبيثة، لكي تحدث انشقاقاً جذرياً بين الروح والمادة، بين الدين والعلم، ولا مانع في البداية من تطويع الدين للعلم، ثم هدم الدين بعد ذلك، وسبب ذلك أن السحر كان تحريمه معلوماً لدى النصارى، بينما النظريات العلمية الحديثة فلن يشك أحد في مصداقيتها، ومن ثم في مصداقية ما دلت عليه، ومن ثم في مصداقية العاملين في مجال البحث العلمي، فمهما قالوا بعد ذلك فلن يشك أحد في نواياهم ولا في تجردهم ونزاهتهم.

ومن مقاصدهم: محاولة إيجاد مصالحة بين ما يسمى بعلم اللاهوت، وما يسمونه هم

بالعلم التجريبي، وهو ما سمي لاحقاً بالإعجاز العلمي، وهي تطويع نصوص الإنجيل والتوراة لأفكارهم الخبيثة التي يصبغونها بصبغة العلم، إذ يدعون بأن التوراة والإنجيل لا يفهمها أغلب البشر حتى أهل الاختصاص منهم، وإنما يفهمها بعض علماء الدين منهم، وعلماء الرياضيات الموهوبون، واهتموا اهتماماً خاصاً بعلم الفلك والنجوم، والقوانين الطبيعية عندهم هي التي تحكم كل العوالم سواء روحية أم مادية، وهم الذين عمدوا لإحياء النظرية الفيثاغورية فيما يسمى بالنظام الشمسي، ويعتبرون الكنيسة أعدى أعدائهم، وقد عملوا على إسقاط سلطتها الدنيوية، كذلك عملوا على إسقاط الملكيات، واستبدالها بحكومات ديمقراطية، يتم انتخابهم ممن تلقوا تعليماً مدنياً حديثاً، تمت صياغته على أيدي خبرائهم.

هذه الأخوية تشبه إلى حد كبير الماسونية في أن لها ظاهر وباطن، ظاهر ينخدع به السذج والبسطاء من الدعوة إلى الفضائل التي يتطلع البشر إلى اكتسابها، وباطن لا يطلع عليه إلا من كان مؤهلاً للاطلاع عليه من قِبَلهم.

الوردة والصليب هما رمزان للأنثى والذكر، وقال بعضهم بأنهما يرمزان لعملية الإخصاب بين الذكر والأنثى، وقالوا بأن الوردة رمز لإلهة الحب، وكذا الصليب المتساوي الأضلاع رمز هيروغليفي للطب العالمي، وقيل: رمز الصليب له دلالة خاصة بهم: فالخطّ الأفقي منه يمثل الجسد البشري (أي القسم الماديّ للإنسان)، والخطّ العموديّ منه يمثل الروح التي في الجسد (أي الجانب الروحي في الإنسان)، والوردة التي في وسطه عند التقاء الخطين المذكورين، هي رمز الذات الإنسانية التي تتفتّح مع كلّ ولادة.

THE ROSE CROSS A Historical and Philosophical View
" *The Rosicrucian Cosmo-Conception*"

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الموطن أن أحد كهنة هذه الديانة الوثنية قد تجرأ على نشر أحد أسرارها، مما كان سبباً في الحكم عليه بالقتل من قبل هذه الأخوية، فقد قام باسكال بيفيرلي راندولف *Pascal Beverly Randolph* بتأليف كتاب في السحر الجنسي *A Treatise on Sexual Magick* مبيناً فيه كيف يمكن التوصل إلى استخدام الشياطين

في تنفيذ أعمالهم الشريرة عن طريق تقديم المرأة قرباناً للشيطان، مفصلاً ذلك بطريقة شيطانية مريدة، وهو بذلك يبين كيفية إجراء الطقس الجنسي التعبدي للشيطان، ويُنَظِّر فيه الجانب العقدي لهذا الطقس الجنسي، وطرق التحضير لإجراء ذلك الطقس الوثني، بحيث يخرجه لدى مريديه من كونه قضاء شهوة محرمة إلى نوع من أنواع الصلوات، الذي يقدمها عابد الشيطان لشيطانه الذي يعبده من دون الله، إذ يشترط الشيطان عليهم أن يتجردوا من حظ النفس في هذا الاتصال الجنسي مع هذه المرأة، حتى تنتفي شهوته تماماً، ويرقى به إلى حال الكمال المزعوم والاتحاد مع معبوده، وهو هنا الشيطان، وتصبح المرأة حينئذ في هذه الحالة ملكاً تاماً للشيطان يستمتع بها من خلال الذكر، كما رُوي في الأثر عن مجاهد: أن الشيطان يلتف على إحليله فيجامع معه، أو من خلال تلبس الشيطان بعابده وحضوره عليه في هذه الحال، فإن لم يستجب لمطالب معبوده فإنه يهدده بجعل الولد بينهما مشوهاً بدنياً أو عقلياً.

ومن هنا يظهر السبب الذي لأجله عُظمت المرأة في هذه الوثنية، فقد أمر الشيطان أولياءه بتعظيمها، وتبجيلها، بل وعبادتها، أو قل عبادة فرجها، كما يسميه بعضهم الكأس المقدسة، وبعد هذا العرض الموجز السريع؛ فإذا كنتَ ممن كان له قلب حي، أو ألقى سمعه وهو شاهد بقلبه، متدبر بعقله؛ فحينئذ سوف تفهم ما أراد الله ﷻ بقوله: ﴿**إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً ۝ لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً**﴾ [النساء (117و118)].

كذلك مما يؤكد اتصالهم بالشياطين وثقتهم بهم والأخذ عنهم:

ما يقوله بيير بورل (1620-1671م) في كتابه "منطق جديد يثبت تعدد العوالم" ص (56) يقول: "إذا كان هنالك مخلوق يعرف عين الحقيقة بالنسبة لتعدد العوالم ويمكنه الإجابة الكاملة على هذا السؤال: فإنهم الشياطين، ولكن كيف يمكننا الحصول على أقوالهم حول هذا الموضوع، إن ذلك من خلال وسائل الاتصال بهم، إنه أكيد فإن هذه *pans, syluains* والآلهة الأخرى التي كانت تظهر قديماً للناس كانوا شياطين محبوبين، وفي قصة الساحر *fauste*قال بأن الشياطين تتجول بين النجوم خلال ثمانية أيام وإنهم يصعدون 47 ألف

lieues (المسافة تساوي 188000 كيلومتر) وإنهم يرون الأرض ومدنها من هذه المسافات الشاسعة ...".

[Discours nouveau prouvant la pluralité des mondes [Texte imprimé]: que les astres sont des terres habitées et la terre une estoile, qu'elle est hors du centre du monde dans le troisiesme ciel et se tourne devant le soleil qui est fixe, et autres choses très curieuses / par Pierre Borel . Genève: [s.n.], 1657]

ويحسن قبل أن نفارق الكلام على هذه الديانة الخبيثة أن نذكر شيئاً من عقيدتهم في الخالق:

فهم يرونه كما رآه فلاسفتهم، ويعبرون عما يسميه الفلاسفة "واجب الوجود" بقولهم: "إنه مبدأ كلِّي الحضور، أزلي، غير محدود، سرمدي، يستحيل تذهُّنه، لأنه يتعالى عن ملكة التصوُّر البشري وليس من شأن أيِّ تعبير أو تشبيه بشريين إلا أن يقلِّصه. فهو يتخطى مجال الفكر ومداه. هناك، إذن، حقٌّ واحد مطلق، سابق على كلِّ موجود، متجلٍّ ومحدود؛ وهذه العلَّة اللانهائية والأزلية هي الأصل الذي لا أصل له لكلِّ ما كان، وما هو كائن، وما سيكون أبدًا. يَرمُز إلى هذه الكينونة: من جهة: الفراغ المجرد المطلق الذي يعجز أيُّ فكر بشري عن سبره أو تكوين أيِّ تصور عنه أو تذهُّنه مجرَّدًا؛ ومن جهة أخرى، الحركة المجرَّدة المطلقة (المحرِّك الساكن بحسب تعبير أرسطو) التي تمثل الوعي الطليق غير المحدود. عن هذه الأحدية أو الكينونة المطلقة يحدث أول تمايز ينطوي على أول ثنائية، هي ثنائية الروح والمادة"، وهم لا يرون له نهاية في التصور والإدراك، بل يقولون: "إن تصورات الإنسان عن الألوهة تتطور بتطور فكره وتفتُّحه" ويقولون أيضاً: " قاعدة الأخوَّة الشاملة، تشدِّد أن "الواحد الذي ما له ثانٍ" موجود في كلِّ موجود، بما يجعله قادرًا على تخطِّي أية درجة راهنة في المعرفة أو أيِّ كمال نسبي في الحياة والسلوك. ويقتضي ذلك أن حضور هذه "الذات العليا" في كلِّ صورة إنسانية يعني أن بوسع كلِّ إنسان أن يتخطى ذات يوم أيَّ معتقد ضيِّق أو أيَّ مسلك شائن وأن يحقق

الخلاص والحرية الروحية" فهم أهل الحلول والاتحاد، ويقول قائلهم الحلولي: "من هنا على كل معتقِد بـ"إله شخصي" مفارِق ألا ينسى أن كلَّ إنسان إله "بالقوة"، وقبس صاف من نور المطلق، وشعاع سماوي صادر عن المبدأ الأول، وأن يُبقي في ذهنه أن "إلهه" في الداخل أيضًا وليس في الخارج وحسب!"، ويقول أيضاً: " الروح والمادة: حقيقتان مستقلتان من حيث الظاهر؛ لكنهما من حيث الباطن: وجهان للمطلق أو مظهران له؛ وهما أول تمايز عن المبدأ الأصلي وأساس فعل التجلِّي الكوني"، ويقول أيضاً: "كلُّ إنسان، من حيث ماهيَّته، كائن إلهي، وهو ينطوي في ذاته، بالقوَّة على كلِّ القدرات والملكات التي تتصف بها الألوهة؛ وتتفتح هذه القدرات وتلك الملكات تدريجيًّا، وصولاً إلى كمال للوعي وسعة متناميين لا حدَّ لهما".

ومنهم القائل بوحدة الوجود الذي هو من أقبح العقائد على الإطلاق، ولتستمع إلى مقالتهم تلك إذ تقول: "إن ثلاثتهم [الله والنفس والإنسان] [تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً] من حيث الأصل والأزلية، مثلهم كمثل الكون وكلِّ ما فيه، واحد مع الوحدة المطلقة أو الجوهر الإلهي الذي لا يرقى إليه علم" ويقولون أيضاً: "الله مبدأ كلِّي السريان ولانهائي، كيف يكون للإنسان وحده ألا يكون متشرباً للاهوت، قائماً به وفيه؟"، ويقولون أيضاً: "إن لاهوتنا ليس في فردوس ولا في شجرة، لا في جبل ولا في مبنى خاص، إنما هو في كلِّ مكان، في كلِّ ذرة من ذرات الكون، منظوره وغير منظوره، فوق وحول وفي كلِّ ذرة وكلِّ جزيء مرئيين".

ولهذا فهم يؤكدون على دراسة المبادئ الإلهية الكبرى المهيمنة على الكون الأزلي – في تصورهم– والمسيِّرة له، إذ إن دينهم هذا يتناول، بالدرجة الأولى، النواميس الكونية التي تحكم ظواهر الطبيعة، إذ يرون أن المنظومات الشمسية التي تتألف منها المجرَّات والكون إجمالاً تعبيرات عن الحق الأسمى؛ ويشكل كلٌّ منها نظامًا مستقلاً، لكنه متأصل في المطلق غير المتجلِّي أبداً، هكذا قال ملحدهم.

ولهذا لم تنفصل دراسة الرياضيات والفيزياء والفلك يوماً عن هذه العقيدة الوثنية؛ إذ يقول قائلهم: "ففي بلاد الإغريق، وارثة حكمة مصر، كانت الفلسفة والعلم والدين تُعلَّم ككلٍّ واحد لا يتجزأ، وكان مريدو الأسرار الصغرى في هياكل ذلفس وإلفسِس وساموثراكي وفي أكاديمية

أفلاطون، وقبلئذٍ في مدرسة فيثاغورس في كروتونا، يدرسون الرياضيات والفيزياء وعلم النجوم، إلى جانب التعاليم الخاصة بطبيعة الألوهة والفيض والكوسمولوجيا ونواميس الطبيعة والبنية الباطنية للإنسان. أما "صفوة الصفوة" منهم، المؤهَّلة لولوج الأسرار الكبرى، فكانت تركز جهودها على تفتيح ملكاتها وقواها الباطنة في سبيل التحقق بالمعرفة والحكمة عبر التأمل الباطني وغيره من الرياضات السِّرَّانية".

وممن كان من معلمي الأسرار وممن حمل لواء التعليم الباطني: فيثاغورس وأفلاطون وأفلوطين ثم غلاة الصوفية والفلاسفة الإشراقيون ممن ينتمون لملة الإسلام مثل: الحلاج وابن عربي وابن سينا والسهروردي وأمثالهم.

وقد ذكروا أن من عوامل عدم انتشار هذه التعاليم الباطنية: تدمير مكتبة الإسكندرية القديمة عام (391) على يد بعض النصارى وبتحريض من الكنيسة آنذاك، وانقطاع الاتصال بين الشرق والغرب لعدة عوامل، وإحياء تعاليم أرسطو.

لكن كان لجمعية الصليب الوردي أكبر الأثر في انتشار هذه التعاليم الوثنية من جديد.

وهم لا يرون كل دين وشرعة نزلت من عند الله تعالى إلا مجرد أضلولة وعدواً للتقدم وحاجزاً في سبيل سعي الإنسان نحو السعادة. أما الثيوصوفيا -أعني: هذه العقيدة- فهي باشتمالها على العلم والدين جميعاً: دين علمي وعلم ديني، يقول س. بريوشينكين في كتابه "أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة" ص (433): "فقد أدى تقدم العلم والفلسفة إلى تبدل جذري في العقائد والرؤى، وسقوط السيادة المطلقة للعقائد المسيحية واليهودية، هذا السقوط الذي اختصره الفيلسوف الألماني نيتشه بقوله: "مات الإله". اهـ، ويقول ص (439): "إن أزمة نظام القيم الإنسانية التي أحدثها انهيار العقيدة الدينية، قد أرغم الحضارة على أن تدفع ببدائل ما، وقد ظهر أن الإلحاد والنفعية هما أكثر الأيديولوجيات قدرة على الحياة".

وهم يقولون أيضاً بنظرية التطور وتناسخ الأرواح، فيقول قائلهم: "فالعالِم الغيبي يدرك -بالكشف الروحي والوعي الصافي- أن العوالم غير المنظورة تنطوي على العوامل السببية لكلِّ الموجودات ولكلِّ ما يولَّد في دائرة الوجود الظاهر كلَّ ما يقبل الإدراك بالحواس. تعلَّمنا هذه

العقيدة أن على العقول الأولى، حتى تصير "آلهة" كلِّية الوعي، إذا جاز التعبير، أن تمر بالمرحلة البشرية ذلك أن على كلِّ كيان أن يفوز بحق الألوهية بنفسه عبر خبرته الذاتية"، ويقولون أيضاً: "إن العناصر نصف العاقلة وغير العاقلة الدنيا ستصير يومًا في عِداد البشر. وما امتياز العاقلة البشرية بالفطنة إلا برهان عالِم الغيب أن الإنسان حصَّل المعرفة والفطنة عبر الدورة البشرية" ويقول أيضاً: "يتم تفتح هذه القدرات وتلك الملكات الكامنة عبر سيرورة "التقمُّص" (أو "العَوْد للتجسُّد")، بحيث تعاود النفس التجسد باستمرار، في أزمنة مختلفة وأمكنة متباينة وظروف متنوعة، كي تغتني بخبراتها، مارَّة بين كلِّ تجسد وآخر بفترة من الراحة الذهنية في العوالم ما فوق الجسمانية اللطيفة لكي "تهضم" هذه الخبرات وتتمثل خلاصتها".

منهم من يسمي هذه العقيدة ثيوصوفيا، وكلمة ثيوصوفيا مشتقة من الكلمتين اليونانيتين ثيوس *theos* التي تعني "إله" وصوفيا *sophia* التي تعني "حكمة"؛ فالكلمة بمجملها تعني "حكمة الآلهة" أو "الحكمة الإلهية". والثيوصوفيا عندهم هي الحكمة المتراكمة عبر العصور، بدون أن يختص بها عصر دون عصر أو أمة دون أخرى.

وقد تبادلت الأدوارَ أسماءٌ مختلفة تحمل في طياتها نفس هذه العقيدة، مثل: فرسان المعبد، أو فرسان الهيكل، والطبقة المستنيرة، والكلية الخفية، والفجر الذهبي، والماسونية، وغيرها.

وقد اطلع شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله تعالى على معتقد هؤلاء إذ يقول في وصفهم [(2/91-93) مجموع الفتاوى]: "فلما كان منتهى الفلاسفة الصابئية وأعلى علمهم: هو الوجود المطلق، وكان أصل التجهم وتعطيل صفات الرب إنما هو مأخوذ عن الصابئة، وكان هؤلاء الاتحادية في الأصل جهمية، وأنه بما فيهم من النصرانية المشاركة للصابئة صار بينهم وبين الصابئة نسب صار معبودهم وإلههم هو الوجود المطلق، وزعموا أن ذلك هو الله، مضاهاة لما عليه خلق من قدماء الفلاسفة من تعطيل الصانع وإثبات الوجود المطلق؛ حتى يصح قول فرعون: ﴿**وما ربُّ العالمين**﴾، وإن كان الفلاسفة المسلمون لا يوافقون على ذلك بل يقرون بالرب الذي صدر عنه العالم، لكنهم بتعظيمهم للوجود المطلق صاروا متفقين متقاربين،

ومن تأمل كلام النصير الطوسي الصابئ الفيلسوف، وكلام الصدر القونوي النصراني الاتحادي الفيلسوف، وكلام الإسماعيلية في البلاغ الأكبر والناموس الأعظم، الذي يقول فيه: أقرب الناس إلينا الفلاسفة ليس بيننا وبينهم خلاف إلا في واجب الوجود، فإنهم يقرون به، ونحن ننكره. عرف ما بين هؤلاء من المناسبة، وكذلك المراسلة التي بين الصدر والنصير، في إثبات النصير لواجب الوجود على طريقة الصابئة الفلاسفة، وجعل الصدر ذلك هو الوجود المطلق لا المعين، وأنه هو الله، علم حقيقة ما قلته، وعلم وجه اتفاقهم على الضلال والكفر، وأن النصير أقرب من حيث اعترافه بالرب الصانع المتميز عن الخلق، لكنه أكفر من جهة بعده عن النبوة والشرائع والعبادات، وأن الصدر أقرب من جهة تعظيمه للعبادات والنبوات والتأله على طريقة النصارى، لكنه أكفر من حيث أن معبوده لا حقيقة له، وإنما يعبد الوجود المطلق الذي لا حقيقة له في الخارج، ولهذا كان الصدر أكفر قولاً وأقل كفراً في عمله، والنصير أكفر عملاً وأقل كفراً في قوله، وكلاهما كافر في قوله وعمله، ولهذا يظهر للعقلاء من عموم المسلمين من كلام الصدر أنه إفك وزور وغرور، مخالف لما جاء به الرسول، كما يظهر لهم من أفعال النصير أنه مروق وإعراض عما جاء به الرسول، ولهذا كان النصير أقرب إلى العلماء لأن في كلامه ما هو حق، كما أن الصدر أقرب إلى العباد لأن في فعاله ما هو عبادة".

وقد أطال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في الرد على أهل الحلول والاتحاد وأهل وحدة الوجود، وبيان مخازيهم، وفضح معتقدهم الخبيث، انظر المجلد الثاني بأكمله من مجموع الفتاوى.

ثم حمل لواء الإلحاد والهرطقة والدوران: **إسحاق نيوتن** *Isaac Newton* (1642-1727م) ولد بعد وفاة أبيه، ضئيل الجسم جداً، في مقاطعة لنكولن الإنجليزية، ثم تزوجت أمه وهو في سن الثالثة، فأدى إهماله وفقدان حنان أمه في سن مبكرة إلى نشوء حقد دفين على أمه وزوجها، حتى همَّ بحرقهما مع البيت الذي يسكنان فيه، وهكذا تبدأ حياة العباقرة، عباقرة الفن والإلحاد، بعثته أمه إلى مدرسة كنج في جرانثام، وهناك بدأت تظهر ميوله إلى علم الميكانيك (الحركة الآلية)، فصنع لنفسه لعباً متحركة، مثل الطاحونة الهوائية وغيرها، واهتم جداً بالكتب

العلمية وتحصيل العلم الذي يهواه إلا أنه كان في البداية مهملاً لدراسته، وفي أحد الأيام قام أحد زملائه بضربه عند دخول الفصل، فانتظره نيوتن عند الخروج من المدرسة، وكال له عدة لكمات مما جعل خصمه يقر بالهزيمة، ولم يكتف بذلك نيوتن بل إمعاناً في الانتقام قام بجذب أذن خصمه تحت تصفيق كل الفصل وأجبره على تقبيل الأرض عدة مرات، ومنذ ذلك الحين أصبح لديه شعور بحب التفوق، وكأنه يقول لنفسه: لماذا لا أكون متفوقاً في كل شيء [انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (274-275)]، وهكذا أيضاً تبدأ حياة عظمائهم بالإمعان في الانتقام من الآخرين، وانتهاز الفرص لإذلالهم، والحط من كرامتهم، وأما أنبياؤنا فقد ضربوا لنا المثل في العفو عند المقدرة، فعن أنس بن مالك، قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ، وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجَبَذه بردائه جَبْذةً شديدةً، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ، فضحك، ثم أمر له بعطاء [أخرجه البخاري (3149و5809و6088). ومسلم (1057)]، والأمثلة على حلمه ﷺ وعفوه كثيرة جداً ليس هذا موضع سردها، وإنما أردت بيان حال ذلك القلب الأسود المملوء حقداً وازراءً بالآخرين، ولهذا فلم يكن عنده أية غضاضة لما كبر من ممارسة السطو واللصوصية على أعمال الآخرين العلمية، مثل ما وقع له مع فلامستيد وغيره.

وما إن أبدى تفوقه على زملائه حتى طلبته أمه للقيام بإدارة مزرعة العائلة، حاول أن يثني عزمها لكنها أجبرته فعاش مناكداً لها لا يعير اهتماماً لما أنيط به من أمر المزرعة، لكنه في الأخير عاد لإكمال حياته العلمية، فأكمل دراسته في المدرسة، ثم التحق بكلية ترنتي في جامعة كامبردج، وفي الجامعة أكب على تعلم أفكار أفلاطون وأرسطو، ثم اهتم بأعمال كوبرنيك، وكبلر، وجاليليو، وتأثر بها جداً، حتى بدأ في نقد نظريات أرسطو، علم أن الطريق إلى الحقيقة [المزعومة] لا يكون إلا باطِّراح كل ما نزل من السماء خلف ظهره، واعتماد طريقة التجريب المعتمد على عدم الإيمان بأي شيء كان، تجرد تام، تجميع المعطيات، صوغ الفرضيات، إجراء التجارب، للوصول إلى الإلحاد التي آمن به ابتداء، بدأ يتتبع الظواهر

السماوية، مذنبات، حقيقة قرص الشمس، ...، اعتمد على نفسه في تحصيله للعلوم الضرورية مثل علم الرياضيات، والفلك، في عام (1664م) انضم إلى إحدى الأخويات التي كان لها عليه أثر كبير في تبلور أفكاره، ووضوح رؤيته، وتمييز هدفه، كان شديد التعلق بالمال، حتى كأنه يعبده من دون الله، حسبما يقول هو، ولذلك فإنه بمجرد أن آلت إليه أملاك أبيه، سارع إلى الإقراض بالربا رغبة في الربح السريع، دون الاكتراث بأحوال الفقراء المعدمين، حصل على درجة البكالوريوس من الكلية، ابتكر [زعماً] في سن مبكرة حساب التفاضل والتكامل والذي ساعد على القياس الدقيق للسقوط المتسارع للأجسام، ومن ثم فقد ساعد على حساب مسار الكوكب الدوار حول الشمس، وهكذا بدأ في السعي وراء ابتكار أساليب رياضية جديدة لعلها تعين على إعطاء براهين قوية لمسألة الدوران، ثم جاءت قصة سقوط التفاحة لتكمل المسيرة، ولكي توضع فكرة الجاذبية في موضعها المناسب من البرهان، حيث يقول بأن كل جسم متحرك لو ترك حراً دون أي مؤثر فإنه سوف يتحرك في خط مستقيم، فإنا إذا قذفنا كرة في خط مستقيم نجد أنها تبدأ في الانحراف للأسفل جهة الأرض نتيجة جذب الأرض لها، فيصبح الجسم واقعاً بين تأثير قوتين: قوة الطرد المركزية، والجاذبية، لذا فإن الكواكب تسير في مسارات دائرية حول الشمس نتيجة جذب الشمس لها، لكن السؤال هنا: ما هي القوة الدافعة ابتداءً وعلى الدوام وبلا انقطاع لهذا الكوكب، بحيث لا تتناقص سرعته مع الزمن بناء على مبدأ العطالة، أو القصور الذاتي. تأثر نيوتن كثيراً بأستاذه إسحاق بارو *Isaac Barrow*، أستاذ الرياضيات في الكلية، حيث استفاد منه كثيراً في الرياضيات والهندسة والبصريات، بل وفي الدين أيضاً، حيث تأثر بأفكاره التي حملها عن الفينيسيين، وكان بارو معجباً جداً بتلميذه النبيه. أجرى نيوتن تجربة على الضوء، بتمرير حزمة ضوئية خلال منشور ثلاثي، فاستطاع بذلك أن يبرهن على أن الضوء الأبيض يتألف من سبعة ألوان، حصل على درجة الماجستير بعد ذلك عام (1668)، وترقى في درجته العلمية، صنع مقراباً عاكساً قادراً على التكبير (40) مرة، والذي تم عرضه على الجمعية العلمية الملكية عام (1671)، لكنه قوبل باعتراضات كثيرة من قِبَل فلاسفة عصره فيما يتعلق بنظريته في الضوء، لا سيما روبرت هوك *Robert Hooke*

(1635-1703)، مما أثار رد فعل عكسي لدى نيوتن، أصابه بنوع من الإحباط، والانفلات العصبي، فلم يتمالك نفسه من انتقاد بعضهم والرد عليهم رداً لاذعاً، ووصفهم بالحمق والتسرع وعدم الفهم.

كان لنيوتن نظرة جديدة عن طبيعة الكون تعتمد على التسليم بوجود الأثير، وهو الوسط أو العامل الذي بواسطته تتولد كثير من القوى المؤثرة في المادة في أرجاء الكون، قال بأن الأثير الذي هو أقل كثافة وأكثر مرونة من الهواء، لا يمكن رؤيته أو الشعور به [إلا من قِبَل نيوتن وحده]، وهو موجود في كل مكان، إلا أنه أقل وجوداً في الأجرام الكثيفة كالشمس والنجوم والكواكب منه في الفضاء الواسع الذي يفصل بينها، وتخيل نيوتن الأرض وسائر الأجرام السماوية وكأنها إسفنجات عملاقة، تتشرب بثبات دفقاً من مادة غير مرئية تضغط باستمرار على سطوحها، فما إن يتغلغل الأثير في باطن كوكب أو نجم حتى يتحول بطريقة ما ويعود إلى الفضاء في دورة لا نهائية، ينجم عنها ظاهرة التجاذب المتبادل بين هذه الأجرام السماوية، كُتِب الكثير من المقالات من قِبَل نيوتن ومن قبل مخالفيه أخذاً ورداً حول ما أثاره من نظريات في ذلك الحين.

انتقل بعد ذلك نيوتن إلى عالم الكيمياء، فقد اشترى في خريف (1669) فُرنين وبعض التجهيزات الخاصة بإجراء التجارب، اهتم اهتماماً مبالغاً فيه حتى لم يكن ليأكل إلا القليل، بل كان ينسى أحياناً الطعام حتى يرفع دون أن يطعم منه شيئاً، ولم يكن ينام إلا القليل جداً، ثلاث ساعات تقريباً، فلماذا كل هذا الاهتمام البالغ؟ نادراً ما كانت تنطفئ النار ليلاً أو نهاراً، لمدة ستة أسابيع متوالية، أحد أقاربه الأباعد همفري نيوتن كان مساعداً له، لم يكن قادراً على اكتشاف الغاية التي يسعى إليها نيوتن.

قيل: كان يبحث عن حجر الفلاسفة أو الإكسير الأعظم، الذي إذا ما مزج بالمعادن العادية حولها إلى ذهب أو فضة، وإذا ما شُرب وفق قاعدة معينة فإنه يعِد بالخلود، وقيل: إنه انطلاقاً من نظريته في الكون، أراد أن يتوصل إلى علاقة بين هذا الكون الكبير، وبين العناصر الأساسية في تركيب المادة، وقول ثالث: يقول بأن نيوتن كان يؤمن بالثيوصوفيا "حكمة الآلهة"، وكان يرى

أن الحكمة ونفاذ البصيرة لا توجدان في كتاب الطبيعة فحسب، بل في الكتب المقدسة أيضاً، وكان له اهتمام خاص بسفر التكوين، وكتاب النبي أيوب عليه السلام، وسفر المزامير، وكتاب أشعيا [مع العلم بأن سفر التكوين: هو من التوراة التي لا سند لها، ولا يعرف من كتبها، وكتاب النبي أيوب عليه السلام: أنكر حقيقته كثير من النصارى، ومثبتوه لم يعينوا كاتبه، ولا عندهم سند متصل به، ومزامير داود: لا يُعلم على وجه التحديد مصنفها، ولا سند لها، وكتاب أشعيا: منه (27) باباً ليست من تصنيفه. انظر: إظهار الحق (1/112-150)].

ومن هنا كان نيوتن يرى نفسه هو الشخص المصطفى لإعادة اكتشاف الحكمة القديمة، وتوسيع نطاق المؤمنين بها، هكذا يقول عشاقه، وأنه كان يريد من وراء الكيمياء كشف أسرار عن سلوك المادة، وأثرها في كل شيء بدءاً من الذرات، وانتهاءً بالنجوم.

كانت كتابات نيوتن في الدين أكثر بكثير مما كتبه في أي فن، مثل الرياضيات، أو الكيمياء، أو الفيزياء، أو الفلك، كتب وهو في التاسعة عشرة في كامبردج مخاطباً إلهه، بسوء أدب، ونبرة إلحادية، وسخط على القدر، وبُغض دفين، فقال: "إنني لا أتقرب إليك بسبب عواطفي تجاهك، ولا أعيش وفقاً لمعتقدي، ولا أحبك لذاتك"، كان سيء الطوية والمعتقد فيما يتعلق بحقيقة الخالق، ومدى قدرته على تسيير الكون، فجعل نفسه حكماً على خالق الكون، يطعن فيه كيف شاء، ويتنقصه كيف شاء، منطلقاً في ذلك من خلال بحثه العلمي النزيه، تعالى الله عما يقول الظالمون المجرمون علواً كبيراً، كما أنه رسَمَ في كتاباته الدينية مخططاً لهيكل سليمان عليه السلام، مما يلقي بظلاله على تعلقه بأسرار السحر، وفي بداية السبعينات من القرن السابع عشر أصبح نيوتن منكراً لفكرة التثليث التي تقوم عليها الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

ذهب طائفة من المفكرين إلى أن اكتشاف نيوتن لقوانين الحركة الميكانيكية "المبادئ الأساسية" قد أرسى الإطار العام للإلحاد، بحيث يمكن للبشر في العصر الحديث تصورُ كونٍ ليس بحاجة لوجود رب خالق مدبر لهذا الكون.

في سنة (1684) سافر إدموند هالي *Edmond Halley* من لندن إلى جامعة كامبردج ليلقى إسحاق نيوتن، فيتباحث معه في بعض المسائل العلمية، وعلى رأسها هذا

السؤال المطروح من قِبل بعض فلاسفة العصر: "ما نوع المنحنى الذي ترسمه الكواكب؟ بافتراض أن قوة التجاذب باتجاه الشمس تبادلية، وتتناسب مع مربع المسافة بينهما؟"، نعم! هذا هو أحد أعمال كبلر، لكن المطلوب الآن هو إيجاد البرهان الرياضي على صحة قوانين كبلر.

كان هذا السؤال الموجه من بعض أفراد الجمعية العلمية الملكية – والتي سبق أن أشرنا إلى سبب إنشائها، ومن الذي أنشأها –كان هو الدافع الظاهري لنيوتن لكي يبدأ في تأليف كتابه الشهير: "المبادئ الرياضية للفلسفة الطبيعية"، والذي اشتهر بعدُ باسم: "المبادئ الأساسية"، والذي قام بنشره على نفقته هو هالي نفسه. يتألف كتابه هذا من ثلاثة كتب: الأول: يتناول مسائل الحركة دون احتكاك أو مقاومة، فالجسم يستمر في السكون أو الحركة في خط مستقيم بسرعة ثابتة، ما لم تؤثر عليه قوة خارجية. والثاني: يهتم بحركة السوائل وأثر الاحتكاك في حركة الأجسام الصلبة في السوائل. الثالث: وهو أهمها: وهو بعنوان: "نظام العالم".

وفقاً لقانونه الأول كان ينبغي على الكوكب أن يتحرك في خط مستقيم بسرعة ثابتة، تحت تأثير القوة الطاردة المركزية التي اخترعها نيوتن، لكن وتحت تأثير قانون نيوتن الثاني اضطر الكوكب لأن يحرف مساره في شكل قطع ناقص؛ تحت تأثير قوة الشمس الجاذبة للكوكب، أو قل من كليهما حسب دعواه، ثم جاء قانون نيوتن الثالث ليُحكم الفبركة؛ حيث قال: لكل فعل رد فعل مساوٍ له في المقدار ومضاد له في الاتجاه. والحق أن نيوتن اخترع هذا القانون من قِبَل نفسه؛ ليحكم به الأجرام السماوية، لذا كان لزاماً على من صدق قوانينه التي حكم بها الكون أن يراه نبياً موحىً إليه من قِبَل خالق السماوات والأرض، أو أنه شارك خالقها وباريها في صنعها، فكان يراه بعضهم في عصره نصف إله يتحرك على الأرض، قال الله تعالى: ﴿**تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ**﴾ [المائدة (80)]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً**﴾ [الكهف (51)]. فهو يقول بناءً على هذه القوانين التي أتى بها من عند نفسه ليبرهن بها على دوران الأرض حول الشمس: بأن الأرض تجذب الشمس بنفس القوة التي تجذب بها الشمس الأرض، فما الذي يضطرك

لهذا القول الذي لا سند لك به، لا من قبل المشاهدة بالعين، أو السمع بالبصر، أو الإدراك ببقية الحواس، ولا من قبل خبر السماء الذي ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت (42)]، إذ هو في الحقيقة أمر غيبي لا يدرك بالحواس، فمن ذا الذي أطلعك على كون الشمس تنبعث منها قوة جاذبة قاهرة تجاه كواكبها، ويتبع ذلك رد فعل من جميع ما حولها بنفس القوة وفي عكس الاتجاه، مع أنك لو طبقت هذا الهراء على وجه الأرض لثبت بطلان قانونك، ولخرج عنه أفراد كثيرة لا ينطبق عليها، ولا نطيل في الرد على قوانين نيوتن فإن لذلك فصل مستقل إن شاء الله تعالى. ولا أشك في أنه قد أنفق وقتاً طويلاً لكي يصل إلى هذا القانون الآخر، شأنه في ذلك شأن كبلر في قانونه الثالث، يقول نيوتن: "يؤثر أي جسم على جسم آخر بقوة جذب تتناسب طرداً مع حاصل ضرب كتلتيهما، وعكساً مع مربع المسافة بينهما".

وبناءً على قوانين نيوتن هذه، وامتداداً لها، فلم يعُد البشر بحاجة إلى اللجوء إلى الله ﷻ، والتضرع إليه، والخوف من عقابه، والتوبة من الذنوب والمعاصي، إذا دهمهم ما هو خارج عن قدرتهم وإدراكهم، مثل الزلازل والبراكين، والبرق والرعد، ونزول المطر الغزير، والفيضانات والأعاصير والكوارث الطبيعية، والكسوف والخسوف، فإذا قحطوا ومنعوا القطر من السماء فبدلاً من عزو ذلك إلى ذنوبهم ومعاصيهم، فيرجعوا ويتوبوا، فإنهم يعزون ذلك إلى الأسباب الطبيعية لعدم نزول المطر، من عدم وجود الحرارة الكافية لتبخر مياه البحار، ثم عدم توفر الظروف الجوية الملائمة لهطوله، ونحو ذلك، معرضين عن حقيقة تصرف الله تعالى في إنزال المطر وقتما شاء، أينما شاء، وعلى من شاء، قال الله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ**﴾ [النور (43)]، وقال تعالى حاكياً عن نبيه هود ﵇: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلاَ تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ**﴾ [هود (52)]، وقال تعالى حاكياً عن نوح﵇: ﴿**فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۝ يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم**

مِّدْرَاراً﴾ [نوح (10و11)]، فالاستغفار سبب في نزول المطر بعد القحط بإذن الله تعالى، وقد شهدت البشرية بذلك دهوراً، حتى جاء ملحدو عصرنا فاستخفوا بذلك، وفي صحيح مسلم (2984)، من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاةٍ من الأرض، فَسَمِعَ صَوْتاً في سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذلك السَّحَابُ؛ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ من تِلْكَ الشِّرَاجِ قد اسْتَوْعَبَتْ ذلك الْمَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فإذا رَجُلٌ قَائِمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فقال له: يا عَبْدَ اللهِ! ما اسْمُكَ؟ قال: فُلانٌ، لِلاسْمِ الذي سمع في السَّحَابَةِ، فقال له: يا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عن اسمي؟ فقال: إني سمعتُ صَوْتاً في السَّحَابِ الذي هذا مَاؤُهُ يقول: اسق حَدِيقَةَ فُلانٍ، لاسْمِكَ، فما تَصْنَعُ فيها؟ قال: أَمَّا إِذْ قُلْتَ هذا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُ إلى ما يَخْرُجُ منها، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنا وَعِيَالِي ثُلُثاً، وَأَرُدُّ فيها ثُلُثَهُ**»، فالصدقة على المساكين سبب في نزول المطر، واختصاص أرض دون أرض بإذن الله تعالى، خلافاً لما أراده هؤلاء الملاحدة من تفسير ظاهرة المطر، كذلك فإنهم يعزون ظاهرة البرق والرعد إلى التقاء الشحنات الموجبة والسالبة في السحاب، صارفين بذلك قلوب العباد عن ربهم، فإذا أيقن الإنسان بذلك، وانصرف تصوره إليه وحده، فما الذي يدعوه إلى الخوف من رؤية البرق الخاطف، وسماع صوت الرعد المرعب، فيتذكر غضب الجبار المنتقم من المجرمين، وتتطلع نفسه لما عند الله من خير نازل بسبب المطر الذي هذا مقدمته، قال الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**﴾ [الرعد (12و13)]، فهم ما أتوا بتفسير هذه الظواهر من أجل إسعاد البشرية - زعموا - ولكن من أجل صرف قلوب العباد عن التعلق بخالقها ﷻ، خوفاً من غضبه وعقابه أن يصيبهم بهذه الصواعق فتحرقهم، أو يحول هذه الأمطار إلى فيضانات مدمرة فتهلكهم، ويقال مثل هذا أيضاً في هبوب الريح، وما ثبت عن النبي في ذلك، ففي الصحيحين [البخاري (3206و4829). ومسلم (899)] من حديث عائشة، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ، قال: «**اللهم**

إني أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا، وَخَيْرَ ما فيها، وَخَيْرَ ما أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ من شَرِّهَا، وَشَرِّ ما فيها، وَشَرِّ ما أُرْسِلَتْ بِهِ» قالت: وإذا تَخَيَّلَتِ السَّمَاءُ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فإذا مَطَرَتْ سُرِّيَ عنه، فَعَرَفْتُ ذلك في وَجْهِهِ، قالت عَائِشَةُ: فَسَأَلْتُهُ؟ فقال: «**لَعَلَّهُ يا عَائِشَةُ كما قال قَوْمُ عَادٍ: ﴿فلما رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قالوا هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾**». وفي رواية: أنها قالت: ما رأيت رَسُولَ اللهِ ﷺ مُسْتَجْمِعاً ضَاحِكاً حتى أَرَى منه لَهَوَاتِهِ، إنما كان يَتَبَسَّمُ، قالت: وكان إذا رَأَى غَيْماً أو رِيحاً عُرِفَ ذلك في وَجْهِهِ، فقالت: يا رَسُولَ اللهِ! أَرَى الناس إذا رَأَوْا الْغَيْمَ فَرِحُوا رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ فيه الْمَطَرُ، وَأَرَاكَ إذا رَأَيْتَهُ عَرَفْتُ في وَجْهِكَ الْكَرَاهِيَةَ؟ قالت: فقال: «**يا عَائِشَةُ ما يُؤَمِّنُنِي أَنْ يَكُونَ فيه عَذَابٌ، قد عُذِّبَ قَوْمٌ بِالرِّيحِ، وقد رَأَى قَوْمٌ الْعَذَابَ فَقَالُوا: ﴿هذا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا﴾**». وكذلك فعله ﷺ عند رؤية الكسوف، خلافاً لما نسمعه من تصرف جهلة عصرنا من خروجهم لرؤية الكسوف، وكأنهم في نزهة، يتداعون لذلك بفرح وسرور، بسبب ركونهم إلى ما تعلموه على أيدي هؤلاء، وأما النبي ﷺ فإنه لما كسفت الشمس في حياته ﷺ فزع لذلك فزعاً شديداً حتى أخطأ فأخذ درعاً حتى أدركوه بردائه ﷺ، فصلى لأجل ذلك صلاة الكسوف، والتي تختلف في هيئتها عن صلاة الفريضة، فقام قياماً طويلاً جداً، حتى جعلوا يخرون، ثم ركع ركوعاً طويلاً، ثم رفع رأسه فأطال القيام، ثم ركع فأطال الركوع، ثم سجد، ثم فعل في الركعة الثانية ما فعل في الأولى، ثم خطب الناس، فذكر الجنة والنار، وفتنة القبر، وحذر من المعاصي الموجبة لعذاب الجبار، وأمر من رأى ذلك أن يفزع إلى الصلاة والصدقة والاستغفار والدعاء، وكان مما قال مبيناً حقيقة هذا الحدث، والحكمة منه، وتصرف العبد حياله: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لا يَكْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، ولا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا من آيَاتِ اللهِ؛ يُخَوِّفُ الله بِهِمَا عِبَادَهُ، فإذا رَأَيْتُمْ كُسُوفاً فَاذْكُرُوا اللهَ حتى يَنْجَلِيَا**»، وفي حديث آخر: «**فَصَلُّوا حتى تَنْجَلِيَ**»، وفي ثالث: «**وَلَكِنَّ اللهَ يُرْسِلُهَا يُخَوِّفُ بها عِبَادَهُ؛ فإذا رَأَيْتُمْ منها شيئاً فَافْزَعُوا إلى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**» [انظر: صحيح البخاري (29) وأطرافه، و(86) وأطرافه، و(1041) وأطرافه، و(1042) وأطرافه، و(1043) وأطرافه، و(1044)

وأطرافه، و(1049) وأطرافه، و(1059). وصحيح مسلم (901-915)]. وعلى هذا فقس غير ذلك، مثل الزلازل، والبراكين، والأعاصير، وعامة الكوارث المهلكة، فبعد انتشار هذا الذي يسمونه علماً، لم يعد الناس يعتبرون بهذه الكوارث، فيرجعوا ويتوبوا، قال تعالى: ﴿**فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام (43)]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ [المؤمنون (76)]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**﴾ [الإسراء (59)].

استعمل نيوتن الرياضيات في تفسير كثير من الظواهر، لا سيما ظاهرة المد والجزر، واستنتج بالرياضيات كثيراً من النظريات الفلكية، ولذلك فإن نيوتن يكون بذلك قد حقق أحلام أسلافه بدءاً من فيثاغورس، حيث وجدوا ضالتهم المنشودة في علم الرياضيات، الذي يحول المستحيل إلى واقع لا يستطيع أحد أن يكذبه، كما يقول خلفه آينشتاين: ليس ثمة مستحيل، لكن فقط نحتاج إلى عبقري، لإيجاد البرهان الرياضي على صحة الكذب والدجل، وكما قال أحد طلاب جامعة كامبردج معلقاً على نيوتن وهو يسير في الشارع بعد طبع كتاب المبادئ: "هذا هو الرجل الذي يؤلف كتاباً لا يفهمه هو ولا أحد غيره"، وبعد طبع الكتاب في يوليو (1687) اشتهر نيوتن شهرة واسعة، وفي يناير (1689) اختارته الجامعة ليمثلها في البرلمان الإنجليزي، بدأ بعدها نيوتن يتطلع إلى عالم الشهرة، وعالم السياسة، بدأ محبوه والمبهورون به يزدادون يوماً بعد يوم، حتى غلا فيه بعضهم جداً، فرآه في صورة الآلهة المتجسدة – هكذا رأى الملحدون، بعضهم من بعض- .

عاد نيوتن في ربيع (1693) لمزاولة أبحاثه الكيميائية، وبعد عمل مضنٍ لعدة أشهر، توالت الإخفاقات، فهجر العمل نهائياً، وهنا سؤال محير: لماذا نجح نيوتن في الحصول على نتائج إيجابية عن الأسئلة التي أجاب عنها رياضياً؟ وبصرياً؟، وأما إجابة السؤال الذي بحث عنه كيميائياً ولما يقرب من ثلاثين عاماً، فلماذا باء فيه بالفشل الذريع؟ ولم يقم بنشر أعماله فيها، ولم يبح بشيء مما توصل إليه.

بدأ نيوتن يوجه عبارات اللوم والتأنيب لكل من لا يقدم له يد المساعدة للحصول على منصب مناسب في الدولة، لا سيما هؤلاء الذين تعرف عليهم من خلال وجوده في البرلمان، مثل: جون لوك الفيلسوف السياسي، ولكن دون جدوى حتى أصيب بحالة اكتئاب، ومر بحالة مرضية سوداوية، قيل إنها كانت بسبب تعرضه المستمر للرصاص والزئبق حتى أصيب بنوع من التسمم، وقيل غير ذلك. في سبتمبر (1695) اختفى نيوتن فجأة لمدة أسبوعين، ولم يخبر أحداً أين كان. وفي مارس (1696) انتقل إلى لندن لتسلم وظيفته الجديدة كقيم لدار سك العملة، وهكذا ينتهي العمل المضني في البحث العلمي والذي دام لمدة خمسة وثلاثين عاماً، وداعاً لحياة الجد والتقشف، وإقبالاً على حياة الترف والسيطرة، ليظهر عبقريته أيضاً في المجال الإداري، وفي ديسمبر (1699) أصبح نيوتن رئيساً لدار السك، وفي سنة (1703) انتخب رئيساً للجمعية العلمية الملكية، إضافة إلى وظيفته السابقة، مما أدى إلى النهوض بهذه الجمعية، وتحسين أحوالها المالية، والارتقاء بسمعتها العلمية، وأضفى عليها نوعاً من الاحترام والرهبة، وفي أبريل (1705) منحت الملكة آن إسحاق نيوتن لقب فارس، قام نيوتن بعد رئاسة الجمعية بطبع كتابه في البصريات، وكان بحاجة إلى إعادة طبع كتابه "المبادئ الأساسية"، لكن كان بحاجة إلى معطيات تتعلق بحركات القمر والكواكب، هذه الملاحظات كان جون فلامستيد قد جمعها من المرصد الملكي الذي كان قائماً عليه، أبى فلامستيد أن يمكِّن نيوتن من هذه الملاحظات، فاحتال نيوتن لسرقة أعماله بحيل دنيئة، كان فلامستيد يتهم نيوتن وهالي بالإلحاد، وقد كانا يعاملانه معاملة سيئة، ولم يتمكن فلامستيد من طباعة عمله الكامل "قصة السماوات" إلا بعد وفاة نيوتن القرصان الحاقد [انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (329-335)]، ثمة شخص آخر كان له قصة مع نيوتن بشأن الابتكارات، ذاك هو جوتفريد وليام فون لايبنز *Gottfried Leibniz*، فقد تنازعا ولوقت طويل من الأحق بابتكار حساب التفاضل والتكامل، كان لايبنز رياضياً لامعاً منافساً لنيوتن، وكان نيوتن يتهمه بسرقة أعماله في حساب التفاضل والتكامل، لكن طريقة لايبنز المبتكرة تثبت خلاف ذلك، كان لايبنز منصفاً بخلاف نيوتن، قال لايبنز: "إن نيوتن ابتكر حساب التفاضل والتكامل، لكنني

تمكنت من ذلك بطريقة أخرى، فأحد الأشخاص يدلي بدلوه، ثم يأتي آخر فيدلي بدلو آخر"، ومع ذلك فقد كان نيوتن يحاول دائماً نسف خصمه تماماً، احتكم لايبنز بعد صراع طويل مع نيوتن إلى الجمعية الملكية سنة (1712) للفصل في هذا النزاع، ونسي أنه إنما يحتكم إلى خصمه اللدود غير النزيه، فقد قام نيوتن بتعيين لجنة خاصة لتسوية الخلاف تم اختيارها بعناية من قِبَله، وبذل جهداً كبيراً لإظهار اللجنة بمظهر النزاهة، ثم قام هو بكتابة التقرير النهائي لهذه اللجنة، وبتلفيق الأدلة ضد خصمه [انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (341-343)]، وهكذا العباقرة! عباقرة الحقد والشرك والإلحاد، لا سيما إذا عرفنا أن لايبنز كان كاهناً نصرانياً، فلا بد حينئذ من نسفه من الوجود، ويصف نيوتن نفسه هذا الموقف فيقول معلقاً بسرور إنه: "حطم قلب لايبنز بالجواب الذي أرسله إليه". بعد ذلك بعشر سنوات بدأ المرض يدب إلى نيوتن ليلفظ أنفاسه الأخيرة في 20 مارس سنة (1727) عن عمر يناهز (84) عاماً.

[إسحاق نيوتن والثورة العلمية: تأليف جيل كريستيانسن]

Gottfried Leibniz, from "Letter Written to Caroline, Princess of Wales", November, 1715, and later included as the first letter in the *Leibniz-Clarke Correspondence*, Manchester University Press, 1956.

بعد هذه الجولة السريعة في ترجمة إسحاق نيوتن من قِبَل محبيه والمبهورين به، تعالوا نلقي نظرة على حقيقة هذا الرجل، فهذا هو الاقتصادي البريطاني اللورد جون ماينارد كينز *John Maynard Keynes* الذي فتح الصندوق الأسود لنيوتن بعد موته بزمن طويل، يقول: "هل كان نيوتن أول وأعظم علماء العصر الحديث، ...، كلا، لم يكن أول عباقرة الزمان، بل كان آخر السحرة، آخر البابليين والسومريين، وآخر طفل رائع يعمل للسحر بولاء وإخلاص", قال ذلك بناءً على محتوى الصندوق، محبو نيوتن لما اطلعوا على محتويات الصندوق أحجموا عن نشره، لأنه يسيء إلى سمعة محبوبهم، لذا فضلوا انتقاء ما يصلح للنشر، مع تلفيق بعض الأكاذيب وتزييف بعض الحقائق لإكمال النقص، في الحقيقة كانت شخصية نيوتن غير

مستقرة، كان شديد النزعة إلى الشك والارتياب، أصيب في (1692) بانهيار عصبي شديد، لم يعد بعده إلى حالته الأولى الطبيعية، بيبز ولوك اعتقدا بأنه أصبح مشوشاً، أو أصيب بنوع من الخبل، نيوتن كان شديد البعد عن النساء، وفي المقابل كان شديد التعلق ببعض الشباب الصغار من المعجبين به. نيوتن كان ينكر عقيدة التثليث، وكان أقرب لعقيدة فرقة القبالة من اليهود. ما هو نوع الكيمياء الذي كان نيوتن يزاوله؟: لقد وُجد في مصادره كتب في الكيمياء لإلياس أشمول *Elias Ashmole*، أحد كهنة أخوية الصليب الوردي، وأحد كيماويي القرون الوسطى الذين يبحثون في تحويل المعادن إلى ذهب أو فضة عن طريق السحر والاستعانة بالجن، وفي سبيل العثور على حجر الفلاسفة السحري، كما تربط هذه الكيمياء بين ما يعتقدونه من التأثيرات التنجيمية للكواكب وبين سلوك المواد الكيمياوية، لقد اشتملت مخطوطاته في الكيمياء على وصفات سحرية تربط بين بعض المواد الكيميائية والكواكب والشمس والقمر، والأنثى والذكر، والإخصاب والأسود الخضراء، وأوزوريس، كان نيوتن يكتب هذه الشعوذة والسحر والتنجيم بالترافق مع تأليفه لكتاب المبادئ الأساسية وقوانينه التي تحكم الكون، فأي بحث علمي قاده إلى معرفة حقائق الكون، بقدر ما قادته شياطين الجن إلى هذا التأليف السحري المسمى: "المبادئ الأساسية".

أما بالنسبة لاكتشافات نيوتن فهي في الحقيقة لم تأت بجديد، فقانون الجاذبية ملفق من قانون كبلر الثالث، ومن معادلة هايجنز في القوة الطاردة المركزية، بل إن نيوتن نفسه أشار إلى هذا في مذكراته من الصندوق الأسود، ومن جهة أخرى فإن روبرت هوك والسير كريستوفر رين كانا قد سبقا نيوتن إلى الشيء نفسه، فقام نيوتن بسرقة الفكرة، إلا أنه استطاع أن يضفي عليها سربالاً رياضياً، لم يتمكن منه هوك، ولم يعترف نيوتن بفضل هوك في ذلك، إلا بمجرد إشارة بسيطة، في مقدمة كتاب المبادئ، ومع كون هوك كان ذا مقدرة علمية باهرة إلا أنه لم يحظ بالاهتمام الذي حظي به نيوتن!!! [انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (305-309)]، **وممن عارض فكرته عن الجاذبية**: كريستيان هيجنز *Christian Huygens* (1629-1695)، والذي لم يكن يختلف كثيراً عن جيوردانو برونو في معتقداته، إلا أنه

استقبل كتاب نيوتن باستخفاف، فقد قال في مراسلاته للايبنز -والتي نشرت لأول مرة سنة (1834)-: "أتمنى أن أطلع على كتاب نيوتن، ولكن أتمنى أن لا يقدم لنا فرضيات مثل الجاذبية"، وبعد أن قرأ الكتاب قال: " فيما يخص سبب المد والجزر كما فسره نيوتن فإنني غير مقتنع به أبداً، ولا بكل النظريات الأخرى التي أسسها على مبدأ الجاذبية، والذي يظهر لي أنه مستحيل، ...، وكنت دائماً مستغرباً كيف يتعب نفسه! ويقوم بكل هذه الحسابات الصعبة! والتي لا أساس لها إلا هذا المبدأ الواهي!"، يقول هيجنز هذا مع كونه كان عالماً بارعاً في الرياضيات والفلك والبصريات، وكان يتفق مع هوك في كثير من رؤاه العلمية، **وعارض فكرة الجاذبية أيضاً**: لايبنز، واعتبرها نوعاً من الشعوذة، حتى قال: "والتي أجهل على أي مبدأ اعتمد". ومع قوة رفض هيجنز ولايبنز لهذه النظرية -مع تفوقهما العلمي على نيوتن- لم يستطع أن يرد عليهما إلا بروح الغطرسة والاستعلاء، فيقول: "إن العبقريين يحكمان بأن خلاصة كتاب المبادئ لا يمكن تصديقها، إنهما يغمضان أعينهما حتى لا يريا الأدلة، إن قوة الجاذبية لا يمكن إنكارها" [انظر: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (311-313)]، وأما قصة حساب التفاضل والتكامل: فإن نيوتن لم يعرف حساب التفاضل والتكامل، وإنما الذي كتب فيه نيوتن هو ما يسمى بالجريان والسلسلة اللانهائية، وما إن مات نيوتن بنحو تسع سنوات حتى أصبح في طي النسيان، وأما حساب التفاضل والتكامل الذي ابتكره لايبنز فقد كان معمولاً به في أوروبا منذ عام (1710)، وأما هذا الكلام المسطور في ترجمته فقد كان نتيجة حملة نيوتن المسعورة من خلال جمعيته الملكية في انتحال أعمال الآخرين، ونسبتها إلى نفسه زوراً وبهتاناً، وتجريد أصحاب الحقوق من حقوقهم، بحيل دنيئة وطرق بذيئة وقحة، ولهذا فإن سمعة نيوتن في أوروبا في ذلك الوقت لم تكن بهذا القدر الذي نسمع به الآن، وإنما هي سمعة مختلقة مبالغ فيها عن عمد، فقد كان كثيرون يكنون له الكراهية بسبب أعماله الدنيئة، وأقصى ما يقال فيه إن سمعته بين علماء أوروبا كانت بسيطة في ذلك الوقت، وأما مسألة تأليه نيوتن فقد كانت من عمل الملحد الفينيسي الماسوني، أحد كهنة الصليب الوردي: أنطونيو كونتي *Antonio Conti* والذي ولد في بادوا سنة (1677)، هو الذي صنع أسطورة نيوتن في

فرنسا حيث كان يعمل على إيجاد طبقة فرنسية موالية للحزب الفينيسي في إنجلترا، بدأ بلفت الانتباه عن طريق وساطته بين نيوتن ولايبنز في الحرب التي كانت دائرة بينهما، ومن خلال هذه الوساطة الشيطانية استطاع أن يتقرب جداً من نيوتن وهالي، حتى تحولت إلى صداقة حميمة، وبتأثيرها أدخله نيوتن في الجمعية الملكية سنة (1715) كعضو فيها، كونتي أدرك أن نيوتن كان غريب الأطوار، مصاباً بجنون العظمة، لذا فقد عمل على إذكاء نار الفتنة بين نيوتن ولايبنز، كان قد تقرب سابقاً إلى لايبنز، واستلم منه لاحقاً رسالة يبين فيها الأخير وجهة نظره تجاه أفكار نيوتن في الجاذبية وحساب التفاضل، وغيرهما، سارع كونتي لإطلاع نيوتن عليها لكي يستشيط غضباً، ويبدأ في تحطيم لايبنز من خلال سلطته في الجمعية الملكية، كما سبق ذكره قريباً. عاد بعد ذلك كونتي إلى فرنسا للعمل على إيجاد شعبية علمية لنيوتن ضد لايبنز، ونجح في ذلك من خلال الصالونات العلمية، واستطاع أن يجذب انتباه الفرنسيين تجاه نيوتن ليحوز إعجابهم، بدلاً من لايبنز. استطاع كونتي أن يصنع شخصية فولتير *Voltaire* كأحد المعجبين والمبهورين بأسطورة نيوتن، قام فولتير في كتاباته الفلسفية بإطراء نيوتن جداً، وترجم له ترجمة فيها غلو، حيث نسب إليه ما لا يستحقه، وأيد أفكار نيوتن مما ساعد بعد ذلك على تعظيم نيوتن لدى الكثيرين، مع محاولة الحط من شخصية لايبنز. كذلك قام كونتي بالتأثير على جياماريا أورتس *Giammaria Ortes* (1713-1790) أحد شياطين فينيسيا، والدارس في جامعة بيزا، والذي تلقى أفكار نيوتن على يد كونتي، وهو مؤلف دليل الفيزياء النيوتونية، والذي قام باستعمال الأساليب النيوتونية الرياضية، ونقلها للإفادة منها في شتى العلوم الإنسانية، بما في ذلك علوم التاريخ والاقتصاد والسكان، وهو القائل بفكرة أن الأرض لا تستوعب أكثر من ثلاثة مليارات من البشر لكي يستطيعوا أن يستمتعوا بما عليها من خيرات. لم يكتف بذلك كونتي بل شجع الكثيرين في شتى المجالات لمدح نيوتن وإظهار عبقريته المفرطة، ليس في فرنسا فحسب، بل وفي إيطاليا أيضاً. وكان هذا كله - وغيره الكثير - من العمل الشيطاني في عدة اتجاهات من قِبَل كونتي في الإعداد للثورة الفرنسية في فرنسا، والتي لم يدركها كونتي، لكن بأتباعه وعملائه من بعده.

هناك فترة مهمة من حياة نيوتن لم نعطها حقها من التوضيح والبيان، حيث قلت: إنه أصيب بحالة اكتئاب، ومر بحالة مرضية سوداوية، الحقيقة أن نيوتن بعدما عاد من التمثيل النيابي في البرلمان في لندن، ورجع إلى كامبريدج؛ قال جوزيف برتراند في كتابه "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (324-328): "أظهر نيوتن في مراسلاته حالة من الكآبة والخوف المرضي، والذي تنامى شيئاً فشيئاً إلى حد التوقف عن أي نشاط، أصدقاؤه الذين تعرف عليهم خلال تواجده في البرلمان، وكانوا من ذوي النفوذ أعطوه الأمل في تغيير وضعه. كان دائماً خجولاً ومنطوياً، يحاول تجنب الظهور، لكن يحزنه التأخر عن إحراز أي تقدم في أبحاثه العلمية، وكان يقول دائماً بأنه يحبذ أن يتخلى عن كل شيء، الحريق الذي أتى على مخبره أفقده سلواه الوحيدة، ودمر وثائق ثمينة جداً، من بينها جزء من مؤلفه في علم البصريات، هذه الهزة الأخيرة سحقت قوى نيوتن الخائرة، فدخل حالة من الحزن الشديد، إضافة إلى جلوسه في البيت، مما أفقده القدرة على النوم، ...، خسف بذكائه لفترة ما وضعُف إلى الأبد، لقد فقد القدرة على فهم البراهين العويصة، معاصرو نيوتن ألقوا بوشاح على هذه الفترة الحزينة من الإفلاس والانهيار، وبعض محبيه يقومون بمجهودات جبارة للاعتراض على الشهادات البينة التي بقيت لنا حول إصابة نيوتن بلوثة، فمكتبة ليد *layd* تحتوي على مخطوط بخط هيجنز والذي نشر لأول مرة سنة 1821 عن طريق بيوت *M.Biot* في السيرة الذاتية الممتازة لنيوتن، بعدها لا يمكن أن نشك في الأمر، وهذا مقتطف من المخطوط: "في (1694/05/29) *M.colin ecossaise* حكى لي بأن المهندس المشهور إسحاق نيوتن سقط منذ (18) شهراً في حالة جنون [خبل يترتب عنه عدم المسؤولية عن الأفعال]، وذلك بسبب كثرة العمل، أو بسبب الألم الذي ترتب عن الحريق الذي التهم مخبره وجملةً من مخطوطاته. *M.colin* أضاف: أنه بعد هذه الحادثة التقى نيوتن مدير جامعة كامبريدج وتبادلا حديثاً يثبت خلله العقلي. قام أصدقاؤه بتولي أمره وتحملوا علاجه، قاموا بحبسه في مسكنه، وقاموا برعايته حتى تمكن من استرجاع عافيته، حيث بدأ يستعيد القدرة على فهم كتاب المبادئ" إذا كانت هذه الشهادة غير كافية، فيكفي أن تقرأ بعض الرسائل التي كتبها نيوتن في تلك الفترة الحزينة، ففي

(13) سبتمبر سنة (1693) كتب إلى لوك قائلاً: "سيدي إنني أرى أنك حاولت تشويش ذهني بالنساء، ولقد اغتظت لهذا الفعل، حتى لما قالوا لي بأنك مريض، أجبتهم: إنه من الأفضل أن تموت، أرجو أن تسامحني على فقداني الرحمة. وإنني تفطنت إلى أن ما قمت به صحيح، وأرجو أن تسامحني على سوء ظني بك، وكوني اتهمتك بأنك هاجمت قواعد الأخلاق في كتابك "الأفكار" فلقد اعتبرتك من أتباع هوبز. كما أطلب أن تسامحني بأنني قلت أو خمنت بأنه كان لديك مخططاً لتوريطي، أو أن تضعني في طريق مسدود" انتهى النقل من كتاب برتراند، وأقول: إن الناظر إلى طبيعة شخصية لوك الشريرة الخبيثة، وعلاقته بفينيسيا، والصليب الوردي، والماسونية، ومحاولته تدمير اقتصاد إنجلترا، وإغراقها في بحر من الديون، يستطيع أن يفهم شيئاً من الخطاب الذي أرسله نيوتن إلى لوك، يلقي فيه باللائمة عليه، حيث وجه إليه عدة تهم، منها: محاولة توريطه بالنساء، وهذا شأن المفسدين في الأرض، إذا أرادوا تحطيم شخصية شخص ما ليصير خادماً لهم، فيقوموا بتوريطه حتى يتسنى لهم ابتزازه بعد ذلك، ومنها: أنه يرى لوك ممن يهاجم الأخلاق الفاضلة، والمثل العالية، وهذا شأن الماسون، وأصحاب عقيدة الصليب الوردي، ونستطيع أن نستشف من شدة غيظ نيوتن من لوك، لدرجة أنه تمنى له الموت، وحتى أصيب نيوتن بلوثة عقلية أفقدته توازنه، لا شك أنه شيء مخيف حقاً استطاع أتباع الصليب الوردي إخفاءه إلى اليوم، فما هو يا تُرى ذلك الشيء الذي رآه نيوتن، أو تلك التجربة التي مرَّ بها فصار بها مخبولاً، بعد أن كان من أذكياء العالم، كما يدعون، وصار دائماً خجولاً ومنطوياً، يحاول تجنب الظهور، لا شك أنه أمر متعلق بالنساء، لكن ما حقيقته؟ يعرفها يقيناً أتباع الصليب الوردي!!!. ومن الجدير بالذكر أن إنجازات نيوتن العلمية توقفت منذ ذلك الحين، ويمكن أيضاً إيجاد رابط بين توقف إنجازاته العلمية ووفاة روبرت هوك (1703)، والذي كان يعتمد على أفكاره وأطروحاته العلمية. نيوتن بعد إصابته بهذه اللوثة العقلية لم يعد إلى سابق عهده!!!.

ولنقف هنا وقفة لننظر إلى حقيقة ما يسمى بالبحث العلمي:

فهل البحث العلمي هو كما قالوا، باعتماد طريقة التجريب المعتمد على التجرد التام، واطراح كل ما يمكن أن يؤثر سلباً على توجيه مجريات البحث لصالح معتقد معين، أو طائفة معينة، وذلك من خلال تجميع المعطيات، ثم صوغ الفرضيات، ثم إجراء التجارب، للوصول إلى الحقيقة المحضة؟.

كلا لم يكن للإنسان إلا أن يكون إنساناً، فهو أسير معتقداته التي نشأ عليها، وبيئته التي تربى فيها، فهو مخلوق محاط بأرض تقله، وسماء تظله، وليل ونهار يتعاقبان عليه، وظواهر سماوية وأرضية تلفت انتباهه على الدوام إلى إبداع الخالق العظيم، فكيف لحواس هذا المخلوق الضعيف، الضئيل الحجم، القليل العلم، الذي يغلب عليه الجهل والظلم: أن يحيط علماً بحقيقة جميع هذه المخلوقات -عظُمت أو صغرت- التي لا يستطيع أن يدرك كنهها، وكيفية خلقها، وطريقة تسييرها وهدايتها لما يصلحها، وعلاقة الروح بالبدن فيها، وكيف تسري الروح في البدن فتدب فيه الحياة، وكيف تنزع منه فيصبح كالجماد بلا حراك، كيف وقد عجز عن إدراك كنه ما بين يديه من المخلوقات: أنى له أن يدرك حقيقة ما يجري في السماء الدنيا، وكيف له أن يستنبط الأسباب المخفية لجريان هذه الأجرام السماوية.

إن أمثال جاليليو ونيوتن ما اعتمدوا حقيقةً على بحث علمي نزيه، بقدر ما اعتمدوا على الخيال الضال المنحرف الذي يستقي توهماته من قِبَل شياطين الإنس والجن؛ لإثبات عقيدة الإلحاد، والكفر بخالق الأرض والسماوات، حتى لا يعبد أبداً، فهؤلاء لم يكتبوا في الرياضيات والهندسة والفلك، حتى قام في خيالهم تصورٌ واضحٌ لكونٍ بديل عن هذا الكون الذي نعيش نحن فيه، فإن الكون الذي نعيش فيه يقودنا حتماً إلى الإيمان بالله، فأرادوا أن يصنعوا في مخيلتنا كوناً آخر يمتنع معه -أو: يضعف- الاعتقاد بوجود إله منفصل عنه، مستقر فوق عرشه، بائن من خلقه، فوق سماواته وأرضه، وأنه خلق هذا الكون لأجل هذا الإنسان وابتلائه في هذه الحياة الدنيا الفانية، ثم الانتقال به بعدُ إلى دار الجزاء، ليحاسِب كلاً على ما قدم.

يقول جوزيف برتراند في كتابه: "مؤسسي علم الفلك الحديث" ص (114): "بالرغم من أن الخيال يتعارض مع الهندسة: فتاريخ الفلك يبرهن لنا على أن بينهما علاقة متينة، فالخيال يسبق الحقيقة فيكشفها من خلال الحدس، والإحساس بالجمال، والتناغم، والنظام، ثم الهندسة تتدخل ثانياً للبرهنة على الصحيح من الخطأ؛ فتفصلهما عن بعضهما"، ويقول أيضاً في إيضاح حقيقة البحث العلمي عند هؤلاء المتنورين [هكذا سماهم وهم في الحقيقة: الظلاميون] ص(114-116): "يجب في المرحلة الأولى من البحث: القيام بمحاولات، وقبول التخمينات المبنية على مقارنات بعيدة، وتأسيس أنظمة، حيث الأبحاث اللاحقة تقوم بدحضها، ووضع فرضيات يتم التراجع عنها بسرعة، ولكن نقوم بتعويضها بأخرى، وبدون أي إحباط أو ملل، **ونفس الشيء بالنسبة للمنظومة الفلكية فإنه من المستحيل إيجاد مجموعة متتالية من الاستنتاجات بحيث يمكن البرهنة على كل جزء حسب طريقة أصحاب الهندسة**؛ ولكن عندما يتمكن رجل عبقري بأي طريقة كانت من تخمين الأسس التي توائم بين الحقيقة البسيطة والمظاهر المعقدة والمتغيرة، فإن العقول السليمة تتقبلها بدون أن تبحث عن الطريق الذي أوصل إليها، وبدون انتظار براهين قوية ومنيرة، والتي تتراكم من قرن إلى آخر حتى يتم إخضاع الثائرين عن طريق تنوير الأكثر عمى".

فإن قيل لقد أتونا بقوانين مكنتنا من تعليل كثير من المشاهدات، فنقول: هذا كبلر لما كتب في البصريات أتى بأخطاء فادحة، ومع ذلك فقد أمكن تعليل بعض المشاهدات بها، وهذا ما يقوله برتراند في كتابه السابق ص (131).

فإذا فهمت هذه الحقيقة؛ عرفت بكل بساطة: لماذا حاربت الكنيسة هؤلاء، وأحرقت بعضهم، ذلك لأنها أدركت نواياهم الخبيثة في الإلحاد المطلق، والكفر المطبق، وهذا المنهج هو الذي جاء هيجل لكي يوضحه لنا، ويرسم للبشرية الطريق إليه، مضيفاً بعض الرتوش والتعديلات حيث يقول: "سأتكلم عن فكرة، وحسب علمي, لم تخطر على ذهن أحد، وهي: تلزمنا عقيدة جديدة، ولكن هذه العقيدة يجب أن تكون في خدمة الأفكار، يجب أن تصبح عقيدة العقل" ويقول أيضاً: " نسمع دائماً بأن العامة بحاجة لدين حساس (فيه مشاعر)، ولكن

ليست العامة فقط، بل الفلاسفة أيضاً هم بحاجة لهذا الدين: التوحيد للعقل والقلب، وتعدد الآلهة للخيال والفن، إذاً هذا ما يلزمنا" فهو يقرر هنا أنه لا سبيل لإطلاق روح الإبداع والفن والخيال إلا باعتناق الوثنية، وتعدد الآلهة.

وحتى تدرك مدى روح العداوة التي تأصلت في قلوب هؤلاء تجاه كل ما نزل من السماء، وكيف أنهم استغلوا العلم والبحث العلمي مطية لأغراضهم الخبيثة؛ لهدم الدين ونشر الوثنية؛ تمعن في كلام س. بريوشينكين في كتابه "أسرار الفيزياء الفلكية والميثولوجيا القديمة" ص (456): "وجاءت ولادة الكوسمولوجيا في أعمال كانط ولابلاس وسواهما من العلماء الآخرين لتوجه ضربة قاصمة إلى العقائد التوراتية، لم تتلق أقسى منها إلا على يدي كوبرنيكوس في نظريته مركزية الشمس، أما الضربة الثانية التي تلقتها العقائد التوراتية فقد جاءتها على يدي داروين في كتابه "نشوء الأنواع بالاصطفاء الطبيعي" الذي نشره في عام (1859م)؛ فقد أقصى هذا البحث الخرافة التوراتية عن خلق الإله للإنسان، ثم تلقت العقائد والتصورات الدينية الضربة الثالثة بانتصار التصورات الذرية-الجزيئية إثر التقدم الذي حققته نظرية الجزيئات المولدة للحركة، وما تلا ذلك من اكتشافات في تركيب الذرة، فقد أعلن هذا كله انتصار الاتجاه المادي الذي وضع ليكيبوس وديموقريط أسسه لدراسة الطبيعة ومعرفتها".

ومن الجدير بالذكر أن أحد ألد أعداء نيوتن كان له اهتمام بالغ بنصرة فكرة كوبرنيك، ألا وهو روبرت هوك *Robert Hooke* (1635-1703)، والذي كان رئيس الجمعية الملكية قبل نيوتن، وكان شخصاً مريضاً متقلب الأطوار، كعادتهم لم يتزوج قط، وكانت له علاقات محرمة بعدد من الخادمات وأخيراً مع ابنة أخته، فكما قلنا مراراً: هكذا عظماؤهم، كان لهوك هذا إسهامات في عدة مجالات مثل: الفلك، والفيزياء، والرصد الجوي، والمجهريات، وصنع الساعات، وقياس الوقت، والجيولوجيا، حتى يقال بأن له قرابة ألف اختراع، لكن حقد نيوتن الشديد عليه أثر على طمس آثاره من بعده، حاول هوك تحقيق فكرة جاليليو بإجراء تجربة قياس اختلاف المنظر لنجم جاما دراكونيس والذي يمر من فوق رأس الرائي في لندن، حيث قام بتثبيت مقراب رأسي من خلال ثقب في سقف بيته بكلية كريشام في لندن، وأجرى

أول رصد للنجم في 6 يوليو سنة (1669)، ثم أجرى الرصد الرابع في 21 أكتوبر من نفس السنة، وادعى أنه رصد فرقاً بين الرصدين يساوي تقريباً 100/1 من الدرجة، مع أن المعاصرين يقولون بأن هذا الرقم مزيف بالتأكيد، إذ إنهم يدعون بأن اختلاف المنظر لهذا النجم أقل من 1000/1 من فارق هوك نفسه، فكيف إذا تبين لك بأن مقراب هوك المثبت هذا كان يفقد استقامته الرأسية على الدوام بسبب الريح، وعوامل أخرى، ثم يستنتج هوك من هذا الكذب والتزييف على علماء زمانه، ويخلص إلى القول في رسالته التي نشرها سنة (1674) بقوله: "هذه الأرصاد التي توضح أن ثمة اختلاف منظر كبيراً للنجم دراكونيس، وهذا يؤيد صحة نظام كوبرنيك، ويفند آراء بطليموس وتيكو"، وهكذا: اكذب، ثم اكذب، ثم اكذب، حتى يصدقك الناس.

كما أن الفلكي الملكي جون فلامستيد أجرى تجربة أخرى فاشلة من نفس النوع، لكن من خلال وضع مقراب في بئر عميقة، وباءت أيضاً بالفشل.

[انظر: اختلاف المنظر النجمي. آلان هيرشفيلد ص (195-213)].

🙵 لنستكمل بعد ذلك جزءاً من مسرح عمليات نيوتن، والذي أصبح فيما يبدو لي أحد المحركين لهذه الجمعية الوثنية، ولا يبعد أن يكون قد أصبح له فيها دور كبير، كالمعلم الأكبر مثلاً:

قام نيوتن باستقطاب أحد عملائه الجدد ليقوم بمهمة صعبة، سبق أن أشار إليها أستاذهم السابق، وكاهنهم الأعظم: جاليليو، وهي مسألة اختلاف المنظر النجمي، لاستخدامها في البرهنة على دوران الأرض حول الشمس من جهة، ومن جهة أخرى: في إثبات كون العالم لا حدود له ولا نهاية، ومن ثم تهيئة الأذهان لاستبعاد فكرة وجود الخالق، بل وعدم حاجة الكون إليه أصلاً، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

كان جيمس برادلي *James Bradley* شخصية كهنوتية بعيدة عن الأنظار، لا تشوبها شائبة أمام كثير من الناس، غير متهم في ديانته عندهم، تعلم علم الفلك من خاله الكاهن جيمس باوند *James Pound*، وهو قسيس في وانستيد قرب لندن، وبتوجيه من إسحاق

نيوتن وإدموند هالي قام كل من برادلي وخاله باوند بإجراء أرصاد مشتركة، قاما فيها بتحديد لمواقع النجوم والسدم، ورصدا حوادث كسوف أقمار المشتري، وقاسا قطر الزهرة، واختلاف منظر المريخ، وغير ذلك، من المهمات التي كلفا بها من قبل نيوتن وهالي.

في سنة (1721) أخبر برادلي أبرشيته في بردستو أنه سيغادرها، وبتوصية من محركه نيوتن عُيِّن برادلي أستاذاً لعلم الفلك في أكسفورد، مات خاله باوند سنة (1724)، وانضم إليه رفيق عمل جديد اسمه صاموئيل مولينو *Samuel Molyneux* والذي كان عضواً في البرلمان، وهو هاوٍ فلكي ثري، ومن ثم بدءا معاً رحلة قياس اختلاف المنظر النجمي لجاما دراكونيس، والذي سبق أن عمل عليه هوك، قاما بصنع مقراب سمتي بطول (24) قدماً، وثبتاه جيداً، وبدءا رحلة القياس المضنية، في ديسمبر (1725)، وفي مارس (1726) بلغ النجم أقصى انزياح له جنوباً بمقدار عشرين ثانية قوسية، ثم غير النجم اتجاه حركته جهة الشمال، وفي يونيو اجتاز موقعه السابق الذي كان يشغله في ديسمبر، وواصل انزياحه تجاه الشمال ليبلغ أقصى انحراف له في سبتمبر وقدره عشرون ثانية قوسية، ثم غير اتجاهه مرة أخرى متجهاً جنوباً ليشغل موقعه السابق قبل سنة في ديسمبر. لم يكتفيا بذلك بل واصلا أرصادهما لمدة سنة أخرى وجمعا أرصاداً لهذا النجم مقدارها ثمانون قياساً.

وبهذا يتبين أن هذا النجم قد انزاح بزاوية مقدارها أربعون ثانية قوسية، وهذا اختلاف منظر كبير جداً لم يكن متوقعاً حسب نظريتهم، بل يدعم القول بقرب هذه النجوم قرباً شديداً، وعدم صحة هذه المزاعم بوجود النجوم على مسافات هائلة، مما دعاهم لعدم نشر هذه النتائج، والتريث لمحاولة إيجاد حيلة لتفسيرها حسب معتقدهم الوثني.

قام برادلي بصنع مقراب آخر جديد، وأجرى قياسات رصدية على نجوم أخرى، فوجد نفس الانزياح موجوداً، فازداد بذلك تحيراً، كيف ينقذ أولياءه من ورطتهم؟ وكيف تؤدي المشاهدات الفلكية إلى تكذيب معتقدات الوثنيين؟ لذلك كان لا بد من البحث عن حيلة جديدة، وصبغها بصبغة البحث العلمي النزيه.

إن هذه الأرصاد الفلكية لو كانت منبعثة من روح البحث عن الحقيقة الكونية، وإيجاد تصور صحيح لهذا الكون، لأدت بهؤلاء إلى الإقرار –ولو مؤقتاً– بصحة القول بكون النجوم تقع على مسافات ثابتة من الأرض، لكون الانزياح ثابتاً لم يتغير من نجم لآخر، كما تؤكد القربَ الشديد لهذه النجوم من الأرض، وأنها لا تقع على هذه المسافات الهائلة التي يصعب على العقول إدراكها، وهذا مما يهدم نظريتهم من أساسها، وأما أصل الانزياح مما يسهل تفسيره مع ثبات الأرض.

كذلك يقال لهم: إذا كان اختلاف المنظر كبيراً إلى هذا الحد؛ فلماذا عجز السابقون على برادلي عن رصده، لا سيما وقد صرحوا بأن هوك لم يكن موفقاً في دعواه في إثبات اختلاف المنظر لنفس هذا النجم جاما دراكونيس.

بعد ثلاث سنوات من إجراء هذه الأرصاد، مات مولينو فجأة سنة (1728) وهو في التاسعة والثلاثين من عمره، وفي نفس السنة أَلهم الشيطانُ برادلي الجوابَ عن هذه المعضلة، لما كان يقوم برحلة استجمام [وما أدراك ما الاستجمام؟] في نهر التيمز، عندما انتبه لكون مؤشر اتجاه الريح يغير اتجاهه قليلاً مع تغيير القارب لمساره، فسأل البحارة عن هذه الظاهرة الغريبة، فأخبروه بأن الريح لم تغير اتجاهها، ولكن هذا التغير في المؤشر يقع نتيجة تغيير القارب لاتجاهه، عندئذ قام برادلي بإنزال وإسقاط هذه الظاهرة على أرصاده الفلكية، فجعل القارب هو الأرض، والريح تمثل شعاع النجم، والمؤشر يمثل المقراب، ومن ثم عزا هذا الانزياح المرصود إلى سرعة الأرض الرهيبة في الفضاء في مدارها حول الشمس، هذه السرعة التي تبلغ حوالي عشرين كيلو متراً في الثانية الواحدة.

وأطلق على هذه الظاهرة المخترعة المفبركة اسم الزيغ، وهكذا كلما عجزوا عن تفسير ظاهرة كونية جديدة تتعارض مع تصحيح نظريتهم اضطروا إلى زيادة حركة جديدة إلى الأرض، حتى جعلوا الأرض المستقرة الهادئة أشبه بريشة في مركز إعصار.

عندئذ وبكل جرأة استطاع برادلي أن يقدم خدمة جليلة لأوثانه التي يعبدها، فقام بإعلان اكتشافه لهذا الزيغ الجديد سنة (1729) في رسالة وجهها إلى إدموند هالي الفلكي الملكي،

وقد طبعت هذه الرسالة في المحاضر الفلسفية للجمعية الملكية بعنوان: "وصف لحركة مكتشفة حديثاً للنجوم الثابتة"، ثم قام بعد ذلك بحوالي (18) سنة بتقديم اختراعه الآخر المفبرك: الترنح، وهو تهادي محور الأرض في حركة دورية، مما يؤدي أيضاً إلى تغير مواقع النجوم بنحو تسع ثوان قوسية.

وبهذه الاختراعات المبتكرة خلف برادلي إدموند هالي في منصب الفلكي الملكي، وقد عرض عليه الملك أن يتقلد منصب قسيس جرينتش، لكن وثنية برادلي تأبى أن يتحمل مثل هذا المنصب، فرفضه، ليكون مدير المرصد الملكي حسب، مع العلم بأن هذا المرصد الملكي لما أنشأه ملك إنجلترا تشارلز الثاني سنة (1675)، تولاه أولاً جون فلامستيد، ثم تلاه إدموند هالي، ثم ورثه جيمس برادلي، فطور آلاته وزاد فيها، وأخيراً فقد أخفق برادلي في اكتشاف المنظر النجمي، لكنه نجح في إضلال من بعده بخرافة الزيغ والترنح، ليبرهن بها على دوران الأرض.

وهنا نقول لمن يخادع العالم كله، ويبهرهم بمبتكراته، ويسلب عقولهم بتهويلاته، نقول له: كيف سمحت لنفسك أن تخالف أصول العلم والبحث العلمي النزيه؛ حين تضع المطلوب إثباته، هو عين المعطيات، والتي بها تتوصل إلى البرهنة على النتيجة، أليس دوران الأرض هو ما تبحثون أنتم له عن دليل وبرهان لإثباته وإسكات العالم كله الذي ينازعكم في هذه القضية؟ فلماذا إذن تجعلون السبب المؤدي إلى هذا الانزياح الكبير هو عين دوران الأرض والذي تثبتونه بالانزياح النجمي، كما فعل برادلي هنا؛ أليست هذه مغالطة علمية تنافي حقيقة البحث العلمي النزيه؟!

ينبغي التنويه هنا بأن إسحاق نيوتن لما يئس من أرصاد برادلي، ابتكر فكرة جديدة نشرها سنة (1728) في مقالة بعنوان: "رسالة في نظام العالم"، يمكن باستعمالها إبعاد النجوم عن الأرض بنسبة كبيرة جداً، وتحقق المطلوب، وهي نفس الفكرة التي اعتمدها هيرشيل بعد ذلك في تأصيل بعض جوانب هذه النظرية، هذه الفكرة تسمى بنظرية البهوت، وهي تعتمد على فرضية أن جميع النجوم متطابقة في جوهرها، ومن ثم فهي شموس بعيدة، تولد نفس القدر من

الضوء مثل الشمس، ومن ثم فكلما ازداد بهوت ضوء النجم ازداد بعده عنا، وللحصول على قانون يمكن استعماله في القياس، قام بقياس شدة الضوء الصادر من مصباحين متطابقين يبعدان من موقع الراصد نفس المسافة، ثم قام بإبعاد أحد المصباحين بحيث يكون على بعد ضعف المسافة الأولى، فبهتت شدة الضوء الصادر منه بمقدار الربع، ومن ثم استنتج أن شدة الضوء الصادر من جسم متوهج يتناسب عكسياً مع مربع المسافة، وتسمى هذه الطريقة بطريقة نيوتن الفوتومترية.

وبناء على ذلك فإن أسطع نجم في السماء، وهو نجم الشعرى اليماني، ينبغي أن يكون هو أقرب نجم إلى الأرض، وقد استطاع نيوتن برغبته الجنونية في إثبات نظريته، أن يبعد هذا النجم عن الأرض بمقدار مليون وحدة فلكية، والوحدة الفلكية تساوي بعد الأرض عن الشمس (150 مليون كم).

في سنة (1747) نشر برادلي مقالة عن الترنح، نصح فيها الفلكيين بالتمسك بعقيدة البهوت، وأرشد الفلكيين إلى دراسة النجوم الثنائية التي تجمع بين نجم ساطع وآخر باهت، وهذه هي إحدى بنات أفكار جاليليو التي سبق أن أشرنا إليها، وهو ما عمل عليه هيرشيل طيلة حياته تقريباً.

[انظر: اختلاف المنظر النجمي. آلان هيرشفيلد ص (215-239)].

☜ **بعد ذلك** دعوني ألقي بعض الضوء على الإنجليزي توماس رايت *Thomas Wright* (1711-1786 م)، والتي تبدأ قصة حياته أيضاً مثل أسلافه، بقصة مخزية وفضيحة مع عاهرة اضطرته للهرب من عمله، بل ومن بلدته قاصداً أيرلندة، لا أحب أن أطيل بذكر هذا الخامل والذي لم يكن فلكياً محترفاً بمعايير زمانه هو، إلا أنهم لما رأوا في نتاجه الفكري ما يؤيد ضلالهم، ألحقوه قسراً بزمرة الفلكيين والمنجمين، بدأ يفهم شيئاً عن علم الفلك الحديث من خلال قراءاته لمن روّج لأعمال نيوتن، وكتابه البرنسيبا، مثل: وليم ويستون *Whiston*، وجون كيل *Keill*، لكن الرجل كان عنده نزعة للتقريب بين الدين والفلك، أو استخدام الفلك في إيجاد نظرية تتواءم مع معتقداته الدينية، فيما سمي في حينه بالفلك

اللاهوتي، وهذا مما يلقي بظلاله على طبيعة الإنسان، وحاجته الفطرية إلى الإيمان بالخالق، ولو على سبيل المخادعة لنفسه.

آمن رايت بالكون المتعدد العوالم، كل بشمسه وكواكبه، ثم واجهته مشكلة إيجاد مكان للجنة والنار [وكأنهما خلقه وقد احتار أين يضعهما]، وقد اقترح عليه معاصروه بعض الحلول لمشكلته، لكنه استطاع أن يجد الحل فوضع إلهه وهو الثالوث المقدس في مركز الكون على هيئة كرة صغيرة مزينة برمز ثلاثي، ثم أحاطها بصدفة كروية تدور فيها النجوم والمجرات في كل الاتجاهات، مؤكداً في ذلك بأن كل النجوم هي شموس محاطة بأجسام كوكبية، ولكن المسافات بينها شاسعة جداً لدرجة عدم المعقولية، حاول في نظريته هذه أن يقدم تفسيراً لدرب التبانة، وكيف أنه غير منتظم في العرض والسطوع، كما أنه في بعض الأماكن ينقسم إلى جدولين، وكيف أنه يظهر على هيئة شريط مضيء محيط بالأرض تقريباً، علل ذلك بأن درب التبانة إنما هو هذه الصدفة المحيطة بالمركز المقدس، لكن لكوننا نقع في طرف هذه الصدفة والتي نحن جزء منها، فإننا إذا نظرنا إلى جدارها لن نرى منها سوى هذا الشريط الضيق فقط، دون أن يحيط إدراكنا لها بالكلية لوقوعنا داخلها، فلو أن هذا الحشد الهائل من النجوم كان موضوعاً أمام عين المشاهد مباشرة لرأى قرصاً دائرياً، مقوساً كالقبة، لكن لكونه ينظر إليه من داخله فكأنه ينظر إلى طبق مسطح من حافته فيظهر أمام عينه كأنه خط مستقيم.

بهذا يكون رايت قد وضع تصوراً مبدئياً لتصور الكون متعدد العوالم، وتصوراً مبدئياً لدرب التبانة، وللمجرات، وقد دعم ذلك برسومه وخرائطه [انظر: رحلة في تاريخ المجرات، قصة اكتشافنا لدرب التبانة ص (41-82). د. ليلى بلكورة].

⮰ يحسن بعد ذلك أن ننتقل إلى وليم هيرشيل *William Herschel* (1738-1822 م)، الذي ولد في مدينة هانوفر في ألمانيا، ثم انتقل بعد ذلك إلى بلدة باث جنوب غرب إنجلترا، واستقر بها، قبل أن يصبح فلكي الملك جورج الثالث، فهذا الرجل الذي بدأ حياته عازفاً في الحفلات الموسيقية، ثم أصبح هاوياً للفلك، ثم محترفاً، استطاع أن يأتي بنقلة نوعية في هذا المجال الفلكي، من خلال ابتكاراته وتصنيعه للمناظير الفلكية العاكسة بنفسه،

فقد كان مسرفاً في تفسير مشاهداته الفلكية إلى حد بعيد، نتيجة إيمانه العميق بنظريات كوبرنيك وبرونو، محاولاً جعل كل مشاهدة جديدة واكتشاف حديث ما هو إلا برهان على ترهات برونو وأمثاله.

بدأ متابعته للقبة السماوية بمنظار طوله سبعة أقدام، وفتحة قطرها 6 بوصات، ثم استطاع بمهاراته الحرفية أن يصنع بنفسه منظاراً بطول عشرين قدماً، وقطر 12 بوصة، ثم 19 بوصة، ثم انتهى به المطاف بمنظار ضخم طوله 40 قدماً، وقطره 49 بوصة.

كان من أهم إنجازاته ومشاهداته الفلكية:

اهتمامه الزائد بمسألة اختلاف المنظر النجمي، أو الانحراف النجمي، وذلك لكون هذه المسألة شديدة الصلة بالبرهان الدال على دوران الأرض حول الشمس، وإثبات صحة نظام كوبرنيك الشمسي، لذا فقد أولى هذه المسألة عناية كبيرة جداً، وخصص لها جزءاً كبيراً من وقته، وأبحاثه الفلكية، وقد اعتمد في ذلك على فكرة جاليليو في قياس اختلاف المنظر، وذلك بقياس الفاصل الزاوي بين نجمين قريبين من بعضهما في السماء، بما يسمى بالنجوم المزدوجة، حيث يرصد الراصد النجم القريب في شهر يونيو، ويسجل المسافة بينه وبين النجم الأبعد، ثم بعد ستة أشهر في ديسمبر حيث تكون الأرض في الجهة المعاكسة من الشمس، يرصد نفس النجم، والذي يظهر وكأنه تحرك بالقرب من النجم الأبعد الثابت، مستعملاً في ذلك ميكرومتر السلك، أو ميكرومتر المصباح، لكن هيرشيل وعلى مدى أكثر من أربعين عاماً من العمل الدائب، والرصد المستمر، لعدد كبير من النجوم المزدوجة: لم ينجح في رصد أي اختلاف في المنظر، وباء في ذلك بالفشل الذريع.

اهتم هيرشيل بمسألة السدم وهي السحب الضبابية الباهتة، فاستطاع من خلال مناظيره المطورة أن يرى بعضها على هيئة تجمع كبير من النقاط المضيئة، ليبرهن بذلك على صحة زعم برونو بالأكوان الجزر، وأن كل سديم عنده إنما هو عبارة عن تجمع نجمي هائل، وقد اكتشف هيرشيل عدداً كبيراً جداً من السدم، كما ذهب إلى القول بأن للسدم أشكال كثيرة إذا رتبت بشكل مناسب فإنها تشكل سلسلة زمنية، يعني أن لها مراحل عمرية من الطفولة إلى الشباب

إلى الشيخوخة ثم الفناء، ويقول في بعض ما كتب في أبحاثه عن رؤيته للسماوات: "فهي تُرى الآن على أنها تشبه حديقة فاخرة تحتوي على التشكيلة الأكبر من المنتجات في أسرة مختلفة مزدهرة، وهناك فائدة واحدة نجنيها من ذلك، وهي أننا يمكن -إذا جاز التعبير- مد حيز تجربتنا إلى فترة زمنية هائلة، ولمواصلة التشبيه: استعرت من المملكة النباتية ...، سواء كنا نعيش لنشهد على التوالي استنبات النبات وازدهاره، وتورقه، وتخصبه، ثم ذبوله، واضمحلاله وفساده، أو كنا نرى عدداً كبيراً من النماذج المختارة من كل مرحلة تمر بها النبتة على امتداد حياتها، ولكنها تُجلب إلى أنظارنا دفعة واحدة".

فيكون بذلك قد وضع مبادئ التصور الحديث لنشوء الكون وارتقائه، ولم يكن يملك من أدلة وبراهين على صحة هذا المدعى سوى الحدس والتخمين.

اكتشف هيرشيل في عام (1781 م) الكوكب السابع في المجموعة الشمسية -زعموا-، والذي سمى فيما بعد أورانوس [ويعني في عقائد اليونان الوثنية القديمة: أبو الإله الروماني زحل]، كما اكتشف فيما بعد [بمناظيره المطورة] قمرين لأورانوس، وقمرين لزحل.

كان لهذا الاكتشاف آثاره الواسعة على سمعة هيرشيل الفلكية، فاختارته الجمعية الملكية ليكون زميلاً فيها، ومنحته وسام كوبلي، وبعد ذلك بقليل عينه الملك جورج الثالث فلكيه الخاص، وأجرى له راتباً مجزياً، أغناه عن العمل في مهنة الموسيقى.

قدم هيرشيل تفسيراً لدرب التبانة، وأنه يشبه السرير الضخم المليء بالنجوم، ووضع صورة مفصلة له كشريحة متفرعة من النجوم، كما أعطى وصفاً للمجرة التي تحتوى على المجموعة الشمسية، أعطى قياسات نسبية للمسافات بين النجوم تعتمد على مجرد الحدس والتخمين، كما قلل من أهمية هذا الكون المصغر الذي نسكنه نحن في درب التبانة -على حد زعمه-، إذ قد يكون هناك من الأكوان ما هو أعظم منه أهمية.

وهذه هي نفس فكرة تهميش حقيقة خلق الله ﷻ للإنسان، واستخلافه في الأرض، وتسخير ما في السماوات وما في الأرض لمصالح ابن آدم.

شاهد هيرشيل في نوفمبر (1790) نجماً يبدو وكأنه مطمور في غيمة كروية، مثل الغلاف

الجوي الممتد [معروف الآن عند الفلكيين برقم (*NGC1514*)]، هكذا زعم، وقال بأنها ظاهرة فريدة جداً، ثم استنتج منها أنها عبارة عن مرحلة أولية لميلاد نجم جديد، وهكذا يهجم بتفسيراته لمشاهداته على ذهن القارئ والسامع ليفسر له هذه المشاهدة بما سبق وأوحى به أحد شياطين الإنس السابقين، والذي لم يجد دليلاً على دعواه، فيأتي هذا الأفاك الأثيم ليجعل مما يرى بعينه العمياء برهاناً على أبطل الباطل، وبهذا يكون هيرشيل ذاك الشيطان المريد الذي مهد لشياطين لابلاس *Pierre-Simon Laplace* ذاك الفلكي الفرنسي القائل بنظرية تطور السدم أو فرضية لابلاس السديمية، وهو فكرة القول بنشوء الكون وارتقائه بصورته الحديثة، وذلك في كتابه: استعراض لنظام العالم.

كان من أبرز اكتشافاته بعد ذلك: الأشعة تحت الحمراء، كذلك ادعى أن بعض النجوم المزدوجة ليست دائماً عبارة عن نجم قريب وآخر بعيد، ولكن بعضها يتكون من نجمين متجاورين يدور أحدهما حول الآخر.

ذهب هيرشيل فيما خولف فيه فيما بعد إلى أن اختلاف سطوع النجوم لا يرجع إلى اختلاف أحجامها، ولكن إلى اختلاف المسافة بيننا وبينها، ومن هنا استنتج هيرشيل أن كمية الضوء المنبعث من نجم ما تتناسب عكسياً مع مربع المسافة إليه، ثم أجرى كثيراً من التجارب والقياسات لمعرفة أبعاد النجوم، والمسافات الفاصلة بينها، ثم استخدم ذلك في محاولة سبر عمق درب التبانة دونما جدوى.

[انظر: رحلة في تاريخ المجرات، قصة اكتشافنا لدرب التبانة ص (83-133). د. ليلى بلكورة].

🙜 وأخيراً؛ فإني في نهاية هذا المطاف أضطر لإيقاف هذه الرحلة آملاً أن يتيسر الوقت المناسب لإكمالها، أو أن يهيئ الله لها من يضطلع بإكمال هذه المسيرة، ويبين الحقيقة للبشر، عسى أن يتبعوا الحق المنزل من عند الله تعالى.

والله الموفق للصواب، والهادي إلى سواء السبيل.

سلسلة مقالات لحسن علية

نيكولا كوبرنيك محيي العقيدة الفيثاغورية

كلنا يدرك بأن من أعوص مشاكل الحضارة السائدة حاليا هو ضحالة المعاني التي تقدمها للإنسان والحياة، حيث تم اختزال الوجود في جزئه المادي القهري، مما ضيق أفقاً كان رحباً، وأظلم سماء كانت مضيئة، والسؤال: كيف تم التحول من سعة أفق التوحيد، والزخم العظيم للمعاني التي لا تنضب إلى عدمية المادة وإلغاء الإنسان، إن المعاني التي نضفيها على حياتنا في مستوياتها المختلفة إنما نستوحيها من الثقافة التي نغذى بها عقولنا، وتترسخ في قلوبنا من خلال عملية التعلم التي يباشرها الإنسان منذ ولادته وحتى ساعة الغرغرة، إن المنظومة القيمية والأخلاقية هي أهم إفرازات الثقافة التي تقوم بإدارة وتوجيه المجتمعات منطلقة من إدارة الأفراد، لذا كانت دعوة الأنبياء تتركز على إعادة التعريف الصحيح لعلاقة الإنسان بخالقه وبالموجودات التي حوله حتى يتمكن من تأسيس واقع إيماني يمكن من خلاله أداء العبادة الخالصة لله، فهذا رسول الله ﷺ يصف جبل أحد فيقول: «**هذا جبل يحبنا ونحبه**»، في تعريف رائع لعلاقة المسلم بالموجودات التي خلقها الله ﷻ حوله، لذا فكل حضارة لابد لها من أن تعرف الظواهر الطبيعية وعلاقة الإنسان بها تأثراً وتأثيراً، وهذا ما تم فعله في بداية حقبة الحضارة الغربية الحالية، حيث انطلقت من إعادة تعريف موضع الأرض من الكون، ومن ثم تم إعادة تعريف موضع الإنسان من الحياة، وهذا ما جاء به كوبرنيك أساساً، فاستبعاد الأرض من مركز الكون، وجعلها كوكباً لا ميزة له على غيره؛ أدى إلى إلغاء فكرة تكريم ابن آدم، وأنه يعيش في كون خلق له وسخر لخدمته، لقد كان ذلك هدماً مباشراً للعقيدة التوراتية والقرآنية المبنية على مركزية الإنسان في الحياة، وأنه يعيش في كون خلق له وسخر له من قبل حكيم عليم، حتى ينظر ماذا سيفعل، ويحاسبه على ذلك، وقد أدركت الكنيسة أبعاد هذا القول؛ لذا فقد حاربت هذه الدعوى، نظراً لإدراكها للأبعاد الحقيقية للموضوع، وما سيترتب عنه من انحرافات عقدية في غاية الخطورة، سنحاول في الأسطر التالية إلقاء الضوء على الدوافع الكامنة التي أدت بكوبرنيك إلى القول بثبات الشمس، وعلاقتها بالإطار الزماني الذي عاش فيه.

حقبته الزمنية:

عاش كوبرنيك في أواخر القرن الخامس عشر، وبداية القرن السادس عشر الميلادي، والذي سمي بعصر البعث، أو عصر الإحياء، أو عصر إعادة الولادة، ولنا أن نتساءل: بعث ماذا؟ وإحياء ماذا؟ والولادة الثانية لمن؟

الجواب بكل بساطة: هو بعث حضارة الأجداد، وإحياء ثقافة الآباء القدامى، وهي الحضارة الإغريقية والرومانية، وحتى الحضارة الفرعونية والبابلية والفينيقية إلخ ...

فالأوروبيون في هذه الحقبة قد بلغوا حد الافتتان بكل ما هو إغريقي وروماني، في كل مجالات الحياة، وقد بالغوا إلى حد الغلو في الرفع من قيمة هؤلاء، وتخليد ذكراهم، فهؤلاء مشاهيرهم وعلماؤهم كانوا يتخذون ألقاباً يتسمون بها باللغة الإغريقية والرومانية، كما دأبوا على تسمية المكتشفات بأسماء آلهة الوثنيين القديمة، في عملية بعث حقيقية لهذه المعبودات، فمثلاً: قاليليو قاليلي سمى أقمار المشتري بأسماء عشيقات الإله زيوس (زيوس هو كبير الآلهة عند الإغريق، وهو عندهم إله السماء والرعد، قاتل والده كورونوس وانتصر عليه، كان زوجاً لأخته حيرى، والتي كانت شديدة الغيرة عليه، هكذا آلهتهم تكرس في النفس البشرية أقبح المعاني والأخلاق السافلة الوضيعة)، وهذا ريتيكوس تلميذ كوبرنيك يبدأ كتابه بعنوان "خطاب بروسيا" بالرجوع لآلهة الرومان، ويشير إلى أن الكهرمان كان هدية من الآلهة، وهذه الكواكب الجديدة المكتشفة في المجموعة الشمسية تسمى بأسماء الآلهة مثل بلوتو ونبتون، ومازال هذا دأب الغربيين إلى اليوم.

في البداية اصطدم هذا التوجه مع بقايا التوحيد الوافد من الشرق ضمن التعاليم المسيحية، والذي كان يأمر ببغض هؤلاء الأجداد الوثنيين، ويجرمهم، ويعدهم بالخلود في العذاب المهين، ويعتبر الوثني أدنى قيمة من الموحد.

لذا فكان من الضروري إعادة صياغة الوعي الغربي، والتخلص من مرجعية الوحي، بحيث يمكن إعطاء الأجداد القدامى المكانة التي يستحقونها، بحثاً عن العزة والتمكين، من خلال الاقتداء بهم، والاهتداء بهديهم، لذا أنشئت حركة الأنسنة *humanism* والتي تعهدت

بالدفاع عن المظلومين من قبل الموحدين (سلطة الوحي)

ترتكز الأنسنة على فكرة جوهرية، وهي أن شرعية الفعل البشري تستمد من ذات الفعل، ورفض أي مصدر للتقييم يأتي من خارجه.

وبذلك يمكن اعتبار أي شيء يصدر عن الإنسان هو شيء مقبول أو إنساني، ولا يمكن تجريمه، فالشرك والوثنية رافقت وجود الإنسان إذاً فهي فعل إنساني، ولا يمكننا تجريمه، بل يجب اعتبار الآثار المترتبة على هذه العقائد إرث إنساني يجب المحافظة عليه، وصيانته وتقديمه للأجيال القادمة على كونه جزءً أساسياً من تاريخ الإنسانية، كما أن الزنا مثلاً سلوك رافق وجود الإنسان حيث لم يقتصر -حسب زعمهم- أبداً نشاط الإنسان الجنسي على مؤسسة الزواج، إذاً فالزنا ليس جريمةً، بل هو سلوك إنساني يجب قبوله كحقيقة إنسانية، وحاجة بشرية، وإعطاؤه اسماً يليق به، مثل الحرية الجنسية.

والمبدأ الثاني للأنسنة: هو الحرية، فالإنسان (طبعاً الإنسان القوي والمتفوق فقط) هو السيد، وهو حر في أفعاله، لذا فهو يمنع ما يراه مضراً به، ويسمح بالفعل الذي يراه من مصلحته. وبذلك ولدت فكرة أن الأخلاق مسألة مصلحية ونفعية، ليس لها أي ثوابت، وتفتقد للمعيارية، ولكن يتم تشكيلها حسب مصالح الأقوياء في كل فترة، وتعج المؤلفات الماركسية بهذه الأفكار، وفي المدارس الأكثر اعتدالاً اعتبروا الأخلاق هي أداة يدافع بها المجتمع عن وجوده تجاه الفرد، في إطار صراعٍ الغايةُ منه قمع حرية الفرد.

ومن بين المقولات الحداثية الشهيرة من يقول بأن "الحداثة أسست على مبدأ موت المقدس"، فلم يعد هنالك مقدسات وثوابت أخلاقية في حياة الإنسان بل كل ما لديه هو ممنوعات ظرفية، إذاً بهذا لم يعد للأخلاق أي قدسية ولا معيارية.

كما كان دأب المتأنسنين على السخرية وتسفيه كل ما له علاقة بالفطرة والقيم المشتركة بين البشر، مثل: الشرف والغيرة والإخلاص والتدين، بحيث كانوا يعتبرون أنه كلما ابتعد الإنسان عن الفطرة التي جبل عليها كلما تحققت إنسانيته أكثر، وهو مِن أفظع ما أتى به المتأنسنين، فهذا يؤدي بنا إلى اعتبار الفاحشة والمنكر أفضل من العفة والاستقامة، فمثلاً: الشواذ جنسياً –

حسب قولهم- أعلى في سلم الإنسانية من الأشخاص الطبيعيين، فالشواذ تمكنوا من أن يختاروا سلوكهم الجنسي ذكرياً كان أم أنثوياً، وبذلك فقد تحرروا من إرهاصات الطبيعة التي خلقوا عليها، ومن ثمة فقد تحقق فيهم معنى الإنسانية.

وبعد هدم مرجعية الوحي والأخلاق فلم تعد الكنيسة المكان الملائم لتكون منبر الحقيقة؛ لذا فقد تم الاستعاضة عنها بمنبر جديد استحدث لهذا الغرض سمي بالجامعات، ولم يعد الراهب الشخص الملائم لحمل الحقيقة، فتمت الاستعاضة عنه بحامل اللقب الجامعي وهو الدكتور، ولم يعد الوحي مصدراً مقبولاً للحقيقة، فتمت الاستعاضة عنه بالمنطق الرياضي، داخل المنبر الجديد للحقيقة (الجامعة) تمت صياغة مرجعية جديدة لقياس التفاضل بين البشر أفراداً وأمماً، وهي مرجعية الصراع مع الطبيعة.

فبالنسبة لهم: الإنسان في حالة صراع دائم ومتواصل مع قوى الطبيعة للحفاظ على البقاء، وتعتبر الحضارة نتاج مباشر لتفوق الإنسان في هذا الصراع، والدين هو رمز الهزيمة في هذا الصراع. ويمكننا من خلال مفهوم الصراع تفسير كل النشاط البشري، فالغنى هو نتيجة الصراع ضد الفقر، والصحة هي نتيجة الصراع ضد المرض، والعلم هو نتيجة الصراع ضد الجهل، والقوة هي نتيجة الصراع ضد الضعف ...

إذاً فالمكاسب الحضارية في أي ناحية من مناحي الحياة هي غنيمة حرب يحل للغانم أن يفعل بها ما يشاء وكيف ما شاء، وليس هنالك سلطة تنازعه ثمرة انتصاراته وتعبه أو تملي عليه ما يجب فعله.

وبذلك فالتفاضل بين البشر يحتكم فيه أولاً وأخيراً إلى مقدار الانتصارات المحققة في هذه الحرب، وبالتالي فكل من أتى بكسب في هذه الحرب حق له تخليد ذكراه في حياة البشر.

ويسهل على من تبنى هذا المقياس: إثبات تفوق الوثنيين على الموحدين؛ لأن البابليين هم مَن بنى الحدائق المعلقة، وليس إبراهيم، والفراعنة هم مَن بنى الأهرام، وليس موسى، وثمود هم من جاب الصخر بالواد، وليس صالح، وعاد هم من شيدوا إرم ذات العماد، وليس هود، فهؤلاء الأقوام بالنسبة للمتأنسنين هم من عمروا الأرض، وشيدوا الصروح، وبنوا الآيات، بذلك فهم أئمة

البشرية، وعلى الجميع تعظيمهم وتبجيلهم وإجلالهم.

أما الأنبياء والموحدون بالنسبة لهم فقد جاؤوا إيذاناً بأفول واندثار هذه الحضارات، وبذلك ففترة سيادة التوحيد هي فترة مظلمة، حيث طفئت فيها جذوة الحضارة، وشاع فيها الاستسلام لأوامر الخالق، ومن هنا جاء مصطلح الظلامية لوصف التوحيد وأصحابه، ولم يقتصر هذا المصطلح على المسيحية كما توهم البعض؛ بل شمل كل الموحدين من أتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

ولقد كان كوبرنيك من أشد الناس تأثراً بدعوى المتأنسنين حيث يصفه [1]ألكسندر كوريه في كتابه الثورة الفلكية: "لابد من التأكيد على أن كوبرنيك ليس بفلكي، ولكن متأنسن، وواحد من أبرز العقول المثقفة في وقته"، وكما يصفه الدكتور ووتسن أفريكا في مقالته بعنوان: علاقة كوبرنيك بأرسترخوص وفيثاغورس[2] بقوله في الصفحة (405): " لقد تشرب التبصر العلمي للفلكيين الإيطاليين وقناعة الطليعة المثقفة بالأنسنة، والتي كان يرفع شعارها في وقته الأفلاطونيون الجدد".

فإلى أي مدى كان استبطان كوبرنيك لمبادئ وعقائد المتأنسنين محركاً له في ما جاء به في موضوع الفلك؟

كوبرنيك والأقدمون:

عُرف كوبرنيك بإكباره وتعظيمه الشديد للأجداد من إغريق ورومان، حتى إن أعنف موقف اتخذه كوبرنيك كان من الفلكي ورنر الذي حاول في إحدى رسائله تسفيه بعض مقولات القدامى مما جعل كوبرنيك الحذِر والانطوائي يخرج عن طوره، ويقوم بإعداد رد جارح، حيث

[1] The Astronomical revolution: Cprenicus – Kepler - Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. , p.22

[2]Copernicus' Relation to aristarchus and Pythagoras, Isis, Vol. 52, No. 3, (sep.,1961), pp. 403-409

سفه فيه ورنر، ووصفه بأنه مهلوس، ولم يستغرق إعداد الرد من كوبرنيك سوى يوم واحد. وشخص مثل كوبرنيك لا يقدم أبداً على مثل هذا العمل إلا إذا مسه في صميم معتقده، ومما يؤكد إستنتاجنا هذا هو ما ذكر في الأثر الوحيد المنسوب لكوبرنيك "حركة الأفلاك" حيث أورد في مقدمته التي تحدث فيها على رحلته المعرفية فقال: [3] "لقد اطلعت بتمعن على كل أعمال الفلاسفة، و تمكنت من الوقوف على معرفة إذا ما كان هنالك من يعتقد في حركة القباب ما عدا المتعارف عليه في المدارس، أولاً وجدت عند *Cicero*[4] أن هيسيتاس[5] أدرك بأن الأرض تتحرك، وفي فترة لاحقة نقل *Plutarch*[6] أن آخرين تبنوا نفس الرؤية، إنني أرى أنه من المناسب اقتباس كلام *Plutarch* هنا "البقية يعتقدون بأن الأرض ثابتة، ولكن فيلولاوس الفيثاغوري يقول بأنها تتحرك حول نار في مدار مائل مثل الشمس والقمر، هيراقليدس *Ponticus* وإسفنتيوس جعلوا كذلك الأرض متحركة، ليس في الفضاء ولكن حول محورها مثل الرحى من الغرب إلى الشرق" من هنا بدأت أفكر في أرض متحركة".

كما أورد في نفس المقدمة ترجمة لنص رسالة إيزيس إلى هيبرخوس، والتي يتلخص موضوعها في شرح اللوائح التنظيمية الداخلية للأخويات الفيثاغورية، فهي تنص على أن من يكشف الأسرار يطرد من الأخوية الفيثاغورية، ويظهر جلياً للعيان مدى بعد موضوع الرسالة عن موضوع الفلك والرياضيات، مما جعل العديد من المهتمين بشأن كوبرنيك إلى القول بأن

---

[3] Thomas W. Africa, Copernicus' Relation to aristarchus and Pythagoras, Isis, Vol. 52, No. 3, (sep.,1961), pp. 403-409.

[4] Cicero ولد بروما سنة 106 ق م وتوفي سنة 43 ق م من كبار المفكرين الرومان القدامى وهو من أدخل الفلسفة الإغريقية على الدولة الرومانية، صنف من قبل الكنيسة بأنه كاتب وثني، وتم إعدام أغلب آثاره.

[5] Hicetas فيلسوف إغريقي فيثاغوري، ولد سنة400 قبل الميلاد، وتوفي سنة 335 قبل الميلاد، قال بحركة الأرض حول محورها.

[6] Plutarch كاهن معبد أبولو إله التنبؤ (الشمس)، أصله إغريقي روماني، ولد سنة 46 ميلادي، وتوفي سنة 120 ميلادي، كان يشغل منصب مفسر نبوءات خادم الشمس، كما اهتم برواية السير والتاريخ.

كوبرنيك في إيراده لهذه الرسالة لا يتحدث عن الأرض أو الشمس أو غيرهما، بل هو بصدد الحديث عن نفسه، وبذلك فهو يشير إلى أنه فيثاغوري العقيدة، ونذكر على سبيل المثال: جوزيف برتران في كتابه مؤسسي علم الفلك الحديث[7] المنشور سنة 1865 يقول حرفياً: "بعد تأثره العميق بفيثاغورس[8] أصبح الرجل يعتقد بمعزل عن كل البراهين بتناغم الكون وبساطة آلياته"، كما أن الدكتور وتسن أفريكا أفرد مقالة كاملة يبرهن فيها على كون كوبرنيك ما هو إلا أحد الفيثاغوريين[9] وأن هدفه كان تأسيس الفيثاغورية الجديدة، وليس الاهتمام بالفلك والأرصاد، وننقل عنه قوله:

"في مخطوطة حركة القباب بكل صراحة أعلن كوبرنيك عن إيمانه بالفيثاغورية كمذهب يعتنقه ولكنه قام بحذف الفقرة (I, xi, finis) من الطبعة الأولى، إلا أنه يعتبر الرسالة الأبوكريفاوية من ليزيس ذات دلالة كافية ليعهد بها للبابا في إهدائه".

كما أشار كبلر وهو من أكبر أتباع كوبرنيك لذلك عندما قال: "إن فيثاغورس هو الجد لكل الكوبرنيكيين"[10]

---

[7] Les fondateurs de l'astronomie moderne: Copernic, Tycho Brahé, Képler, Galilée, Newton/ Joseph Bertrand; p

[8] فيثاغورس الساموسي: فيلسوف يوناني، عاش بين القرن السادس والقرن الخامس قبل الميلاد، أنشأ عقيدة سرية عرفت بالفيثاغورية، وهي عقيدة خاصة بالرياضيين، والمتصوفة وعلماء الطبيعيات، حيث يؤمن فيثاغورس وأتباعه بأسرار الأعداد، ويدعون بأن للعدد وجود مستقل، وهو يؤثر مباشرة في الأشياء، كما كان يعتقد بتناسخ الأرواح، أغلب تعاليم هذا الدين كانت شفوية، حصل فيثاغورس على كل معارفه من كهنة مصر الفرعونية، وهو أول من قال بحركة الأرض.

[9] Wattsson Africa, Copernicus' Relation to aristarchus and Pythagoras, Isis, Vol. 52, No. 3, (sep.,1961), pp. 403-409

[10] J.Kepler,letter to Michael Mastlin, 11 June 1598 ,Geasmmelte Werke, ed.Max Caspar(Munich:Beck'sche,1955), XIII, 219.

وبالتالي فالتزام كوبرنيك تجاه المعلم الأكبر يعني الالتزام حتماً بكل أقواله، وبالفعل ففيثاغورس هو أول من قال بحركة الأرض، واكتملت هذه الفكرة عند فيلولاوس[11] الفيثاغوري والذي أشار إليه كوبرنيك باسمه في مقدمته، وهو الذي يقول بدوران الأرض حول النار العظيمة، وحجته في ذلك بأن النار أكثر رفعة من الطين، لذا وجب على الطين أن يكون تابعاً للنار وليس العكس، وقد نقل أرسطو[12] القول التالي لفيلولاوس: "إن مكان الشرف لابد أن يحتله الأكثر رفعة، ولكون النار أكثر رفعة من التراب فإن الأرض تدور حول النار في حركية دائرية"، أليست هذه حجة الشيطان نفسه.

كوبرنيك والشمس

إن حديث كوبرنيك عن الشمس يتجاوز كثيراً وصف الموجودات أو تصنيفها حيث ينم على عاطفة عميقة، وتبجيل كبير يثير التساؤل حول حقيقة علاقة كوبرنيك بالشمس حيث يقول في الفصل العاشر من الكتاب الأول من حركة الأفلاك:

"بلا شك في هذا المعبد المنير (الكون) هل يمكننا أن نضع هذه الزجاجة المشعة في مكان أفضل من الموضع الذي يمكنها من خلاله إضاءة الكل مرة واحدة؛ صدقاً البعض محق في تسميتها العقل المدبر الحاكم للكون، هرمس سماها الرب الظاهر، و*sophocles* في إلكترا سماها التي ترى كل شيء، إذاً الشمس متربعة على عرشها (مملكتها) تضبط عائلة الأجرام السماوية المحيطة بها".

ونسوق فيما يلي شرح ألكسندر كوريه لهذا القول[13] "... قد أكون مخطئاً عندما أقول بأن

---

[11] فيلولاوس الكروتوني: عاش في المنتصف الثاني للقرن الخامس قبل المسيح، ويظهر أنه أول من كتب عن معتقدات الأخوية الفيثاغورية

[12] L'histoire de l'astronomie de l'origine jusqu'a nos jours / Fernend houfar,p.110

[13] The Astronomical revolution: Cprenicus – Kepler – Borelli /Alexandre Koyre; trd by R. E. W. Maddison, 1973, p 65

هذا كل شيء بالنسبة للدور الذي يعطيه كوبرنيك للشمس، حين نحصر هذا الدور حرفياً بالقول بأنها تعطي النور للكون، لأن هذا القول ذو أهمية قصوى بالنسبة لكوبرنيك، فهو ما يفسر وما يعطي شرعية للشمس للحصول على مكانها في الكون وهو المكان المركزي.

هنا نجد السبب –السبب الحقيقي– الذي تجلى لعقل وروح كوبرنيك، إنه ليس سبباً علمياً محضاً، إنه أكثر من ذلك بكثير، إن التقاليد القديمة وخاصة التي تخص ميتافيزيقية الضوء، والتي كانت تدرس خلال العصور الوسطى، والتي رافقت دراسة البصريات، رسائل أفلاطون والأفلاطنيون الجدد، وبعث الفيثاغوريين الجدد: "الشمس تمثل الشمس المخفية، الشمس هي المعلم، والملك للعالم المنظور، وبالتالي فهي رمز الإله، هذا التصور عبر عليه تماما *marsilio ficino*[14] في رسالته بعنوان كتاب الشمس.

هذه الموروثات وحدها قادرة على أن تفسر العاطفة التي يتحدث بها كوبرنيك عن الشمس إنه يعشقها، وفي الغالب فهو يؤلهها (يعظمها لحد العبادة)".

الخاتمة: إذاً فكوبرنيك ابن عصره حيث افتتن أيما افتتان بمقولات القدامى من الإغريق وخاصة فيثاغورس، واستبطن عقائده، ومن ثم بدأ في البحث على ما يسند هذا المعتقد ويبرهنه في الواقع المادي، متجاهلاً وساخراً من كل الشواهد المناقضة لهذا المعتقد، مما يثير شبهات عظيمة حول مدى الموضوعية العلمية لكوبرنيك في قوله بثبات الشمس وحركة الأرض، وهذا ما

---

[14] مارسيلو فيسينو ولد سنة 1433 و توفي سنة 1499منجم اتهم بتعاطيه السحر بعد 14 سنة من وفاته، أعلنت الكنيسة أن أفكاره عقيدة خارجة عن المسيحية، يعتبر من أكثر الشخصيات تأثيراً في فلاسفة الأنسنة خلال الفترة المبكرة للبعث. الإيطالي، وهو محيي الأفلاطونية الجديدة، الأكاديمية التي أسسها في فلورنسا كان لها عميق الأثر في توجيه البعث الايطالي ومن ثم توجيه كل الفلسفة الأوروبية.

من بين مؤلفاته "كتاب الشمس" فهو يقول في الفصل الثالث بعنوان الشمس مصدر النور: " في هذا فالشمس سيد السماء تحكم وتضبط بكل إخلاص الأجرام السماوية"، وفي الفصل السادس بعنوان تعظيم القدامى للشمس يقول: " ... دعوني أنقل لكم تسبيح orpheus: الشمس هي العين الخالدة التي ترى كل شيء، مصدر النور السماوي، حاكمة السماء والأرض، تقود تناغم العالم، سيدة السماء، إنها الجبار الذي لا يموت ...".

يدعو لإعادة النظر بالكامل في هذا القول وسبر أغوار هذا الغموض من خلال حركة نقد شاملة لأسس الحضارة الغربية ومخرجاتها، فالحضارة الغربية الجديدة هي دين أقرت شرائعه وأحكامه، وأخفيت معبوداته ومعتقداته، أو بالأحرى دين معبوداته للخاصة وشرائعه للعامة.

*** لمن أراد التوسع في الموضوع يمكنه الرجوع لمقال الكاتب بعنوان "كوبرنيك بين موضوعية المشاهدات وإملاء المعتقدات".

هل آن الأوان لنحاكم نحن جاليلي جاليلو؟

كلنا نشأنا في بيئة تثني وتطري وتمجد علماء الغرب و تصورهم على أنهم رموز النزاهة و الموضوعية العلمية، وعلى أن نتائج أعمالهم هي الحقائق الكونية الوحيدة التي يمكن لجميع البشر أن يجتمعوا عليها. وما عداها فهي مسائل غير علمية وبذلك فليس عليها أي إجماع ولا فضل لأحد فيها على غيره و من ضمنها الدين والعقائد. ومن أشهر هذه الشخصيات على الإطلاق هو جاليليو جاليلي

شهيد العلم و البحث عن الحقيقة. الرجل الذي ضحى بنفسه لينير لنا الدرب، و تعرض لمظلمة تاريخية من قبل قوى الظلامية مجسدة في الكنيسة، وحتى بعد محاكمته أصر على كلمته الشهيرة التي لم يقلها "ولكنها تدور".

فإلى أي مدى يمكننا التسليم بهذه الرواية الرسمية الصادرة عن القائمين على الحضارة الغربية؟

سنقوم فيما يلي بسرد بعض الحقائق التي أهملت أو نسيت أو بالأحرى حقائق تم التكتم عليها لجوانب عدة من حياة جاليلي جاليلو.

- قاليليوا الشاب هل تعلم بأن جاليبوا الشاب كان شاعرا ماجنا يصل شعره إلى حد الفحش مما حدا بعديد الرواة و الأدباء تحاشي إيراد شعره لمنافاته للأخلاق و الأدب وسنسوق فيما يلي بعض الاستشهادات لجوزيف بيرتران من كتابه (مؤسسي علم الفلك الحديث: كوبرنيك- تيكو براهي- كبلر / جوزيف بيرتران (عضو مدرسة: *J-Hetzel*) .- باريس، J-Hetzel للنشر، 1865)) حيث يقول في الصفحة 184-185 (كان جاليلي اجتماعي كما كان دائما متحرق للذة والمتعة، حيث كان يخالط الشبان من عمره وهو يعتبر أكثرهم تميزا وكان ينشد أبيات شعر بلغة بذيئة ونحن نمتلك من كتاباته شتم هزلي حول لبس الثياب، يجب الاعتراف بربط المثال الوارد في القصيدة بالسلوك، فإن شعر قاليليو ماجن بذيء أكثر من أنه مضحك) كما يقو ل في في الصفحة 185 و 186 ومن أشهر قصائده تلك التي يصف فيها امرأة متزوجة رفضت تلبية رغبته فيها بأنها تشبه نيرون الذي

أضرم النار في روما و تلذذ بمشاهدته لها وهي تحترق ويتابع سرده فيقول في الصفحة 193 (عند قدومه إلى بادوا تبعته فتاة فينيسية والتي كان فريسة لحبها وكانت علاقتهما علنية وهذه وضعية غير شرعية). فكما نلاحظ فيالها من بداية حياة مستقيمة وراشدة تبشر بكل خير و ياله من نضج مبكر ستعم ثمرته على كل البشر.

- قاليليو العشيق و الأب: هل تعلم بأن قاليلوا كان عازفا عن الزواج طيلة حياته؟ ولكن أتعلم؟ أنه كانت له عشيقة من فينيسا قد أنجب منها ثلاثة أبناء غير شرعيين ابن و بنتين؛ أما بالنسبة لإبنه فلم يوليه أي رعاية أبدا ولم تكن له به أي صلة على الإطلاق حتى أنه لا يوجد أحد يذكر هذا الابن الذي ذهب ضحية الأب المهمل؛ أما البنات فهو من تولى تربيتهن وكل ما قام به هو نفيهن إلى الدير نظرا لعلمه بأن معرة كونهن بنات غير شرعيات تمنعهن من الزواج وقد كتبت إحدى ابنتيه رسالة مؤثرة لوالدها الحنون تستجديه فيها أن يتكرم عليها بإحدى ستائر منزله حتى تستخدمها كغطاء تتدثر بها في ليالي الشتاء البارد في الدير.

فياله من أب مثالي حبه للخير و واعزه الأخلاقي العالي زاد عن حاجة عائلته ومجتمعه حتى شمل كل الإنسانية.

- قاليليو العالم: هل تعلم بأن قاليليو كتب مصنفا كاملا سنة 1618 لو اطلعت عليه لما تمكنت من أن تجد فيه نقطة ضعف واحدة أثبت من خلال طرح منطقي وباستخدام منهجية علمية محكمة البناء بأن المذنبات ليس لها وجود مادي وبأنها مجرد خدعة بصرية وبذلك فهذا المصنف هو أحد أفضل البراهين على أن المنطق الرياضي يمكن استخدامه في البرهنة على الباطل وقد قال فيه الفرنسي جان بيير لوشان صاحب كتاب قضية جاليليو بأن كتاب *saggiatore* يدحض نقطة بقطة الأدلة على وجود المذنبات، ويقدم من خلاله لخصمه الراهب *grassi* درسا حول المنهجية العلمية و الطريقة المثلى للاستدلال و المنطق ولكن في حالتنا هذه فإن هذه المبادئ العظيمة وضعت في خدمة أفكار خاطئة أنظر (*l'affaire Galilee/jean-pierre lonchamp. – paris, 1988,. – page 48-49*)

هل تعلم بأن تجربة برج بيزا لم تحدث مطلقا وأنها من نسج الخيال حيث أدعي بأن جاليليو قام بالصعود إلى أعلى البرج ثم قام بتجربة سقوط حر لكرة خشبية وأخرى حديدية من أعلى البرج وأثبت أنهما تصلان في نس الوقت إلى الأرض.

هل تعلم بأن برهان جاليليو على دوران الأرض هو حركة المد والجزر؟ وأنه كان يسخر من أي شخص يشككه في برهانه حتى أنه سخر من جوهانز كبلر نفسه (فلكي ألماني يعتبر من أكبر أنصار كوبرنيك) . ولكننا نعلم بأن حركة المد و الجزر هي من تأثير القمر ولا علاقة لها بثبات أو دوران الأرض إذا فكان جاليليو قد وقع في خطئ حقيقي وليس إدعاء أنظر كتاب الحوار لصاحبه جاليلي جاليليو.

- الكنيسة الشريرة: هل قامت الكنيسة بقتل جاليليو أو حرقه في محاولة آثمة لمنع نور الحقيقة؟

لا لم يقتل جاليليو. إذا هل سجن وعذب عل يد الرهبان الظلاميين؟ لا لم يسجن جاليليو ولم يعذب إذا ما هو التنكيل الذي تعرض له جاليلو؟ بكل بساطة سكن جاليليو بعد محاكمته سنة 1633في فيلا فاخرة على ملك سفير فلورانسا لدى الفاتيكان في إحدى ضواحي روما ثم تم تخفيف حكم الإقامة الجبرية عليه لينتقل لسكن في منزله الشخصي الموجود في الريف حيث واصل الكتابة وتقريبا لم يمنع من شيء.

- المحاكمة الظالمة: هل تعلم بأن السؤال الرئيس في محاكمة جاليليو هو التالي لماذا تصر على وجوب حركة الأرض مع عدم وجود مشاهدة فلكية مباشرة تدل على ذلك؟ فعدم رصد الإنحراف النجمي (إن حركة الأرض في مدار قطره المتوسط 56 مليون كيلومتر لابد أن يؤثر على موقع النجوم في السماء على الأقل مابين الصيف و الشتاء عندما تكون الأرض على طرفي المدار) الذي كان دليل نفي قاطع لدوران الأرض إذا فالعالم النزيه لا يقطع بدوران الأرض بل يبحث عن فرضية أخرى مثل ما فعل تيكو براهي أو على الأقل يكون غير مصر على هذا القول ويرد قوله في صيغة الاحتمالات التي قد تثبت أم لا. لذا تم تقييم إصرار جاليلي على قوله مع انعدام الدليل الفلكي، و تعارضه المباشر مع ما ورد في الكتاب المقدس؛ بأنه يدخل في

إطار العقائد الإيمانية المستبطنة ولا يدخل في إطار الاختلاف العلمي.

هل تعلم بأن جاليليو لم يقل أبدا المقولة الشهيرة " ولكنها تدور"؟ بل على العكس من ذلك فقد جثى على ركبتيه وأقسم واضعا يده على الإنجيل بأنه تراجع على القول بدوران الأرض وأنه لن يعود لذلك أبدا.

- حقيقة ماجاء به جاليليو: هل تعلم بأن ما جاء به جاليلوا لا علاقة له بدوران الأرض؟

فهو لم يبرهن على شيء يذكر إذا فما هو سبب كل هذا التعظيم و التبجيل الذي يناله حاليا؟

لمعرفة جزء من الإجابة على هذا التساؤل دعونا نستعرض سويا بعض ما كتبه عالم الاجتماع الفرنسي *alain gras* وهو أستاذ في جامعة باريس ومدير مركز الأبحاث الخاص بتقنيات المعرفة في مقالة تحت عنوان محاكمة جديدة لقاليليو حيث يبدأ بالقول:

"العالم الجديد للعلوم التجريبية ولد، رمزيا على الأقل مع جاليليو ولكن ما يطرحه هذا الأخير، من رؤية للعالم تكون خلالها موضوعية هذا العالم حتمية ووحيدة وغير قابلة للنقاش . بسبب كون هذه الموضوعية وحيدة: فالعالم لا يمكن أن يتكون إلا بطريقة وحيدة . فالكنيسة كانت تقول (الله أراد هذا) والعلم الحديث يجيب (الطبيعة فعلت هكذا، ولكن لا تستطيع أن تفعل إلا هكذا فقط) موضوعية ووحدانية " ويستمر آلان فيقول " جاليليو أراد أن يجدد في مجال كان في الماضي يخص الدين والأخلاق: فأصبحت الحقيقة لا يتوصل إليها بالحوار و المحاجة ولكن أصبحت بالعكس نتاج تقنية. أي البرهان يتجسد في آلة مادية، ميكانيكا تلد الحقيقة، بذلك أصبحت التقنية إديولوجيا. كما تقول *isabelle stingers* (العالم التصوري الذي طرحه جاليليو هو عالم لا يمكن لأي أحد أن يتساءل فيه بطريقة تخالف تساؤله هو) " ويعقب فيقول أيضا " إذا فخطاب جاليليو يحمل العديد من الأوجه . من ناحية، العالم صنع بطريقة عقلانية خارجة عن البشر، وحتى خارجة عن الله كما تدل عليه مقولة جاليليو الأولى " إذا كان الله كاملا، لا يمكنه أن يناقض قانونا، مثل ماذا يمنع العصافير أن تكون لها أجنحة قصيرة وإلا عروقها ملآنة بالزئبق! من ناحية أخرى، هذا القانون يفرض الحقيقة المطلقة

للعالم، لأن العالم يتجاوز كل مخلوق من منذ أن خلق، ويصبح بالتالي بالضرورة موضوعي. ولا يخضع لا لله ولا للإنسان، ولكن للعقلانية الكونية، والتي تظهر من خلال الرياضيات."

في الأخير يحوصل نقده لجاليليو فيقول " في الأخير أصبح غير مسموح للإنسان بأن يبدي أي اعتراض على هذا النظام . وبالتالي فإن حالة التنور التي تعني العلم = الأنسنة، تظهر جليا كغطاء إيديولوجي يخبأ رغبة في للهيمنة المطلقة أو ما يسميه *peter sloterdijk* " العقلانية السينية *cynique* " . هذه العقلانية التي تلقي بالدين في مستنقعات الظلمات، و تلغي الإيجابيات المترتبة على التصور القديم لوضعية الإنسان في العالم، "جاليليو ليس فقط عبقري في الاكتشاف ولكن أيضا عبقري في إخفاء الأبعاد الحقيقية لما يدعو إليه... فالصراع مع الكنيسة يمكن تصويره على أنه صراع بين رؤيتين للإنسان والكون فقبل حضور جاليلي كان الإنسان قادرا على التدخل في سير الكون على الأقل من قبل الأنبياء و القدسين الذين كانت لهم علاقة مباشرة بالمقدس ولكن بعد قدوم جاليلي لم يعد حتى المقدس يمكنه أن يتدخل في سير الكون" أنظر المقالة على العنوان التالي:

http://www.tribunes.com/tribune/alliage/47/Gras_47.htm

في الأخير ألا يحق لنا أن نتساءل لماذا تم إخفاء كل هذه المعلومات وطمسها؟ أن يخفيها الغرب فهذا مقبول، أما أن نخفيها نحن فهذا هو العجب العجاب. هل يعقل أن ندعي بأننا نعيش في عصر الموضوعية العلمية وأن تكون الحقائق في قراطيس يبدى منها ما هو يخدم المصالح ويهمل ويغفل كل ما عداها؟

ولماذا كل هذه السلبية من قبلنا في التعامل مع التحولات الكبرى التي حصلت في العالم والوقوف منها موقف المتفرج المشدوه فارغ الفاه لا يملك إلا التصفيق و التهليل للمنتصر أيا كان المنتصر.

أليس من السفاهة بمكان منا نحن كمسلمين أن نناصر جاليليو ضد الكنيسة، ونصفها بأبشع النعوت ونحن بموقفنا هذا نحاكي فعل من طعن نفسه بهدف قتل رديفه فكان هو القتيل. هل تعلم ماذا ينكرون أصحاب الحضارة الغربية الحديثة على الكنيسة؟ إنهم ينكرون

عليها بقايا الوحي في تعاليم المسيحية هم ينكرون عليها دعوتها للإستقامة والعفة هم ينكرون عليها جعل مشيئة الله هي التي تحكم العالم وأن يرد له سبحانه وتعالى الخلق والرزق، وأنه فاعلا فيه في كل لحظة بمطلق حريته لا يعجزه شيء فإنهم يعتبرون هذا القول هو الظلامية حيث لا يسمح بتأسيس العلم أصلا. فهم من خلال المنطق الرياضي يعتقدون بأنهم يحكمون العالم ويسيطرون عليه سيطرة مطلقة. هل تعلم ما هي الجوانب في الكنيسة التي يثني عليه بناة الحضارة الغربية الجديدة؟ هم يثنون على كل الوثنيات التي دخلت على المسيحية مثل إجازة التصوير والنحت و يعتبرونه انفتاحا من الكنيسة على الموروث الروماني وأنها إحدى الخصال التي تحتسب للكنيسة لأنها كانت راعية للفن والفنانين. وأما القول بالتثليث فلا مشكل في ذلك شرطهم الوحيد أن لا يكون لهذا الاعتقاد أي بعد اجتماعي أو بعد أخلاقي أو بعد اقتصادي لا يجب أن يقترن الاعتقاد بأوامر أو نوهي أيا كانت الأوامر والنواهي يحددها البشر والبشر فقط.

ألم يحن الأوان بعد لنعيد قراءة التاريخ ونعدل من مواقفنا في الصراع الذي دار بين الكنيسة وخصومها ونكون نظرة للتاريخ أكثر تجانس مع مبادئنا وعقيدتنا وأن نخرج من حالة التخبط والتناقض و الفوضى التي نعيشها الآن. فنحن لا نبحث أبدا على إلغاء الكنيسة لإلقاء العالم في ظلمات الإلحاد والكفر فالكنيسة على علتها أفضل ألف مرة من الوثنيين الجدد.

إسحاق نيوتن أو آخر السحرة

إن اسم نيوتن يعتبر من أشهر الأسماء على الإطلاق في عالمنا الحالي، وتعود شهرته لكونه أول من نجح في نحت برهان رياضي، حاول أن يدلل من خلاله على أن الجاذبية هي القوة التي تحكم حركة الأجرام السماوية، كما تحكم الأجسام على الأرض، كما يمكننا تسمية عمله بأنه الدليل النظري على صحة قول كوبرنيك بدوران الأرض، ووصلت شهرته إلى أن اسمه يستخدم حالياً مسمى لوحدة قياس القوة في مادة الفيزياء.

وبالرغم من هذه السمعة البراقة؛ إلا أن أي مطلع ولو بصورة سطحية على سيرته يجد أن الرجل مثار شبهات عديدة، حيث يمكننا القول بأن معظم حياته قضاها في التنازع والخصومات، فيا ترى ما سبب كل هذه العداوات؟

هل سببها هو حسد من حوله، أم هنالك أسباب أخرى أكثر موضوعية، خاصة وأن خصومه كانوا من أشهر علماء عصرهم؟

عادة الإنسان منذ حداثة سنه تصدر عنه مؤشرات تدل على نبوغه وحكمته، أو على إجرامه ولؤمه، وتكون هذه الأحداث محفوظة لدى الأقارب والأصحاب، وها هو الكاتب الفرنسي جوزيف بيرتران في كتابه **مؤسسي علم الفلك الحديث يسوق لنا واقعة حصلت لنيوتن وهو في سن العاشرة تقريباً، والتي يعتبرها جوزيف مؤشراً واعداً على تفوق ونبوغ نيوتن، فيقول في الصفحة 274 - 275 " قام أحد زملائه بضربه عند دخول الفصل فانتظره نيوتن عند الخروج من المدرسة، وكال له عدة لكمات مما جعل خصمه يقر بالهزيمة، وباستعمال حق المتنصر قام نيوتن بجذب أذن خصمه تحت تصفيق كل الفصل وأجبره على تقبيل الأرض عدة مرات، ومن هذه الحادثة تكون لديه شعور حب التفوق، وطرح عليه سؤال: لماذا لا أكون متفوقاً في كل شيء".

يا لهذا المشهد الرائع الذي يدل على نبل الحس الإنساني، وعلى رجاحة العقل، والتسامح الذي من خلاله استوحى جوزيف بيرتران ميلاد أعظم عبقرية في تاريخ البشرية.

هل التفوق بالنسبة لنيوتن ومن ورائه الغرب يعني إذلال الآخرين، والتنكيل بهم؟ هل ما قام

به زميل نيوتن يستحق كل هذه القسوة التي عامله بها نيوتن، ولماذا هذا الإمعان في الإذلال؟

هل هذه الحادثة هي بداية الوحي على نيوتن؟ فإذا كان كذلك؛ فلا غرابة بأن ينتهي هذا الوحي بمظلمة فلامستيد التي قام بها نيوتن الشيخ.

نيوتن الأستاذ: لم ينجح نيوتن في أن يكون معلماً، ولو لتلميذ واحد بالرغم من احترافه التدريس مدة 30 سنة، حيث يقول جوزيف بيرتران في كتابه مؤسسي علم الفلك الحديث ص 303: "**لقد درّس 30 سنة في كمبريدج ولم ينجح في إيجاد طالب واحد له، كانت قاعة التدريس غالباً ما تكون مقفرة أثناء حصة نيوتن وكان نيوتن يرجع بهدوء ليتم أعماله**"

نيوتن وهوك: لقد كان روبرت هوك رئيس الجمعية العلمية الملكية البريطانية، وهو منصب لا يحصل عليه إلا من له حظ وافر من العلوم المادية، وقد حصل نزاع شديد بين هوك ونيوتن عندما اتهم هوك نيوتن بسرقة أعماله في الجاذبية، والثابت أن هوك سبق نيوتن بفترة في التحدث عن قانون الجاذبية في محاضرات عامة ألقاها في الجمعية الملكية، والتي لابد أن يكون قد حضرها نيوتن، كما تبين لنا من خلال التحاجِّ الذي حدث بينهما أن هوك قد تضور ألماً من هذه الحادثة، ونسوق فيما يلي ما جاء على لسان جوزيف بيرتران في كتابه مؤسسي علم الفلك الحديث حيث يقول في الصفحات 305 حتى 309: "التصفيق لم يتخلف عن الاحتفاء بكتاب المبادئ، ولكن شكاوى واحتجاجات عكرت صفو نيوتن القلق، بعد أن عرض قانون الجاذبية، تصور أنه أنصف هوك بذكر اسمه بطريقة جافة وباردة كعادته، واصفاً أعماله كأفكار سابقة حول نفس الموضوع، وقد قام في جملة واحدة بجمع اسم كل من هوك و*wernn* وهالي، عندئذ احتج هوك بشدة، ولو أردنا أن نصف هذا الرجل بكل نزاهة؛ فإن هوك كان ذا ثقافة عالية، وذا معرفة متنوعة، وقد كان قادراً على أن يبدع في الكثير من المجالات، ولقد كانت له لديه رؤى واعدة في نفس مجالات اهتمام نيوتن، ولقد كان مثل نيوتن كثير المرض في حداثة سنه، وضئيل الجثة، لقد كان يحير من حوله بنجاح اختراعاته في مجال الميكانيكا، وبعد ذلك بزمن لاحظ مثل نيوتن التجاذب المتبادل للأجسام السماوية، ومثل نيوتن وبمعزل عنه توصل للجزم بأن قوة الجذب تتغير بعكس مربع المسافة, وأخيراً قام

باكتشافات كبيرة في مجال البصريات، بعد أن أعلن على ظاهرة الحلقات الملونة، ولقد جزم بأن إضافة الضوء للضوء يولد الظلام ...، ولقد كان هوك أيضاً مهندساً قديراً، فمدينة لندن تم بنائها بعد حريق 1666 حسب استشارته، هذا الرجل كانت له قدرات أكثر مما كانت له قوة براهين، فكانت اكتشافاته تنقصها البراهين الكاملة، لقد اكتشف أو بالأحرى عثر بصدفة سعيدة على القانون الحقيقي للجاذبية، وفي خضم رغبته في تسجيل هذا الاكتشاف باسمه أعلن عنه بسرعة، بل وقام بتقديمه في دروس عامة"، إذاً فدعوى هوك فيها كثير من الصحة، خاصة وأن هنالك سبق زمني في إعلان اكتشاف القانون من قبل هوك، فيمكن أن يكون نيوتن قد سد الثغرات التي كانت في طرح هوك، ولكنه ليس مكتشف هذا القانون بمفرده وبجهده الشخصي، خاصة عندما نقرأ الفقرة التالية والتي تخص تنازع نيوتن مع عالم الرياضيات الألماني ليبنيتز.

نيوتن وليبنيتز: كانت لنيوتن خصومة مشهورة مع لبنيتز، فلقد اتهم ليبنيتز نيوتن بسرقة أعماله في مجال اكتشاف حساب التفاضل، والذي يعتبر الأداة القياسية لإثبات نظرية الجاذبية، حيث كانت هنالك مراسلات بينهما حول هذا الموضوع، وقد رفع ليبنيتز شكوى للجمعية الملكية البريطانية، وبعد فترة ليست بالقصيرة حكمت اللجنة المنبثقة عن الجمعية الملكية لصالح نيوتن، ومن المفارقات فإن ليبنيتز كان رياضياً ألمانياً بارزاً، وأي دارس للرياضيات في عصرنا الحاضر لابد من أن يقف على اسمه في عدة مواضع؛ أما نيوتن فلا ذكر له في الرياضيات فيا ترى هل كان حكم اللجنة منصفاً، أم لكون ليبنيتز جرمانياً ونتيوتن بريطاني، كان له الدور الفاصل في صياغة الحكم؟ كما أن نيوتن كان في هذا الوقت رئيساً للجمعية الملكية، مما يضفي بظلاله على ما يدور خلف الكواليس لصياغة الحكم، ونسوق فيما يلي كلام جوزيف بيرتران في كتابه مؤسسي علم الفلك الحديث في الصفحات 341 حتى 343 حيث يقول: "... بعد سنة من عمل اللجنة التي عينتها الجمعية الملكية للفصل في النزاع بين نيوتن وليبنيتز، قامت بنشر تقرير قصير جداً، مسبوقاً بكتاب طبع عدة مرات، هذا الكتاب الثمين في تاريخ العلم يحتوي على عدد كبير من المراسلات الرياضية المتبادلة بين عدة مهندسين إنجليز فيما بينهم ومع لبنيتز، ولكن أغلب هذه الوثائق لا تمت بصلة لموضوع النزاع بين نيوتن ولبنيتز،

وهذه الوثائق من النوع الذي يشوش الموضوع أكثر من أن يوضحه، واحتوى التقرير على ما يلي: بعد التذكير بتاريخ الاكتشاف الذي أعلنه ليبنيتز، والذي مكنه من المطالبة بأسبقية معترف بها، ولها مبرراتها، حكم المفتشون لنيوتن بالملكية الفكرية لحساب التفاضل، هؤلاء المفتشين أعتبرهم شخصياً مجاهيل، هذا بدون الأخذ في عين الاعتبار بأنهم أصدقاء خصمه، ويعملون بدون أن يعترفوا تحت أعين نيوتن، ...، إنه لا يجب تصديقهم تصديقاً كاملاً، والحجج التي ساقوها لنا يجب أن تخضع لنقد صارم، حسب تقريرهم فإن ادعاء ليبنيتز لاكتشاف حساب التفاضل والتكامل ليس له أي أساس من الصحة".

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أن ليبنيتز كان خصماً عنيداً لنيوتن في مواضيع الميتافيزيقا، و كان أيضاً رافضاً لفكرة الجاذبية رفضاً تاماً، وكان يعلن عن تبنيه لنظرية ديكارت، وبأن حركة الكواكب سببها الدوامة، والطريف جداً كون ليبنيتز بالرغم من أنه انطلق من فرضية بعيدة كل البعد؛ توصل لإثبات أن قوة الدوامة متناسبة عكسياً مع مربع المسافة، ويقول جوزيف بيرتران في كتابه علم الفلك الحديث ص 311 حتى ص313: " ليبنيتز أيضاً وبعد سنتين من نشر كتاب المبادئ، أعلن للعموم بدون تليين موقفه، ولو ببعض المجاملة، وقال بأنه يتبع ديكارت، وقد أرجع سبب حركة الكواكب إلى قوة دفع الدوامة، وصدفة بعد أن تمكن من خلال فرضيات أكثر من مرفوضة للوصول إلى أن هذه القوة متناسبة مع عكس مربع المسافة"، ويضيف فيقول: " إنني أرى من خلال التقرير الموجود في هذا الملف أن نيوتن الشهير توصل لنفس النتيجة والتي أجهلُ على أي مبدأ اعتمد".

هل هذا التطابق العجيب في نتائج فرضيات متباعدة ومتضادة لا يجعلنا نشك في حجية المنطق الرياضي؟

نيوتن وكتاب المبادئ: لقد مدح الكثيرون كتاب نيوتن، وهنالك من وصفه بأنه يمثل أرقى إنتاج تفكير بشري على وجه الأرض في كل العصور، ونحن لن نناقش هذا القول، فالمجال لا يسمح، ولكن مثل هذه المقولات كثيرة، فهنالك من الرياضيين من يعتبر أن كتاب بطليموس أكثر الأعمال الرياضية كمالاً في تاريخ البشرية، وحسب المثل: كل يغني على ليلاه، ولكن

السؤال المحير هو كون نيوتن لم تكن له كتابات تذكر قبل تأليف كتاب المبادئ، كما لم تكن له مؤلفات ذات شأن بعد نشره لكتاب المبادئ، فهنا لدينا معضلة حقيقية، فنحن لا نعلم متى اكتشف نيوتن حساب التفاضل، ولا كيف تطورت أعماله، ولا ما هي مراحل التفكير التي مر بها، فالإنسان يتطور في أي مجال تدريجياً، ويقع في أخطاء ويصححها، فعمل نيوتن هو عمل كامل [حسب زعم الزاعمين]، جاء مرة واحدة، ولم يسبقه شيء، ولم يلحقه شيء، ولو حاولنا تفسير هذه الظاهرة فنحن أمام أمرين: فإما أن يكون وحياً، وهذا ما لا يدعيه أحد، وإما أن يكون هذا الكتاب ثمرة جهود أناس آخرين مثل ليبنيتز وهوك وآخرين لم نعلمهم.

جنون نيوتن: بعد نشر نيوتن لكتابه المبادئ، وفي قمة نشوته واعتزازه بانتصاراته، وبعد عودته للتدريس في كامبريدج، يصاب نيوتن بحالة اكتئاب شديدة، ويلم به حزن عميق، تكون نتيجته الإصابة بالجنون، وفقدان المسؤولية القانونية عن أفعاله، ونسوق في ما يلي ما قاله جوزيف بيرتران في كتابه مؤسسي علم الفلك الحديث ص 324-328: "خلال الأعوام التي تلت عودة نيوتن إلى كمبريدج، أظهر نيوتن في مراسلاته حالة من الكآبة والخشية والخوف المرضي، والذي تنامى شيئاً فشيئاً إلى حد التوقف عن أي نشاط، أصدقاء ذوي نفوذ أعطوه الأمل في تغيير وضعيته، دائماً خجول ومنطوي، يحاول تجنب الظهور ولكنه يحزنه التأخر في إحراز التقدم، وكان يقول دائماً بأنه يحبذ أن يتخلى عن كل شيء، الحريق الذي أتى على مخبره أفقده سلواه الوحيدة، ودمر وثائق ثمينة جداً من بينها جزء من مؤلفه في علم البصريات، هذه الهزة الأخيرة سحقت قوى نيوتن الخائرة، فدخل حالة من الحزن الشديد إضافة إلى جلوسه في البيت مما أفقده القدرة على النوم، إنه يشبه الشمس، التي تختفي عندما تنهي سباقها، ذكاؤه خسف لفترة ما وضعف للأبد، لقد فقد القدرة على فهم البراهين العميقة، معاصرو نيوتن ألقوا بوشاح على هذه الفترة الحزينة من الإفلاس والانهيار، وبعض محبيه يقومون بمجهودات جبارة للاعتراض على الشهادات البينة التي بقيت لنا حول إصابة نيوتن بلوثة، فمكتبة *layd* تحتوي على مخطوط بخط هيجنز، والذي نشر لأول مرة سنة 1821 عن طريق *M.Biot* في البيوغرافية الممتازة لنيوتن، بعدها لا يمكن أن نشك في الموضوع، وهذا مقتطف من

المخطوط: " في 1694/05/29 *ecossaise M.colin*، حكى لي بأن المهندس المشهور إسحاق نيوتن سقط منذ 18 شهر في حالة جنون (خبل يترتب عنه عدم المسؤولية عن الأفعال، وذلك بسبب كثرة العمل أو بسبب الألم الذي ترتب عن الحريق الذي التهم مخبره وجملة من مخطوطاته، *M.colin* أضاف أنه بعد هذه الحادثة التقى *Acheveque* كمبريدج وتبادلا حديثاً يثبت خلله العقلي، قام أصدقاؤه بتولي أمره وتحملوا علاجه، وقاموا بحبسه في مسكنه، وقاموا برعايته حتى تمكن من استرجاع عافيته، حيث بدأ يستعيد القدرة لفهم كتاب المبادئ".

إذاً فإصابة نيوتن بلوثة أمر ثابت ويقيني، والذي على إثره فقد نيوتن وإلى الأبد قدرته على التفكير الرياضي (إذا كانت لديه هذه القدرة يوماً ما) والسؤال الذي نطرحه هو حول غموض الأسباب التي أدت إلى هذا الانهيار المفاجئ، فإنسان في قمة النجاح والعطاء ما الذي يجعله في حالة كرب وحزن عميقين يصلان به إلى اضطراب عقلي، يا ترى هل هنالك أسباب نجهلها لهذا السلوك؟ هل فعلاً الحريق الذي أصاب مختبره كان السبب في هذا الانهيار الكامل والمفاجئ، وماذا كان يحتوي المختبر حتى يترتب على ضياعه ضياع عقل نيوتن؟ كل هذه الأسئلة ملحة وتحتاج منا لأجوبة شافية.

مظلمة فلامستيد: لقد بدأنا الحديث عن نيوتن بالحادثة التي وقعت في المدرسة مع أحد زملائه وها هو نيوتن شيخاً وقد توشح بلقب فارس، ويشغل وظيفة مرموقة حيث كان يدير مؤسسة سك العملة بلندن.

فهل تغير نيوتن بعض الشيء واتعظ من دروس الحياة، وتخلى عن بعض القسوة والكبر التي أظهرها في حداثته؟ والجواب: لا، فنيوتن دائماً نفس الشخص المستكبر المتعالي الذي يسعى للاستفادة القصوى من الناس الذين حوله، ويرغم الجميع بالقوة على القيام بما يريده، كما فعل مع زميله عندما أجبره على تقبيل الأرض، فها هو يختم حياته بنفس الموقف تقريباً مع الفلكي فلامستيد، وسأترك سرد هذه القصة القاتمة لجوزيف برانتراند في كتابه مؤسسي علم الفلك الحديث حيث يقول في الصفحات 329-335: "بعد تعيين نيوتن مدير لسك العملة من

طرف صديقه *Lord Halifax* بعد أن أصبح وزيراً، وبالرغم من جسامة مهامه فلم تكن لتصرفه نهائياً عن البحث، وكان مهتماً خاصة بحركة القمر: أحد أفضل فصول كتاب المبادئ، ولكنه لم يتمكن من تفسير كل اضطرابات وعدم استقرار حركة القمر، الذي أعجز أفضل الراصدين وأكثرهم جلداً، إن تحديد حركة القمر الواقعة تحت تأثير الأرض والشمس، هو مشكل حركة ثلاثة أجسام المشهور، والذي كان موضوع عدة مسابقات علمية عالمية، لقد لمس نيوتن من خلال أعماله صعوبة المشكل، ولم يتمكن من حله بالمستوى المطلوب، ويعتبر الأرصاد هي الشاهد على صحة أعماله، ولكن جداول القمر كانت قليلة الدقة، حتى أن الملك شارل الثاني أحدث مرصد غرينتش لزيادة دقة هذه الجداول، إن الفلكي الملكي فلاميستيد مدير المرصد كان كنزاً متعدد المواهب، لقد كان يعرف عبقرية نيوتن، وكان مستعداً لكي يعطي مشاهداته لنيوتن، ولكنه كان يرغب في أن يضفي عليها الدقة التي كان يعتقد بأن بإمكانه بلوغها، ولكن نيوتن المتعجل كان يريدها حالاً، و يظهر أنه كان يعتبرها ديناً مستحقا على فلامستيد ...، وبعد ضغطه المتواصل حصل على المشاهدات ...، وقد عبَّر على شكره لفلامستيد من خلال رسالة عبر فيها عن امتنانه، وأنه لولا هذه المشاهدات لم يكن ليعود لدراسة حركة القمر.

فلامستيد كان يريد أن يراجع من جديد مشاهداته، لذلك اشترط أن لا تتم عملية نشر مشاهداته إلا بعد إذنه، ولكن نيوتن كان مخطئاً كثيراً عندما نسي هذا الشرط أو لم يعبأ به، ولكنه بالرغم من هذا الاستخفاف فكان هو الذي يحتج، فلامستيد أرسل إلى *wallis* مذكرة للنشر والتي تحدث فيها عن مشاهداته، وأعلن من خلالها للقراء بأن هذه المشاهدات سلمت لنيوتن لمساعدته في أعماله حول القمر، نيوتن علم بأمر المذكرة عن طريق صديق غير كتوم لـ*wallis*، وصور خيال نيوتن المريض هذه المذكرة بأنها تشهير به وتعدٍّ عليه، فكتب لفلامستيد بصيغة حانقة: "لا أحب أن أرى اسمي ينشر في كل مناسبة ...، لهذا لقد طلبت من الدكتور *gregory* أن يكتب لـ *wallis* لكي يمنعه من طباعة الفقرة التي لها علاقة بأعمالي، وأن لا يذكر اسمي بتاتاً ...، أتمنى أن تقوم بحل هذا المشكل بحيث لا تظهرني

على المسرح"، بالرغم من هذه المشاكل فنيوتن الذي كان بحاجة لفلامستيد عاد لزيارته وفي غرينيتش تناول طعام العشاء عنده، ولقد استعجله على نشر كل مشاهداته، لكن فلامستيد الذي كان يرغب دائماً في إتمامها وتصحيحها أصر على عدم نشرها، *Halifax* الذي كان لنيوتن عليه أفضال كثيرة، حصل من عند ملك جورج أمير الدنمارك وزوج الملكة آن على مبلغ كبير من المال وجهه لتغطية نفقات نشر مشاهدات فلامستيد، هذا المبلغ وضع على ذمة لجنة لم يكن فلامستيد عضواً فيها، وطلب منه أن يرسل دفاتره ولكن فلامستيد رفض، ولكي يتم إرغامه على ذلك تم الحصول على أمر من الملكة بهذا الشأن، وبدأ النشر بدون دعوة فلامستيد لكي يصحح بعض مشاهداته، وقد احتج بشدة في إحدى الاجتماعات مع نيوتن حتى أنه قال بأنه تمت سرقة أعماله ...، تواصل الطبع بدون مشاركة فلامستيد، هالي قام بكتابة المقدمة ... فلامستيد كان يشتكي بدون فائدة إلى يوم وفاة الملكة آن، ووصل للحكم أحد أصدقاء فلامستيد فمكنه من استعادة حقه العادل، وتم إصدار أمر ملكي مكن فلامستيد من وضع كل النسخ التي طبعت بين يديه وقام بحرق 400 نسخة بيديه في مرة واحدة".

نيوتن الساحر: هل تعلم بأن مركز اهتمام نيوتن طيلة حياته لم يكن لا الرياضيات ولا الفيزياء بل كان شيئاً آخر تماماً لقد كان علم السيمياء، وبالخصوص مسألة تحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، حيث قضى قرابة 30 سنة في هذه الأبحاث، وقد أحاطها بالكتمان والسرية التامة، وأكيد أنه كان عضواً في الشبكة السرية للسيمياء التي أنشئت من خلال حقلة هارتلب*** *cercle Hartlib*؛ و قد اكتشفت هذه الحقيقة عندما تبرع أحد أحفاد أخت نيوتن بمخطوطات خاله الأكبر لجامعة كمبريدج، فتم تصنيفها في المكتبة على أنها كتب غير علمية وتصنف تحت الشعوذة والسحر، وقد رفض أتباع نيوتن إلحاق هذه المخطوطات بكتابات نيوتن، واعتبروها شيئاً لا علاقة له بنشاط نيوتن العلمي، وتواصل هذا الإنكار إلى حد سنة 1936 عندما اشترى جون كينز مخطوطات لنيوتن في المزاد العلني؛ عندها فقط تم إدراج هذه المخطوطات ضمن كتابات نيوتن، وتم الاعتراف بهذا النشاط السري، إذاً فنيوتن عاش عمره مهووساً بالحصول على القوة وإخضاع الآخرين وليس هنالك وسيلة أفضل من الذهب

للوصول لهذه الغاية، لذا كرس حياته لهذه الأبحاث السرية، وقد وصفه جون كينز *John Keynes* قائلاً: "نيوتن لم يكن أول العلماء بل كان آخر السحرة"، هل بعد هذا مازال هنالك شك أي شك في أن هذا الرجل لم تكن عنده أي مبادئ حقيقية، فكيف برجل في مثل تدينه الظاهر يدخل في ممارسات مشبوهة ومبغوضة من قبل الكنيسة التي كانت تحرم تعاطي السحر، والتي كانت السيمياء أحد فروعه الأساسية، مبدأ نيوتن الحقيقي هو الحصول على القوة ليسيطر بها على من حوله أياً كانت الوسيلة، فلا مبدأ ولا حرام ولاحلال يمكن أن يقف حائلاً دون بلوغ الغاية، وهي الحصول على القوة والإخضاع للآخرين.

الخاتمة: أظن أن القارئ الآن يستشعر قتامة هذا المشهد المليء بالنزاعات والمظالم، ويدرك حجم الألم الذي سببه نيوتن لمن حوله من أمثال ليبنيتز وهوك وفلامستيد؛ بدون أن يعبر على أي شعور بالندم أو التوبة، بل عاش كامل حياته ميت الإحساس، كل همه الحصول على القوة وبريق الشهرة والتفوق.

سؤالنا هو التالي: هل يعقل تمجيد شخص مثل نيوتن، وهل في شخصه شيء يدعو للاحترام أو للذكرى الطيبة؛ ما عدا بعض الصفحات الباهتة من المعادلات الرياضية الخرساء، لا يعلم إلا الله مدى حجيتها وصحة نسبتها إليه أصلاً، هل يعقل أن يكون أمثال نيوتن هم قادة البشرية وعظمائها؟ هل يعقل أن من عاش كل أيامه غارقاً في أنانيته وسوء ظنه وتكبره؛ أن تخلد ذكراه، وأن يكون على جميع أبناء آدم الإقرار بفضله عليهم، وبضآلة حجمهم أمام عبقريته الفذة، والله إن هذا القول هو عين التلبيس، وعين التزييف، وفي هذا الموقف لا يحضرنا غير قول كليم الله موسى عندما قال مخاطباً قومه في سورة البقرة [الآية 59]: ﴿**أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير**﴾، عندما نرفع هؤلاء الظالمين إلى مصاف الرسل والأنبياء صلوات الله عليهم جميعاً.

** مؤسيسي علم الفلك الحديث: كوبرنيك– تيكو براهي– كبلر / جوزيف بيرتران (عضو مدرسة: J-Hetzel) .– باريس، J-Hetzel للنشر، 1865

*** *Westfall, Richard S. (1980, 1998). Never at Rest. Cambridge*

فهرس المحتويات